السنة السابعة ـ العدد ٧٤ ـ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ ـ فبراير ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

دعوة جريئة لناقد عربي كبير

د. عبد الله الطيب



محمد في عيد مولده العظيم

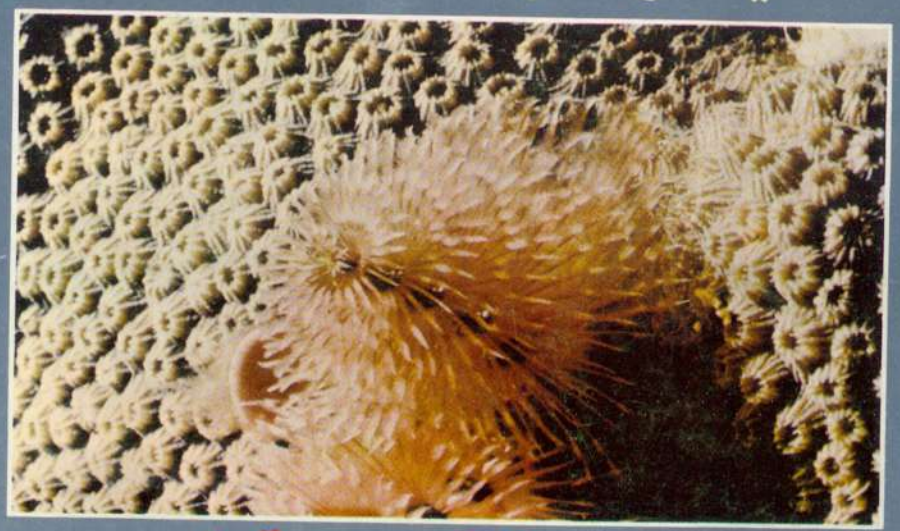
خالد محمد خالد

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



فاس

مدينة لا تبوح بأسرارها إلا للمحبّين



المهرج يبتلع صديق العمر



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٤ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ - فبراير ١٩٨٢م

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج

مرزوق بشير

التحرير

النور عثمان أبكر — عبدالله جابر

نادية رزق — ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني

محمد نبيل الحداد — نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان

أحمد عبدالله — علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هذا العدد



خالد محمد خالد



د . عبد السلام العجيلي



عبد الله جفري



د . عبد المحسن صالح

● « محمد » في عيد مولده العظيم ... ...
خالد محمد خالد ٦

● الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان في فلسطين المحتلة
د . عبد القادر ياسين ١٠

● ذكريات « شعر » ... ...
محمد الفهد العيسى ١٧

● الآن .. ما هو الثابت ؟ ... ...
عبد الله جفري ١٨

● بائعو الاوهام ... ...
د . عبد السلام العجيلي ٢٠

● جديد الأدب في شبه الجزيرة والخليج ... ...
د . محمد جابر الأنصاري ٢٢

● في عروبة البنفسج (شعر) ... ...
حسن طلب ٢٥

● اطفالنا ومجلاتهم ... ...
حصة العوضي ٢٦

● الفتنة بالشاعر اليوت خطر على الأدب العربي ... ...
د . عبد الله الطيب ٢٨

● كلام عن سيناء ... ...
درويش مصطفى الفنار ٣٢

● في الملهى (شعر) ... ...
د . كمال نشات ٣٤

● القدس (شعر) ... ...
ناهض الريس ٣٥

● الثلاجة (قصة) ... ...
مصطفى ابو النصر ٣٦

● الانسان بين التراث والآلة ... ...
ا . د . عبد الوهاب المسيري ٤٠

● ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي ٤٤

● دانه القطرية : مفاجاة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس ٤٨

● هكذا ساهم الخط العربي في احياء العقيدة والتراث ...
فوزي تادرس ٥١

● أوديسا الفضاء ... ...
مجدي نصيف ٦٢

● اكل المال بالباطل ... ...
د . محمد زكي عبد البر ٧٠

● بين احضان الطبيعة (شعر) ... ...
علي الفقي ٧٥

● فنان عالمي ساخر يكشف مأساة الانسان ... ...
جمال قطب ٧٦

● الصفوف الامامية والصفوف الخلفية (قصة) ... ...
ديزي الامير ٨٠

● كل شيء أمامك دون أن تبرح مكانك ... ...
د . عبد المحسن صالح ٨٣

● فاس : مدينة لا تبوح باسرارها الا للمحبين ... ...
ابراهيم الصلحي ٨٨

● اسرار عالم الثعابين ... ...
د . محمد الغباشي ربيع ٩٢

● العشرة الزوجية في عالم الطيور والحيوان ... ...
د . عز الدين فراج ٩٨

● ليلة السبت في أثينا ... ...
مفيد فوزي ١٠٠

● المهرج يبتلع صديق العمر ... ...
صنع الله ابراهيم ١٠٤

● أكتوبر نوفمبر (شعر) ... ...
حبيب الصايغ ١١٥

● أدباء ومفكرون كالساعة ... ...
محمد فتحي عبد الفتاح ١١٦

● دمعة على عنتر (قصة) ... ...
عباس خضر ١٢٢

● ظاهرة الابداع وتأثيرها في الاقتصاد القومي ... ...
د . جلال شوقي ١٢٤

● مأساة مخرج يرفض الانحناء ! ... ...
رءوف توفيق ١٣٢

● ضحكات الشهر ... ...
صلاح الليثي ١٣٨

● دوحة القراء ١٤٠

● الورقة الأخيرة : من بعيد (شعر) ... ...
عبد العليم القباني ١٤٦

كلمة

تحية فلسطينية كريمة للدوحة

تلقى رئيس تحرير الدوحة هذه الرسالة الكريمة من الأستاذ يس الشريف مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين فى الدوحة ، وهذا هو نص الرسالة :



يس الشريف مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة التحرير الفلسطينية
مكتب قطر

الدوحة – صندوق البريد : ١٣٨ – هاتف : ٢٢٥٣١ برقياً : « تحرير »

التاريخ ١٤٠٢/٣/١٦ ~~١٩٨٢/١/١١~~
الرقم ق ط/ ١/١٧ ~~١/١٧~~

الأخ الكريم رئيس تحرير مجلة الدوحة حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

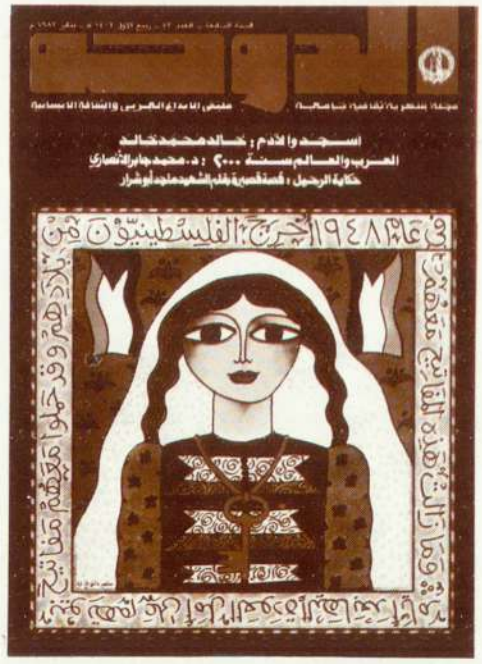
يسعدني وقد اطلعت على العدد الاخير من مجلة " الدوحة " الغراء ، والتي صدرت بثوب فلسطيني مميز يعطي أكثر من دلالة على أن الكلمة المناضلة الصادقة تستقر في الوجدان الحر شعاع أمل ، وتتجذر في النفس آفاق اشراق شموخ يعبر بالمناضلين المخاضات الصعبة وما اكثرها في زمن المعاناة الذى نعيشه جميعا .

وقد وجدت لزاما علىّ أن أكتب مقدرا لاخ عزيز جهدا مشكورا بذله ، واختيارا موفقا انتقاه ، ليجعل من غلاف العدد الاخير تلك اللوحة الرمزية بمفتاح العودة في ذكرى انطلاقة الثورة في وقت تغافلت فيه العديد من المجلات العربية هذه المناسبة .

وختاما . . . ابعث بعاطر الشكر وصادق التقدير للاخ الكريم ولاسرة تحرير المجلة التي نتمنى لها الاستمرار في حمل راية الكلمة الحرة الكريمة ، وتأدية رسالتها الانسانية والثقافية والحضارية لخدمة امتنا واجيالنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

أخوكم
يس الشريف



غلاف عدد يناير ١٩٨٢ من «الدوحة» بريشة الفنان حلمى التونى

وليس لنا من تعليق على رسالة الأستاذ يس الشريف إلا بان نقول : إننا نعتز بهذه الرسالة ، التى تنبض سطورها بالروح الفلسطينية العزيزة على قلب كل مسلم وعربى ، ونؤكد أن «الدوحة» حرصت ، وسوف تحرص دائماً على أن تساهم فى التعبير عن قضية فلسطين والكشف عن جوانبها المختلفة ومتابعة ما يجرى على ساحتها من احداث وتطورات .. وذلك هو الموقف الثابت لمجلة الدوحة ، تنطلق فيه مستوحية سياسة قطر الواضحة المحددة فى التاييد الكامل والمطلق لقضية فلسطين ولكل حقوق شعب فلسطين وكفاحه العظيم المليء بالالم والبطولة والاصرار والايمان ... إن «الدوحة» ما هى إلا مؤسسة اعلامية تؤدى واجبها ، وتحمل رسالتها ، ضمن سياسة وزارة الاعلام فى قطر ، وسياسة قطر كلها فى مختلف الميادين .

تحية لشعب فلسطين ، وللأستاذ يس الشريف ممثل هذا الشعب الصامد فى قطر ... ولسوف تبقى «الدوحة» دائما سلاحاً للأمة العربية والاسلامية فى الدفاع عن قضايانا الغالية وعلى راسها قضية فلسطين ... وسوف تعمل «الدوحة» على الاستفادة من توزيعها الواسع الذى يصل بها الى كل مكان عربى من أقصى المحيط الى أقصى الخليج فى أن تحمل العطر الفلسطينى ، من قطر ، الى كل مواطن عربى أينما كان .

«الدوحة»



محمد

في عيد مولده العظيم

لم تفت مناسبة الحديث عنه ، وما كنا عنها بغافلين .. فنحن لا نزال فى الأيام التى فى مثلها أهل على الدنيا أشرف الخلق وخاتم الرسل منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام .

اسمه محمد ، واسم أبيه عبد الله ، واسم أمه آمنة .. وإنه ليأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق . ويحب ويكره ، ويرضى ويسخط ، ويعافى ويمرض ، ويصحو وينام ..

هو إذن بشر مثلنـــا ولكن أى بشر كان .. ؟؟ وأنى له تلك الحياة التى عاشها طولا وعرضاً ، وأودعها جليل العمل ، ومعجز القول ، وطاهر السلوك ؟

هذا اليتيم ، الذى أخذ مكانه بين آباء البشرية ورعاتها .. الأمى ، الذى أخذ مكانه فى الذروة بين هداة الحياة وأساتذتها .. العربى ، الذى حمل وحملت أمته من بعده مشعل الحضارة ومنحوا

مدنية الانسان ثراء لا يغيض .

إنه من طينتنا ،ومن طبيعتنا .. لم يخلق من نور ولا من نار .. ولم يكن بين العالمين أول موجود .. ولم تحط بمولده تلك الخوارق التى نسجتها أساطير المؤمنين .

جاء الدنيا كما جئتها أنت ، وأنا ، والآخرون ..

لم يهبط من السماء فى كوكبة من الملائكة ، ولم يعش بين الناس ملكاً ، بل بشراً .

وهو – عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام – كان يعرف هذا ويعتز به .

وكان دائم الأعلان عن بشريته ، حتى لكأنه يرى فيها وحدها مناط عظمته وفخاره .

أينا يجد الشجاعة ليتحدث فى ملأ من الناس عن أمه بهذه الصيغة التى تحدث بها حين قال للأعرابى الذى وجل من هيبته حين أدخل عليه : « هون عليك فأنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » .. ؟ !!

ألا حياه الله من انسان ، وحياه الله من رسول ..



وكما ولد بشراً ، عاش حياته بشراً .. وما نظن أن ملائكة هبطوا من السماء يحملون إناء من ذهب ، حيث شقوا صدره الشريف وانتزعوا منه مسكن الشيطان ، ثم غسلوه بماء الورد ، وأعادوه كما كان !!

بقلم
خالد محمد خالد

ولو حدث هذا ما كان له – إذن – كبير فضل فى عظمة نفسه ، وجليل نسكه ، وبناء شخصيته .

لكن الذى حدث هو أن الله سبحانه خلى بين « محمد » ونفسه ، ليصارع رغباتها ، ويتفوق على كل أهوائها ، ويحقق استعداداً فذاً وأهلية كاملة للرسالة العظمى التى سيحملها فى ميقاتها المعلوم .. وبهذا ، تتألق فيه عظمة الانسان وعظمة الرسول .

ذلك أنه جاء ليكون قدوة ، فلو صاغت فضائل نفسه قوة خارقة ، وسارت حياته خارج قوانين الحياة وأسبابها المألوفة ، لبطل معنى القوة وتعذر التاسى ، ولصار للمطالبين بالايمان به ، واتباعه عذر صادق فى إعلانهم العجز عن اللحاق به .

كيف – إذن – بلغ هذا الرسول العظيم ما بلغ ، وكيف طبع الحياة الانسانية بطابعه الخالد الوثيق ؟ ؟

لاشك أن اصطفاء الله له كان خليقاً بأن يختصه برعايته ونفحاته ، ويؤيده بروح من عنده ، ويبسط عليه يد رحمته وعنايته وتوفيقه . لكن ذلك كله يتم داخل إطار بشريته .

والذين بهرتهم عظمته معذورون . فرسول الله هذا الذى أرسله الله إلى الناس فى قيظ الحياة ، وجعله رحمة مهداة – كان نسقاً من البشرية جد عظيم وجد فريد .

ومن أى النواحى جئناه وجدنا ألقاً يبهر الأعين والألباب . لقد ظفر من أنعم الله بالقدر الذى جعله أهلا لحمل رايته ، والتحدث باسمه .. بل وجعله خاتم أنبيائه ورسله .

ومهما تتبار القرائح والأقلام متحدثة عنه ، عازفة أناشيد عظمته ، فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها ، ولم تحرك بالقول لسانها .. وتبقى الصفحات المتحدثة عنه مهما تبلغ من الضخامة والكثرة مجرد « بنان » تومىء فى استحياء إلى القليل القليل من سمات تفوقه وعظمته .. !!

هذه العظمة التى جعلت أفئدة الناس تهوى إليه ، والتى جذبت نحوه فى ولاء منقطع النظير كل الذين آمنوا به والتفوا حوله ، ورأوا فيه الهدف والطريق ، والرسول والمعلم والأب والأخ والصديق . !! ترى أى سر جعل أشراف مكة والمدينة يهرعون إليه ويؤمنون به ويبايعونه على أن يخوضوا معه البحر والهول إذا دعاهم لخوضهما .. وما الذى جعل فقراء مكة والمدينة الذين اتبعوه يصدقون أن الدنيا ستفتح عليهم قطارها ، وأن أقدامهم ستخوض فى ذهب العالم وتيجانه .. وأن هذا القرآن الذى يتلونه فى استخفاء ستردده الآفاق عالى الصدح قوى الرنين ، لا فى جيلهم فحسب ولا فى جزيرتهم فحسب . بل عبر جميع الزمان وجميع المكان ؟!

ما الذى جعلهم يصدقون نبوءات الرسول ، وهم الذين يتلفتون حولهم ، فلا يجدون أمامهم وخلفهم ، وعن ايمانهم وعن شمائلهم سوى القيظ والسغب ، وحجارة تلفظ فيح الحميم وشجيرات يابسة طلعها كأنه رءوس الشياطين ..

ما الذى ملأ قلوبهم باليقين وبالعزم ؟؟

إنه « محمد » بكل عظمة نفسه وسمو فضائله ، وبكل ما حباه الله به من نور فى شخصيته ، ومن خلق عظيم .



وإذا بهرتنا جميع خصائصه المتفوقة وخصاله المتألقة ، فأن أمانته على مسئولياته كرسول أمة وبانى دولة تستأثر منا بالاهتمام الشديد .

مسئوليته عن دينه ودعوته ، ومسئوليته عن صحبه وأمته ، ومسئوليته عن الحياة والأحياء جميعاً ، حتى الهرة التى أخبرنا أن امرأة دخلت النار بسببها حين حبستها فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .. وحتى الكلب الذى أخبرنا عنه أن بغياً دخلت الجنة وشكر الله لها حين رأته يلهث من العطش ، فخلعت خفها وأدلته الى ماء البئر وسقته رحمة به وحناناً عليه !! .. مسئولية رسول أمين ، وحاكم أمين ، وأخ للبشرية وللحياة كلها . حان عليها وبر بها وأمين .

تتجلى مسئوليته عن دينه ودعوته حين لم يجعل التخلى عنهما أو المجاملة فيهما ثمناً لسلامته من الأذى والخطر ، بل ومن الموت الذى كان يبدو محققاً .. وهكذا سمعته الدنيا كلها وهو يقول لعمه ساعة بدا أنه ينوء بعبء مناصرته : «والله يا عم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» !!! ..

لم يكن سيد الرجال فحسب ، بل كانت كلماته رجالا !! ...

وتتجلى مسئوليته عن الدين والدعوة حين رفض أن يكونا موضع مساومة ستفضى به الى النصرة والمنعة .

ففى تلك الأيام اللافحة القائظة ، وقد رحل عنه الى الآخرة عمه أبو طالب وزوجه خديجة ، وتألبت القبائل ضده فى حنق وسعار ... ورفضت فى خسة ونذالة إيواءه أو مسالمته ، عرض نفسه على

محمد في عيد مولده العظيم

قبيلة بنى عامر بن صعصعة ، وراح يحدثهم عن الله ويتلو عليهم آياته ويسألهم النصرة حتى يبلغ دعوة ربه ، فسأله زعيمهم قائلا : «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك . أيكون لنا الأمر من بعدك» ؟؟ .

وهنا يجيبهم الصادق مع الله ، ومع نفسه ، ومع الناس : «الأمر لله يضعه حيث يشاء» !!

عندئذ انفضوا عنه قائلين «لا حاجة لنا بأمرك» ..



وكان عليه السلام يمارس الأمانة هذه وهو على وعى كامل بقيمتها ، وإدراك سوى لمضمونها .. لم تكن عنده كما هى عند الناس اليوم مجرد المحافظة على وديعة أو عارية . بل كانت حفاظاً رشيداً لوديعة الحياة كلها .

وبهذه المثابة اتسعت الأمانة عنده لكل فضيلة . فهو صادق ، ووفى ، وشجاع وجواد ، ودءوب ؛ لأن أمانة مسئولياته تتطلب أن يكون ذلك جميعه .

وتبدأ الأمانة عنده مع نفسه ، فلا يبتذلها فى موقف أبداً ، حتى تلك المواقف التى لا يعتبرها العرف ابتذالا ..

تصوروا إنساناً لا يمد رجله فى مجلس أبداً .. ولا يقهقه أبداً .. ولا يتلفت خلفه وهو يسير ..

وكما قال البوصيرى :

ضحكه التبسم ، والمشى الهيونا ، ونومه الاغفاء .

وإنه ليحمل تبعات أمانته طفلا ، ويافعاً ، وفتى ، ورسولا ..

ففى طفولته لا يسرف فى التلهى واللعب ويقول : «أنا لم أخلق لهذا» !!

وفى شبابه يصون نفسه عن أن تفقد كرامتها أمام صنم يخر له ساجداً وعابداً ، ويلتزم الصدق المطلق ، والعفة المطلقة ، والكمال الميسور ، ويلقبه قومه بالأمين ..

وفى مطلع رسالته تتجلى أمانته على دينه فى مواجهته العذاب ، والسخرية ، والمشاق دون تململ . وبتفوقه على المغريات التى تفتن كل رجل طماح ، والتى نثرتها قريش تحت قدميه وهى تحاوره أو تساومه وتعده بالمال حتى يكون اغناهم ، وبالجاه والمجد حتى يكون سيدهم ، وبالملك حتى يتوج ملكاً عليهم !!

وذات ليلة تفتقده زوجه «خديجة» فى بهمة الليل وسواد الظلام .

وأخيراً تعثر عليه يعانق الأرض فى سجود طويل . وبعد أن ينهى صلاته تناديه فى رفق : «حسبك يا رسول الله ، وهيا الى النوم فقد أجهدت نفسك» .

فيجيبها فى رهبة الواعى لمسئولياته الأمين عليها : «انتهى عهد النوم يا خديجة» !! ..

أجل انتهى عهد النوم يا خديجة .. تلك هى القضية !! قضية رجل لم يعد يملك نفسه ولا راحته .. لم يعد يرى لنفسه حقاً حتى فى الراحة !!

إنها الأمانة على مسئولياته ، ومسئوليات دوره الجديد والفريد الذى اصطفاه الله له ، والذى أعد نفسه له بعظائم الخصال ، ومكارم الأخلاق .

أجل . تلك هى القضية ..

قضية رجل تراكمت الأموال بين يديه بعد نصر الله له ، فلم يتغير ، ولم يأخذ منها لنفسه ولا لأهله مطمعاً ، ومات ودرعه مرهونة !!

قضية رجل دانت الجزيرة لدعوته ، ووقف كثيرون من ملوك الأرض وحكامها أمام رسائله التى دعاهم بها الى الاسلام ضارعين وجلين . فما استطاعت ذرة من زهو أو كبر أن تقترب من نفسه ، ولو على بعد فراسخ !! ..

قضية رجل ألقى كل أعداء دينه السلاح ، ومدوا اليه أعناقهم صاغرين ، ليحكم فيهم بما يرى . بينما عشرة آلاف سيف تتوهج تحت حرارة وضياء شمس الفتح ، فما زاد على أن ناداهم : «اذهبوا فأنتم الطلقاء» !!

قضية رجل تملأ راياته الأفق عزيزة ظافرة ، بينما هو فى مسجده المتواضع يخطب المسلمين ويناديهم : «من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليقتد منه . ومن كنت أخذت له مالا ، فهذا مالى فليأخذ منه» !! ..

قضية رجل يسأله عمه العباس رضى الله عنه أن يستعمله على احدى الولايات فيصرفه فى رفق وهو يقول : «إنا والله يا عم ، لا نعطى هذا الأمر أحداً يسأله ، أو أحداً يحرص عليه» !! ..

قضية رجل لا يشارك الناس ما ينزل بهم من خصاصة وحسب . بل يضع لنفسه ولأهل بيته مبدأ لا يحيدون عنه هو : «أن يكونوا أول من يجوع اذا جاع الناس ، وآخر من يشبع إذا شبع الناس» !! ..

قضية رجل يقول بحق وصدق : «والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها» !! ..

قضية رجل تلم ظاهرة الكسوف بالشمس يوم وفاة ولده الحبيب «ابراهيم» فيتحدث المسلمون بأنها كسفت حزناً على «إبراهيم» فيسارع الرسول الأمين الى تفنيد هذا الزعم ودحض هذا الهاجس ، قبل أن يتحول الى أسطورة ، ويقف فى المسلمين خطيباً ويقول : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته» !! ..

ماذا عليه لو سكت ، وأضيف هذا الهاجس لأمجاده ؟!..

ولكن لا ، فهو الأمين على عقول الناس وتفكيرهم .. وقيامه بحق هذه الأمانة خير عنده وأثر لديه من ملء الأرض مجداً أو حمداً ..

قضية رجل يعلم أن الله قد اختاره

ليختم به المرسلين ، ويعلم أنه ليس رسولا الى قريش وحدها ، ولا الى شبه جزيرة العرب وحدها . بل هو رسول الله الى الناس كافة .. وقد فتح الله بصيرته على المدى البعيد الذى ستبلغه دعوته ، وتخفق عنده رايته .. ورأى رأى اليقين مستقبل الدين الذى بشر به ، والخلود الحى الذى سيكون له الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ورغم ذلك كله ، لم ير فى نفسه ، ولا فى بيئه ، ولا فى نجاحه المذهل أكثر من «لبنة» فى بناء كبير !!

ووقف الانسان العظيم والرسول الكريم يعلن ذلك ويقول : «مثلى ومثل الأنبياء قبلى ، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين» !! ..

أقول : تلك هى القضية .. قضية رسول عظيم ميزت شخصيته أمانته على مسئولياته ، وبهرت هذه الأمانة فيه أفئدة أعدائه قبل أصدقائه .. ولم يكن فى حياته مطمح يحث نحوه الخطى ، ويتبتل لبلوغه تبتل الأبرار سوى الوفاء بما عليه من حق تجاه هذه المسئوليات .

وهذه القضية تشكل جوهر أخلاقه ، وجوهر مبادئه ودعوته .. فاذا كان الدين ـ أى دين ـ يتطلب رجالا من أولى العزم ليشقوا الصخر فى طريقه ، ويهيئوا الأرض لتقبل غراسه واحتضان بذوره ، فان هؤلاء الرجال لن يكونوا رجالا إلا بقدر ما يكون ولاؤهم لمسئولياتهم عظيماً .

من أجل ذلك راح سيدنا محمد يعطى القدوة ، وينشىء الرجال ويصنع الأحرار .

وإن عيد مولده فى هذا العام وفى كل عام لينادى المسلمين ،لاسيما الحكام منهم والأمراء ، أن يكونوا أمناء على مسئولياتهم تجاه الدين ، وتجاه الأمة .

وأن يذكروا أنهم لن يمكن لهم فى الأرض إلا بقدر ما يمكنون لدين الله وكلماته ، وإلا بقدر ما يمكنون شعوبهم من تحمل مسئولياتهم بالمشاركة الكاملة فى توظيف حياتها وتقرير مصيرها .

ومن يتقاصر به الجهد عن بلوغ هذه الغاية ، فقد ظلم نفسه ، وظلم أمته معه .

لقد كان الرسول يدرك أن المسئولية جسيمة ، وأنه لن يستطيع وحده أن يقوم بها .. من أجل ذلك راح يذيب فى أصحابه ارادة التهيب ويضع مكانها رجولة الرجال وتقحم الأحرار .

وهكذا نحن اليوم ، لن يستطيع حاكم مهما اشتد بأسه أن يتحمل وحده المسئوليات الشداد ..

وكلما كثر الأحرار حوله توزعت عليهم المسئوليات .

فلننم رصيدنا من الرجال ، ورصيدنا من الأحرار .

حـــــول إخـــــوان الصفـــــا

طالعت فى العدد ٧٢ من مجلة الدوحة ما كتبه الحاج عبد الأمير علوش مناقشاً ما ورد عنهم في مقالى « أنا أفكر ، إذن أنا مسلم » ..

وإنى أولا ، لأشكر السيد على اهتماماته العلمية والثقافية ، ومناقشته الواعية لما يعرض الفكر من قضايا وآراء .

ثم أذكر السيد والقراء معه اننى لم أكن بصدد عرض فلسفة إخوان الصفا ولا بصدد مناقشتهم فيما ذهبوا إليه من اقتناع ورأى .

إنما ضربتهم مثلا لا غير لما يفيئه الاسلام ، أو لما يفيئه الفكر الاسلامى على ذويه من حرية سابغة ومتراحبة .

أما مناقشة فلسفتهم ، فيمكن أن يكون لها مجال آخر .

ولم يكن من الصواب أن أستبعدهم من دائرة الاستشهاد على حرية الفكر فى الاسلام لمجرد أن البعض حكم عليهم بالكفر .

فالذى يقرأ تاريخ الفقه الاسلامى فى عصره الأول يرى كيف كانت تهمة التكفير تلاحق الكثيرين من الأعلام الأفاضل ، بل وتطارد بعض الأئمة الكبار . ويرى كيف كان أنصار بعض المذاهب يحكمون ببطلان صلاة الذين على غير مذهبهم ، ويحرمون مناكحتهم ومعايشتهم بينما يرون ذلك مباحاً مع اليهود والنصارى أهل الكتاب .. !!

ولقد حكم بالكفر على رجال عظام من أمثال « ابن رشد » واضطهدوا ، لأنهم أنسوا من الاسلام حرية تفكير وتعبير ، فراحوا يهتفون باقتناعهم فى غير وجل ولا زيف .

إن ديناً سماوياً ، أو وضعياً ، لم يمنح الانسان حقه فى استخدام العقل مثلما منح الاسلام ـ فلماذا نغمط الاسلام هذا الشرف .. ؟

وأين تكون حرية الفكر إذا كان كل مخالف لنا كافراً وزنديقاً .. ؟ !

ومرة أخرى ، لست بصدد مناقشة ولا بصدد تقييم أو تقويم فلسفة إخوان الصفا . إنما أعرضهم كمفكرين إسلاميين استثمروا حرية الفكر فى الاسلام أوسع استثمار .

خالد محمد خالد

الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

بقلم
الدكتور عبدالقادر ياسين

في العاشر من كانون الاول ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة اول تعريف دولى لحقوق الانسان هو « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » .

وقد ادرجت الحقوق الواردة فى هذا الاعلان فى اتفاقيتين دوليتين هما اتفاقية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية واتفاقية الحقوق المدنية والسياسية . وكانت الجمعية العامة قد وافقت عليها بالاجماع عام ١٩٦٦ . وتلتزم جميع الحكومات التى تصدق على الاتفاقيتين التزاما قانونيا بتطبيق كافة حقوق الانسان المدرجة فى الوثيقتين .

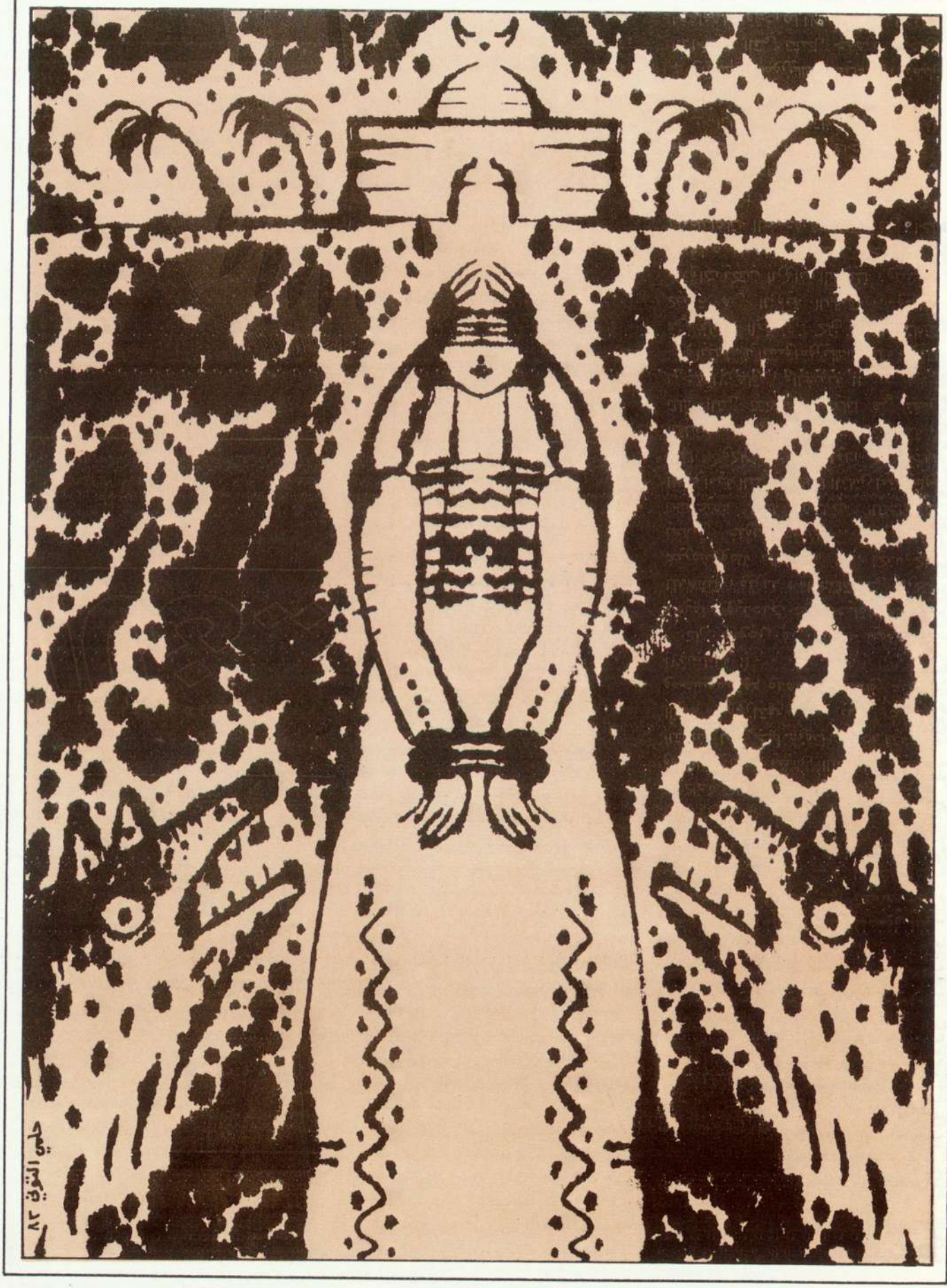
ومنذ ذلك الحين اهتمت الأسرة الدولية بشكل لم يسبق له مثيل بحماية حقوق الانسان الفردية والجماعية . ونتيجة لهذا الاهتمام تم وضع قائمة بحقوق الانسان المعترف بها دوليا وقد ادرجت هذه الحقوق فى مواثيق ومعاهدات واتفاقيات وبروتوكولات . ومع ذلك لازالت هذه المواثيق دون تنفيذ . وعلى الرغم من انه جاء فى اعلان قيام الكيان الصهيوني فى الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ ان « الدولة ستعمل لخير كل سكانها وعلى أساس الحرية والعدالة والسلام ، وستعمل على المساواة الكاملة فى الحقوق السياسية والاجتماعية لكافة المواطنين دون تمييز على اساس العقيدة أو العرق أو الجنس » وقد شكلت الممارسات الصهيونية ، منذ البداية ، خرقا صارخا لأبسط قواعد حقوق الانسان ابتداء باحتلال الأرض والارهاب الذى تشهد عليه مذبحة دير ياسين الجماعية فى التاسع من نيسان ١٩٤٨ والذى قتل فيها نحو ٢٥٠ شخصاً (١) وطرد السكان المدنيين اثر موجة الأرهاب التى ساهمت فى تفريغ قرى بكاملها مثل : صفد وقالونية وبيت اكا (٢) .

وما زالت « اسرائيل » مستمرة فى انتهاك حقوق الانسان ضاربة عرض الحائط العديد من قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة التى اعترفت بان للشعب الفلسطيني الحق فى « حقوق متساوية فى تقرير المصير (٣) طبقا لميثاق الأمم المتحدة » . وقد طالبت المنظمة الدولية فى العشرات من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة بضرورة السماح للشعب الفلسطينى بالعودة الى وطنه وممارسة حقوقه الوطنية .

وتؤكد التقارير الصادرة عن الهيئات القانونية التابعة للأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ استمرار العدو الصهيونى فى انتهاكه لحقوق الانسان فى الوطن المحتل منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا . ومن ابرز الدلائل على ذلك :

أولا : ما ذكرته صحيفة « الواشنطن بوست » الامريكية مؤخراً نقلا عن برقيات واردة من القنصلية الامريكية فى القدس أن المعتقلين السياسيين العرب فى « اسرائيل » يتعرضون لعمليات تعذيب منتظمة خلال استجوابهم . وتقول الصحيفة « ان أعمال التعذيب هذه تشمل التبريد لدرجة التجمد واستخدام اشكال التعذيب وعدم توفير الغذاء » (٤) .

ثانياً أصدرت الرابطة الاسرائيلية لحقوق


حلمي التوني ٨٣

الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

الانسان بياناً ، فى أيلول الماضى نددت فيه بتعريض العديد من الطلبة العرب الى قيود وتفتيش ليلي وتقديم تقارير للشرطة بسبب اصدارهم بياناً يعبر عن آرائهم . وجاء فى البيان أيضاً أن هذا يعتبر طرداً للطلاب من الجامعة . وهو عبارة عن خطوة غير ديموقراطية ضد حقوق الانسان فى «اسرائيل» اذ انها تعطى الشرطة حق الملاحقة والتنفيذ دون السماح للمتهم بالكلام أو الدفاع عن النفس (٥) .

ولقد قام العدو الصهيونى بوضع العديد من التشريعات التى تهدف الى الغاء الصفة الفلسطينية وتقييد حرية الحركة ، وقامت الحكومة العسكرية بتشريع وممارسة ما من شأنه إبعاد الاهالى ومنع عودتهم . ومن القوانين التى ساعدت فى تحقيق انتهاك حقوق الفلسطينيين قوانين الدفاع والطوارىء لعام ١٩٤٥ ، وقوانين الدفاع (المناطق الأمنية) لعام ١٩٤٩ ، وقانون املاك الغائبين لعام ١٩٥٠ ووضع أملاك الفلسطينيين تحت الحراسة ، وقانون استغلال الأراضى غير المزروعة ، وقانون العودة لعام ١٩٥٠ ، وقانون الجنسية لعام ١٩٥٢ (٦) .

ولا يتسع المجال الا لاستعراض بعض الأمثلة المأخوذة من مصادر عديدة والتى تؤكد انتهاك العدو « لحقوق الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة»:

الاضطهاد السياسى :

تنص المادة الثانية من « الاعلان العالمي » « لحقوق الانسان » ان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الاعلان بصرف النظر عن الجنس واللغة أو الدين أو الرأى السياسي أو أى رأى آخر ، أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الميلاد أو أى وضع آخر ، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء . وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أى تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولى للبلد أو البقعة التى ينتمى اليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتى أو كانت سيادته خاضعة لأى قيد من القيود . كما جاء فى المادة التاسعة عشرة أن لكل شخص الحق فى حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » .

لكن حرية التعبير والتنظيم التى وردت فى الاعلان ليس معترفاً بها للفلسطينيين . فقد جاء فى صحيفة « هارتس » الصهيونية الصادرة فى ١٩٧٣/٥/٧ ان الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله الغي تصاريح تجار رام الله والبيرة باستيراد المواشى فى الضفة الشرقية واعلن انه لن يسمح بتسليم مبلغ ١٠٠ر٠٠٠ دولار تبرع بها المهاجرون الفلسطينيون من رام الله وذلك بسبب اضراب سلمى قام به سكان المدينة (٧) .

لا تسمح سلطات الاحتلال « لرؤساء البلديات فى الضفة الغربية وغزة الا بالقليل من النفوذ ، وتحتفظ للحاكم العسكرى بحق البت فى كل القرارات الهامة ». ويقول بسام الشعكة رئيس بلدية نابلس ان «اسرائيل» تحاول التقليل من سلطة رؤساء البلديات بجعل ارتباط الناس وتعاملهم المباشر مع الحكام العسكريين فى كل منطقة (٧) وبالاضافة إلى ذلك فان رؤساء البلديات ليسوا محصنين ضد الاهانات التى تصيب باقى الفلسطينيين ، وقد وصف كريم خلف رئيس بلدية رام الله حادثاً حصل معه فى ١٩٧٦ عندما استقال هو وغيره من رؤساء البلديات احتجاجاً على قمع سلطات الاحتلال لمظاهرات الطلاب الفلسطينيين ويتلخص فى أن الجنود الاسرائيليين اقتحموا منزله وجمعوا أقاربه وأطلقوا النيران فوق رؤوسهم (٨) .

قامت « لجنة الطلاب العرب فى الجامعات الاسرائيلية » بتوزيع بيان اعلنوا فيه تأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية . وفى اليوم نفسه اعلن الحاخام مائير كاهان رئيس « عصبة الدفاع اليهودية » الصهيونية المتطرفة أن الطلاب العرب يعتبرون بمثابة « قنبلة موقوتة فى الدولة اليهودية » وطالب بطردهم من الجامعات وانزال اقصى العقوبات بحقهم (٩) .

أعلن العمال والمستخدمون الفلسطينيون فى بلدية الناصرة اضراباً وذلك احتجاجاً على المعاملة السيئة ، والمطالبة بالمساواة مع زملائهم اليهود . فعلى سبيل المثال تلقت بلدية الناصرة العربية والتى يسكنها ٤٥ر٠٠٠ نسمة ٤ر٥ مليون دولار بينما حصلت الناصرة العليا حيث يسكن ١٨ر٠٠٠ يهودى على ٨ ملايين دولار (١٠) .

العقوبات الجماعية

نصت المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف على انه « لا يجوز معاقبة شخص لمخالفة لم يرتكبها شخصياً » . ونصت المادة ٢٢ من الاعلان العالمى لحقوق الانسان انه (لا يتعرض أحد لتدخل تعسفى فى حياته الخاصة او أسرته او مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته . ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات) . بيد ان سلطات الاحتلال الصهيونى لا تقيم وزناً للأعراف والمواثيق الدولية . وهى لا تتردد فى فرض حظر التجول . وفرض الحصار على المناطق والقرى والمخيمات الفلسطينية واطلاق الرصاص دون سابق انذار على كل من يخالف ، وفرض القيود على بيع المنتوجات وحتى تدمير المنازل وتدمير قرى باكملها . وسنكتفى هنا بعرض بعض الأمثلة التى تتحدث عن نفسها :

● دمرت سلطات الاحتلال بلدة قلقيلية عام ١٩٦٧ بالديناميت ونهبتها . كذلك تم تدمير وطمس قرى عمواس وبيت نوبا ويالو (١١) .

● ذكرت صحيفة « تسوهاديريخ » الصادرة فى ١٩٦٩/٥/١٤ ان منزل السيدة عايدة عيسى سعد فى غزة نسف فى ١٩٦٩/٣/٢٠ م رغم انه ليس ملكها أو ملك والديها . وعندما سئل وزير الدفاع الصهيوني موشيه دايان عما اذا كان هذا العمل من قبيل المسؤولية الجماعية للعائلة عن أفرادها اجاب « نعم » (١٢) .

● يفرض منع التجول على قرى باكملها انتقاماً لاضراب أو تظاهرة . فى عام ١٩٧٦ على سبيل المثال فرض منع التجول غير مرة على مدن الخليل وجنين ورام الله ونابلس والبيرة وحلحول وطولكرم وعلى المخيمات الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وكل هذه الاجراءات كانت تتبع تظاهرات معادية للاحتلال (١٣) .

● دمرت بيوت لأشخاص من المعتقد ان لهم علاقة بالارهاب وفى حالات أخرى اغلق

المنزل وطرد سكانه مع عائلاتهم . وفي السنة الماضية دمر منزلان على الأقل واغلقت ستة منازل أخرى (١٤) .

طرد الأهالي وترحيلهم

تنص اتفاقية جنيف الرابعة على انه لايجوز «نقل الأفراد أو الجماعات بالقوة وترحيل الأشخاص المحميين من اراضي محتلة الى اراضي القوة المحتلة أو الى أي بلد اخر محتل أو غير محتل مهما كانت الدوافع » . ونصت المادة التاسعة من « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » على انه« لا يجوز القبض على أي انسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً » . ونصت المادة الثالثة عشرة من الاعلان على أن « يحق لكل فرد ان يغادر اية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة اليه » ونورد في ما يلي بعض الأمثلة التي تشير الى انتهاك العدو لهذه المواثيق :

● « جاء في صحيفة « معاريف » الصهيونية الصادرة في ١٩٦٨/١٠/٣٠ ان عشرة فلسطينيين معروفين طردوا الى الأردن ومن بينهم رئيس جمعية المعلمين في الضفة الغربية ورئيس جمعية الهلال الأحمر وثلاثة معلمين ومفتش في التعليم » (١٥) .

● ذكرت صحيفة هارتس (٢٨/١٠/ ٧٩) ان امرأتين هما أمينة سر الجمعية النسائية في نابلس وابنتها طردتا الى الضفة الشرقية لنهر الأردن (١٦) .

● وجاء في هارتس ١٩٦٩/٥/٢١ ان قبيلة بدو بأكملها طردت من وادي الأردن (١٧) .

● « في الساعة ١١ر٣٠ مساء في ٢٠/١١/ ١٩٧٤ تلقي الدكتور حنا ناصر رئيس جامعة بيرزيت مكالمة هاتفية من الحاكم العسكري لمنطقة رام الله تدعوه فوراً إلى مكتب الحاكم العسكري . وايقظ الدكتور ناصر عدداً من اعضاء الهيئة التدريسية في جامعة بيرزيت واخذهم معه . وفي مكتب الحاكم العسكري فصل الدكتور ناصر عن باقي أعضاء الهيئة التدريسية وبعد ساعة اخذت اوراقه الثبوتية واحاط به مجموعة من الجنود وعصبت عيناه ووضعت السلاسل في يديه ووضع في سيارة كان فيها ثلاثة فلسطينيين ــ مهندس ومدرس وطبيب أسنان ، واخذ الأربعة الى الحدود اللبنانية واجبروا على الدخول الى الأراضي



اللبنانية عبر تضاريس جبلية وحقول الغام . ولم توجه أي تهمة لأي منهم لكنهم اتهموا بعد طردهم بالانتماء إلى منظمة التحرير الفلسطينية . ويقول الدكتور ناصر ان لا أحد منهم كان له علاقة بالمنظمة » (١٨) .

● نشرت جمعية الأمريكيين للسلام في الشرق الاوسط تقريراً في كانون الاول ١٩٧٧ جاء فيه ان ١٥٠٠ فلسطيني من الضفة الغربية وغزة طردوا منذ عام ١٩٦٧ من قبل السلطات العسكرية الاسرائيلية ... ويحتوي التقرير على أسماء الذين طردوا وتواريخ الطرد والأعمار والمهنة ومكان السكن ومصدر المعلومات . (١٩)

الاعتقال الاداري واوضاع السجون

● تنص المادة الخامسة من «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» على ان «لا يعرض أي انسان للتعذيب ولا للعقوبات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة» وتنص المادة الحادية عشرة أن «كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً حتى تثبت إدانته قانونياً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه». الا أن عدداً لايحصى من التقارير الرسمية تؤكد استخفاف العدو بالاعتراف بالمواثيق الدولية :

● في عام ١٩٧٥ اعترفت سلطات الاحتلال الصهيوني بوجود ١٨٠٠ معتقل اداري في المناطق المحتلة . ويمضي الكثيرون من هؤلاء فترة طويلة دون محاكمة ، واحياناً يطلق سراحهم قبل تقديمهم للمحاكمة ، ويوافق الكثير منهم على الهجرة أو كما يطلق على الموضوع رسمياً «يوافقون على طردهم» . (٢٠)

● ذكرت صحيفة «تسوهاديريخ» الصادرة في ٦٨/٩/٤ أن المعتقلة عبلة طه قالت في مقابلة مع المحامية فيليسيا لانغر انها تركت عارية بعد اعتقالها لمدة ثمانية أيام في زنزانة ، وضربت بوحشية حتى بدأت تنزف . ذلك أنها كانت حاملا ورفض طلبها للعلاج . كما روت لطيفة الحوراني للمحامية قصة مماثلة . (٢١)

● اعتقل الطالب عبد الرحمن الجاسم في تشرين الاول ١٩٦٨ وهو طالب ثانوي من غزة وبقي ١٠ أشهر ينتظر المحاكمة واحتج على التعذيب ثم الغيت تهمته ولكن لم يطلق سراحه وبقي في المعتقل . (٢٢)

● اعتقل الطالب حسن عيسى الباطات وعمره ١٥ عاماً وذلك في عام ١٩٦٨ بتهمة عدم وجود بطاقة «هوية» معه ، ورغم انه فسر للسلطات أنه لا يعطى بطاقة هوية لان عمره ١٥ عاماً فقط الا أنه أخذ الى سجن الخليل وضرب على رأسه وتوفي بعد ساعات من الافراج عنه وقال طبيب محلي أن سبب الموت إصابة في الدماغ . (٢٣)

● ذكرت جمعية الصليب الاحمر الدولي في تقريرها لعام ١٩٦٨ أن عدداً من المعتقلين يتعرض للتعذيب أثناء الاستجواب من قبل الشرطة العسكرية ويأخذ التعذيب الأشكال التالية :

ــ التعليق من الأيدي لساعات حتى يفقد المعتقل وعيه .
ــ الحرق باعقاب السجاير
ــ الضرب على الأعضاء التناسلية
ــ الربط وعصب الاعين لايام طويلة
ــ عض الكلاب
ــ استخدام الكهرباء على الرأس والفم والصدر والاعضاء التناسلية . (٢٤)

● وجاء في تقرير جاء عن لجنة خاصة تابعة للأمم المتحدة «ان الصور التي تكونت لديها تشير الى أن المعتقلين في الأراضي المحتلة يتعرضون لمعاملة لا يمكن وصفها بشيء غير أنها تعذيب» . (٢٥)

● هناك دلائل تشير الى أن التعذيب يحصل في السجون الاسرائيلية بشكل منتظم وليس عملا يقوم به بعض المحققين بشكل فردي لكن الواضح ان المسؤولين الاسرائيليين الكبار على علم تام بكل ما يجري حيث ان هناك معسكراً مخصصاً لهذا الغرض وقد

الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

تاكدت صحيفة «صنداي تايمز» اللندنية من أن هذا الموقع هو على الاغلب سجن الصرفند وتقول الصحيفة أن هناك زنازين صغيرة بدون نوافذ يوضع فيها المعتقلون في الفترات ما بين التعذيب . (٢٦)

● ويحدث ان يختفي سجناء ولا تعرف أسرهم عنهم شيئا ومن هذه الحالات : وجدي قمحاوي (٢٧ عاما) محمد زايد (٤٤ عاما) ـ بسام هندي (٢١ عاما) ـ بسام أمير (٢١ عاما) وجميعهم من نابلس واعتقلوا في ٧٤/١/١٥ ولا يزال مصيرهم مجهولا . (٢٧)

استغلال الأيدى العاملة وسلب الأراضى الزراعية

تنص المادة السابعة عشرة من : «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» انه «لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا» أما المادة الثالثة والعشرون فتؤكد ان «لكل شخص الحرية في العمل وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة» وان «لكل فرد دون أي تمييز الحق في اجر مساو للعمل» وان «لكل شخص الحق في ان ينشيء وينضم الى نقابات حامية لمصلحته» .

لكن التفرقة واضحة بين العامل الفلسطيني والعامل الاسرائيلي . فالعمال العرب يتركزون في قطاع الخدمات والاعمال التي يانف العامل الاسرائيلي من القيام بها ويتعرض العامل العربي الى الطرد بحجة «أمن الدولة» وليس هناك من يدافع عن مصلحته بينما يعطى العمال الاسرائيليون كافة حقوقهم التي يرعاها «الهستدروت» بينما لا يسمح للفلسطينيين بتشكيل نقابات . ويواجه الفلسطينيون صعوبات كثيرة في الحصول على تصاريح التجارة والعمل ، بينما تجرى كل التسهيلات للعمال اليهود . وتفرض سلطات الاحتلال ضرائب باهظة على المصانع الفلسطينية مما أدى الى تناقص الانتاج في هذه المصانع . (٢٨)

وفي كثير من الاحيان يوضع العمال الفلسطينيون في مساكن في المصانع الاسرائيلية هي أقرب الى الاسطبلات منها الى المنازل وتغلق عليهم الابواب كل مساء وذات مرة حصل حريق نتج عنه احتراق ثلاثة منهم (٢٩) في غرفتهم لأن الباب كان مقفولا من الخارج .

ومن صور الاستغلال للعمال الفلسطينيين أيضا أن سلطات الاحتلال الصهيوني تخصم ٤٠٪ من أجر العامل الفلسطيني للتامين رغم انه لا يتمتع باي من الضمانات التي يتمتع بها العامل اليهودي مثل العطل المدفوعة ، والتامين الصحي ، والتامين ضد البطالة ، وتعويض التقاعد . وقدرت المبالغ التي أخذت للخزينة الاسرائيلية من الخصومات بمبلغ ٢٦٠ مليون دولار في الفترة ما بين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٤ .

وفيما يتعلق بالاراضي الزراعية فقد كان هناك تفرقة دائما بالنسبة للري واسعار المحاصيل الزراعية بين الاراضي الفلسطينية وبين تلك التي يمتلكها اليهود ومن الامثلة على هذه التفرقة :

● كانت نسبة الري حسب احصاءات عام ٦٢ ـ ٦٣ للاراضي اليهودية ٥ر٤٥٪ وللاراضي الفلسطينية ٨ر٣٪ وفي عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ كانت النسبة ٩ر٤٣٪ للاراضي اليهودية و ٣ر٦٪ للاراضي الزراعية الفلسطينية (٣١) .

● كان سعر طن زيت الزيتون الاسرائيلي في عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ يبلغ ٨ر٩١ ليرة اسرائيلية وسعر طن الزيت الفلسطيني ٠ر٧٠ ليرة اسرائيلية (٣٢) .

هذا بالاضافة الى مصادرة الأراضي «لاسباب عسكرية وأمنية»

● قدر الدكتور أ . باركجيان مبعوث الأمم المتحدة أن سلطات الاحتلال الصهيوني سلبت ٢٥٪ من أراضي الضفة الغربية بين ١٩٦٧ ـ ٧٧ وقد وضعت هذه السلطات تشريعات وقوانين لتحقيق هذه الغاية ومنها أملاك الغائب والأراضي غير المستصلحة وغيرها (٣٣).

● وجدت بعثة المحلفين الدولية في عام ١٩٧٧ أن أغلبية الاراضي التي اقيمت عليها المستوطنات الاسرائيلية هي أراضي مصادرة أو مسلوبة . (٣٤)

تنص المادة الثامنة عشر من : «الاعلان العالمي لحقوق الانسان» أن «لكل شخص الحق في حرية التفكير والدين . ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر ومراعاتها سواء كان ذلك سرا أم مع جماعة » الا ان سلطات الاحتلال الصهيونية لا تراعي هذا النص وتمضي في انتهاك المقدسات والحرمات دون مراعاة المشاعر الدينية للفلسطينيين .

● فقد نهبت المساجد والكنائس والمتاحف وكان من بين المسروقات تاج أثري من الذهب الخالص كان يجلل رأس السيدة العذراء في كنيسة القيامة عام ١٩٦٧ . (٣٥)

● كما طبقت السلطات الصهيونية عام ١٩٦٧ قانون الاحوال الشخصية في اسرائيل على المسلمين ودمرت مسجدين صغيرين في الحي العربي من القدس . (٣٦) كما قامت باحراق المسجد الاقصى في اب عام ١٩٦٨ .

● ذكرت صحيفة الجيروزالم بوست الصهيونية الصادرة فى ١٩٧٣/٢/١٦ ان عبد الحميد شرف مندوب الأردن الدائم لدى الأمم المتحدة اتهم السلطات الصهيونية بهدم سور داخل المسجد الأقصى فى المدينة القديمة نتيجة الحفريات (٣٧) .

● وذكرت صحيفة (الديلى ستار) اللبنانية فى ١٩٧٣/٩/١٢ ان وجهاء الضفة الغربية وقطاع غزة طلبوا من موشى دايان والحاكم العسكرى لغزة وقف العمل فى موقع يعتبر مقبرة اسلامية بعد ان رفعت الجرافة الاسرائيلية جماجم ٢١ طفلا (٣٨) .

● وجاء فى صحيفة دافار (٧٣/٢/٨) ان الهيئة الاسلامية العليا احتجت على تدمير مساكن عربية فى باب السلسلة واعتبرتها تغييراً لمعالم المدينة المقدسة (٣٩) .

● وأشارت صحيفة الديلى تلغراف اللندنية فى ٧٣/٢/١٣ الى أن أربعة من « عصبة الدفاع اليهودية » المتطرفة قاموا باشعال النار فى مركز البعثة الانجيلية فى جبل الزيتون وان عشرات النسخ من الكتاب المقدس قد اتلفت نتيجة للحريق (٤٠) .

التفرقة العنصرية

نصت المادة الثانية والعشرون من « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » على ان « لكل شخص بصفته عضواً فى المجتمع الحق فى الضمانة الاجتماعية ... والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التى لا غنى عنها لكرامته للنمو الحر لشخصيته » ونصت المادة الخامسة والعشرون على ان « لكل إنسان الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته ويتضمن

تلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة . وله الحق فى تأمين معيشته فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته » ونصت المادة السادسة والعشرون على ان « لكل شخص الحق فى التعليم . ويجب أن يكون التعليم فى مراحله الأولى والاساسية على الأقل بالمجان » .. « وان للآباء الحق الأول فى اختيار نوع تربية اولادهم » وان « لكل فرد الحق فى حماية المصالح الأدبية والمادية والمترتبة على انتاجه العلمي والاستفادة من نتائجه » .

ويلاحظ المرء أن السياسة الصحية والاجتماعية والتعليمية التى ينتهجها العدو هى امتداد للسياسة العسكرية والسياسة فى الأراضى المحتلة .

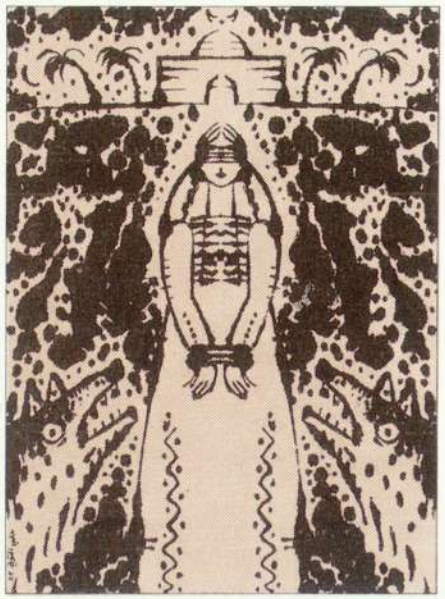
يسعى العدو « الى تشجيع الفلسطينيين على الاعتماد على خدماته الصحية وذلك باتباع أساليب تمنع تطور المؤسسات الطبية الفلسطينية وتحسين الخدمات الطبية الموجودة لدى العرب الفلسطينيين (٤١) .

● فقد منعت السلطات الصهيونية جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني من جمع التبرعات ومن المعروف أن الجمعية تعتمد على التمويل الخاص وتقدم خدماتها مجاناً . كذلك لا يسمح لها بتلقى الادوية من الخارج أو شرائها باسعار مخفضة مثلها مثل المؤسسات الصحية الرسمية الأمر الذى حال دون تطور الجمعية (٤٢) .

● وعلى الرغم من أن الحاجات تزايدت فى النواحى الصحية الا ان السلطات الاسرائيلية تعطي موارد تكفى فقط لابقاء المؤسسات الصحية على حالها الذى وجدت عليه عام ١٩٦٧ . فعلى سبيل المثال كان عدد الأسرة فى المستشفيات الحكومية فى الضفة الغربية : (فيما عدا مستشفى الأمراض العقلية فى بيت لحم) فى ١٩٦٨ حوالى ٦٢٣ وفى عام ١٩٧٧ اصبح ٦٢١ سريراً وهذا يعنى تدهوراً كبيراً لو اخذنا فى الاعتبار الزيادة السكانية (٤٣) .

● استولت سلطات الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٨ على ثلاثة مستشفيات فى رام الله والقدس ونابلس وحولتها الى مراكز للشرطة (٤٤) .

● أكد ان الدكتور سمير كاتبه ان هناك نقصاً فى الاخصائيين وهذا راجع لرفض



السلطات الصهيونية السماح للطلبة الفلسطينيين الذين درسوا الطب فى الدول العربية والأجنبية بالعودة الى وطنهم واضاف أن هناك ٨٠٠ طبيب فلسطينى فى المانيا الغربية قدم الكثير منهم طلبات للعودة ورفضت طلباتهم (٤٥) .

● وقال الدكتور عبد الرحمن نزال ان الميزانية الصحية السنوية للضفة الغربية كلها لا تزيد على ٦ ملايين دولار بينما تبلغ الميزانية السنوية لمستشفى شعار زيديك الاسرائيلى فى القدس الغربية ١٠ مليون دولار (٤٦) .

أما بالنسبة للاوضاع التعليمية فانها لا تقل سوءا عن الأوضاع الصحية فقد فرضت سلطات الاحتلال الصهيونية تدريس العربية العامية فى كل المدارس الابتدائية فى اسرائيل على اعتبار ان العربية الفصحى لغة اجنبية ومجرد درس ثانوى فى المدارس الثانوية فقط (٤٧) .

● يعاني الطلبة الفلسطينيون فى الجامعات العبرية من تفرقة عنصرية . فقد حدث اثناء انتخابات مجلس الطلبة فى جامعة حيفا في آذار ١٩٧٣ أن اهان مرشح القائمة الصهيونية الموحدة « امنون انجل » مجموعة من الطلبة الفلسطينيين المشاركين فى الانتخابات بأن قال لأحدهم علناً « لماذا يعطى كل عربي قذر هنا ورقة للانتخاب ؟ لقد قتلت الكثير من الفلسطينيين امثالك لدرجة انني اتمنى ان يكون في جيبي نقود بعدد الذين قتلتهم » (٤٨) .

● أوضح الدكتور غابي برامكى عميد جامعة بيرزيت ان الضرائب التى تفرضها الحكومة الاسرائيلية على اللوازم والكتب التى تشتريها الجامعة تعيق عمل الجامعة واضاف ان الجامعات العبرية معفاة من مثل هذه الضرائب والرسوم . واحياناً تضطر جامعة بير زيت الى الاستغناء عن كثير من لوازم المختبرات والابحاث لغلاء ثمنها . ومما يعيق عمل الجامعة أيضاً منع استلامها دوريات باللغة العربية من الدول العربية وطرد افراد من الهيئة التدريسية أو عدم منح اذن اقامة لأساتذة آخرين (٤٩) .

● اتهمت منظمة اليونسكو فى عام ١٩٧٤ سلطات الاحتلال الصهيونى بأنها تتبع سياسة تهدف الى « احداث شلل فى الثقافة الفلسطينية » وقالت اليونسكو ان المناهج التعليمية غيرت واجريت تعديلات فى الكتب المقررة وحظر استخدام كثير من الكتب المدرسية (٥٠) .

● قالت السيدة سميحة سلامة خليل رئيسة جمعية رعاية الأسرة فى البيرة ان الجمعية التى تعمل كمركز ثقافى ومركز للتدريب المهنى للفتيات الفلسطينيات افتتحت عام ١٩٧٥ بعد انتظار أربع سنوات للحصول على تصريح من الحاكم العسكرى لمنطقة رام الله . واضافت ان الجمعية تتعرض لمضايقات السلطات العسكرية ومن الدلائل على هذه المضايقات مصادرة السلطات العسكرية الاسرائيلية بأمر من الحاكم العسكرى ماكينات الخياطة التى تستعمل فى التدريب . ولقد منعت الرقابة الاسرائيلية نشر وصفات لاطباق فلسطينية أو صور للازياء الفلسطينية فى الكتاب السنوى الذى تصدره الجمعية فى محاولة لمنع الجهود المبذولة للمحافظة على التراث الفلسطينى (٥١) .

يشير كل ما تقدم الى ان العدو الصهيونى ما زال ماضياً فى انتهاك حقوق الانسان والحريات الأساسية فى الأراضى العربية المحتلة رغم البيانات والقرارات الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن والهيئات والمنظمات واللجان التى حققت فى ممارسات السلطات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة والتى اجمعت على ادانة كافة الممارسات من ضم الأراضى واجلاء السكان ومصادرة الممتلكات العربية وتدمير المنازل والتعذيب والتعرض للحريات الدينية والحقوق والعادات العائلية والاستغلال غير المشروع للثروة الطبيعية والسكان . وحتى التقرير السنوى لوزارة الخارجية الامريكية عن حقوق الانسان « انتقد اسرائيل بشدة لسوء معاملتها لفلسطينيي الأرض المحتلة » .

د. عبد القادر ياسين

الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان في فلسطين

هوامش

(١) يعقوب خورى ، حقوق الانسان فى فلسطين ، (مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ١٩٦٨) ص ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٣) الذكرى الثلاثون ـ الأمم المتحدة وحقوق الانسان (الأمم المتحدة ١٩٧٨) .

4. T. R. Reid & Edward Cody. "Reports Indicate Israeli Abuse of Palestinians" **The Washington Post** (February 7, 1979).

5. "Israeli Civil Rights" **Middle East International** No. 92, P. 16.

6. M. Cherif Bassiouni, **The Palestinians' Rights of Self-Determination**, (Association of Arab-American University Graduates, December : 1978).

(٧) صحيفة « تسوغاديريخ ١٩٧٧/٩/٧ .

8. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** Report of the National Lawyers Guild (New York : 1978) P. 44-47.

9. "A Time for Israel", **Time** (February 19, 1979) P. 19.

10. **Ibid**, P. 19.

(١١) د. يعقوب خورى ، حقوق الانسان فى فلسطين المتحدة مركز الابحاث الفلسطينى بيروت : ١٩٦٨ ، ص ٥٦ .

12. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 15.

13. **Ibid**, P. 70.

14. "Israel & Human Rights" **Middle East International** (February 16, 1979) No. 93, P. 15.

15. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 19-20.

16. **Ibid**, P. 20.

17. **Ibid**, P. 20.

18. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 75.

19. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 74.

20. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 18.

21. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 23, 24.

22. **Ibid**, P. 24.

23. **Ibid**, P. 24.

24. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 103.

25. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 102.

26. **Ibid**, P. 114-115.

27. Adnan Amad, **Documents & Reports on the Israeli Violations of Human and Civil Rights.** (Beirut, 1975) P. 27.

28. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 35-40.

29. **Ibid**, P. 38.

30. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 38-39.

(٣١) صبرى جريس ، العرب فى اسرائيل (مؤسسة (٣٢) الدراسات الفلسطينية بيروت ، ١٩٦٨) ص ١٦٢ .

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٦٠ .

33. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 4.

34. **Ibid**, P. 6.

(٣٥) صحيفة السفير ٦٧/٨/٣ .

(٣٦) د . يعقوب خورى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦٠ .

37. **The Arabs Under Israeli Occupation 1973.** (The Institute for Palestine Studies) P. 3.

38. **Ibid**, P. 3.

39. **Ibid**, P. 6.

40. **Ibid**, P. 2.

41. **Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 47.

42. **Ibid**, P. 48.

43. **Ibid**,

44. **Ibid**, P. 50.

45. **Ibid**, P. 50.

46. **Ibid**, P. 50.

47. **The Arabs Under Israeli Occupation 1973.** Chapter P. 10.

48. Adnan Amad, **(The Shahak Papers)** P. 161.

49. **Treatment of P alestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza.** P. 51.

50. **Ibid**, P. 51.

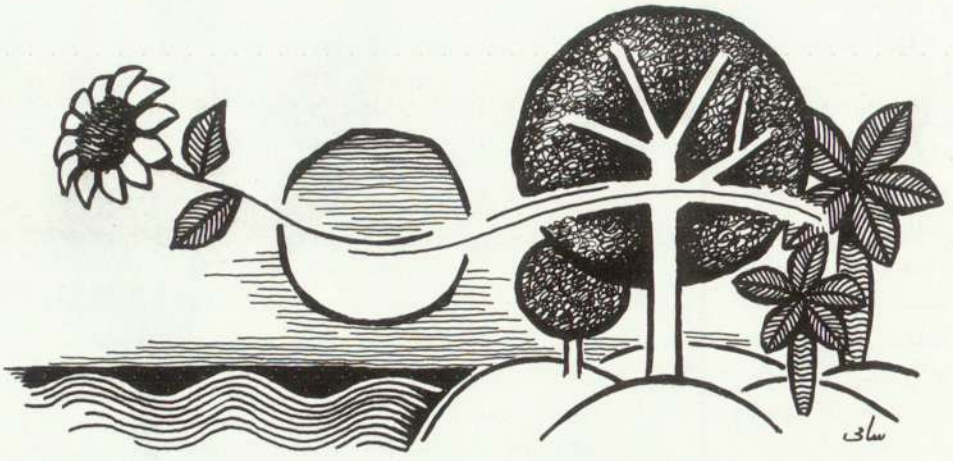
51. **Ibid**, P. 52.



شعر:
محمد الفهد العيسى

ذكريات

اثملتنى ذكرياتُ الأسي
(فى وادى مسَرَّه)
وشجانى بلبل الدوح ..
بشدوٍ آلِفتْهُ الروح ..
كم تغنيناه معاً الفَ مرَّه !!
كم تفيئنا غُيَيْمات هنا
ورعينا احرف الوجد - كَبُهْمٍ -
وسقينا واستقينا
من ينابيع المجرَّه
كم (سحبتُ) (القوسَ) لحناً
فوق اوتارِ (كمانى) ؟
كم تغنيتَ بشـــعرى ؟
(إيه يا وادى مسرَّه)
الأمسيات (القمريَّه) ..
كم ملأنا الكأسَ من شلالِ ضوءِ البدرِ ..
ونهلناه معاً
وغرسْنا كل حفا فى الدرب فيه
لهفةً
شوقً
شجونً
الف غِمرٍ من ورودِ الحب ..
اضحى شوك (سدره)



عبدالله جفري

الآن..

ماهو الثابت ؟!



«الآن» ...

كلمة كان يبحث عنها في الشروق وفي الغروب . ينبش الساعات ويفتت الثواني ليخرجها ـ زمناً ـ يوحد فيه بين البشر وعزلتهم .. بين عزلتهم ومحسوساتهم ودهشاتهم ونطاق عناصر الانسانية !!

كان يغوص في أعماقه ليمنح كل مافيها ، ويتحدث عن الحياة ونماذجها المدهشة ، ويردد : «الحياة على الأرض غير مشروطة بالخلود» ! .. لكنه كان يعشق خلوداً معينا .. تشرق في تضاعيفه أفكار تحارب التحليلات الاجرامية التي يتعقبها الناس ليتورطوا فيها ، وكان يحب «خلوداً» له وجهه الفلسفي المضيء باللمسات الانسانية .. تلك التي تتكشف احياناً في نفس درجة الارهاق ، والغيبية !!

وابتدأ «فرانسوا موریاك» رحلة طويلة في غابات البشر .. كان قد فتح نافذة كبيرة هي الرؤية الدقيقة ، وعاش سنوات يكتب الرواية الطويلة ، ويصوغ أشعاره المرهفة ، ويكتب تحليلاته ، وانطباعاته الصحفية . ويقف في داخل نفسه حائراً .. صارخاً .. يتواجد مرة ، ويتشرد مرات في دروب شائكة ، ومرعبة وسئل عما في داخله ، فأجاب :

ـ «أنا غيبي ـ ميتافيزيقي .. يشتغل المحسوس» !!

واهتم «موریاك» بأشياء الانسان الداخلية التي تشكل جوهره ويحاول اخفاءها .. وفجرها الانسان ليس احتفالا معلناً تتردد في جنباته الاصوات العالمية . ان الانسان منعزل ، ومجرد .. غير أن احتكاكاته ، واصطداماته تجعل منه طغياناً جباراً من الماديات على أصائل النفس ، وجوهرها . وموریاك يقول : «ان البشر كثافة انسانية ، وهذه الكثافة تتطور ، وتعتمل من تلقاء نفسها ، لكنها في تطورها ، واعتمالها تتوازعها أدوار البطولة الشريرة في التعامل البشري ، وتعتسفها « مأسي الوصول الى المستحيل» .. بينما هي تعسف كل محصولها من العلم .. أن الانسان في غمرة هذا يعاني من عزلة النفس ، وتواجد الروح !!

● ●

لقد مات «فرانسو موریاك» قبل سنوات وكان قبل موته بأيام قليلة يترقب الموت .. الذي فلسفه في كلمته الأخيرة : «الآن» ! .. فكل امرىء يجري على طرقات الحياة ليموت .. انه يعمل ، ويشقى ، ويحب ، ويتعذب ، ويفرح لانه سيموت .. والموت هو نتيجة تلك الكثافة ، وذلك الاعتمال .

وفي حياته الطويلة الحافلة .. قدم «موریاك» اعمالا أدبية ضخمة ، وكتب الرواية الفرنسية المعاصرة التي صور فيها اضطراب الانسان وهو يتساءل : كيف يقدم تمييزاً للاشياء المنتصبة ، والاشياء المنعدمة ؟!

ان الانسان مطحون باختلاط الانتصاب ، والانعدام .. ومن خلال رؤية «موریاك» لهذا العالم المتفجع ، والمنكفىء .. مارس حضوره ، وغيبته ، واستبقى في ذاته القلق الصاهر الذي انطلق كما جواد أصيل يرتاد به نفوس الآدميين ، ويقتحمها ، وقد قيل :

● «ان عالم موریاك كعالم بروست .. موجود فيما وراء وخارج روابطه .. مع عالم واقعي ، انه التراب الذي تنبت فيه وترتفع مخلوقات لا تتوقف عليه فقط» !!

وكان «موریاك» خلف ، وفي غمار تلك المخلوقات لا يتوقف فوق التراب ، ولا يرحل عنه .. انه يستبدل الانسان احياناً بالوردة المتفتحة ، واحياناً يستبدله بالمستنقع الآسن المولد للجراثيم ، والامراض الفتاكة .. ذلك ان المخلوقات تقتل نفسها بحدودها ، وبخيالاتها ، وبواقعيتها ، وبرغباتها .

ان الانعدام لا يبدو جزئياً كلما كان صوت الانسان أعلى من مطالبه .. كذلك فان المطالب الدنوية تقسرك أن تصنع عملة توصلك الى الخسارة !!

وفيما قرأت .. عبارة قالها ـ جاك روبيشون ـ الفرنسي عن أدب موریاك .. تقول :

● «موریاك دجن الانسان الآبد ، وباربعين سنة من التمرين . فان الرواية المورياكية ـ نسبة الى موریاك ـ هى الوحيدة في عصره التي تستطيع ان تحملك على القول : هذا من موریاك ، كما كان يقال في السابق : هذا من بلزاك . وعالم موریاك مغلق .. بل الأكثر اغلاقاً والأكثر خصوبة بين جميع الاكوان المختلفة» !!

لقد أعطى «موریاك» في الرواية تعبيراً عن واقع وحالة ونفسية الانسان .. ما بين الانغلاق ، والخصوبة . وهو قد تسنم مكانة شامخة في الأدب العالمي المعاصر .. حتى منحوه عطاء بلزاك لحضارته وفكره .

ان أعماله الروائية اهتمت ـ كما قال هنري سيمون ـ : « بجعل عالم الجسد محسوساً وواقعياً في كل مكان ، ومتخلصاً من كل مقصد يشير الى تصوير الوجود» ...

كان يعني «موریاك» بما قدمه ان الأشياء المترابطة ، والدالة على الحياة ، والمؤثرة فيها لا يمكن تجزئتها ، وفصلها . ان ما نستطيع ان نقرر انه عيب هو أصل في نوازع البشر ، وان الجدل احياناً «يدوكر» العيوب حتى يستسيغها الانسان كتعامل ، وكاستعارة مسلكية فى واقـــع مضـــخم بالتطـــورات ، وبالانبجاسات!! ولقد تأملت عبارات متعاقبة تنفس بها «موریاك» قبل أن يعلن عن قدوم موته .. فرأيته فيها زوابع عصفت زمناً ثم انكسرت وتلاشت بفعل السنين ، ورأيته فيها احساساً غنياً أفرط في الاضافات الانسانية نحو بشر استحقوا حماقة تكثفهم ، ولكنه تشبث بالحب ، والتزم بالمحاولات التي تبدأ بها الانثى الداخلة حياة الذكر كأنما للمرة الاولى ، ولا تعترف ولا يهمه فيها سوى الوقفة الفريدة التي تستمر طالما تواجد احساس الرجل بعيداً عن انعداميته ، وغيبيته !!

رأيت «موریاك» الذي عاش طفولة حزينة ومنعزلة ، وتربى تحت وقع الصرامة .. وهو يتطلع من حوله ، وكأنه يتساءل : هل كل الناس مثلي ؟!

واذا لم يكن كل الناس مثله .. فلأن المرء وحده لا يرى في غيره الا نفسه ، وبالصورة المعاشة ، وبالصورة المأمولة ، والتي يحلم بها . والآن «موریاك» هو ذلك الفنان الأصيل والمأساوي والضاج بالاحتجاج والرفض فقد تناول ما حوله لحظة بحث مضن عن الحب والفرح ، لذلك فقد تحدث «ناقد» عن هذا الجانب الصميمي في معاناة ، وتفكير «موریاك» فقال يصفه :

● «يستطيع ـ موریاك ـ ان يفتخر بأنه وصف عشرين مرة ـ دون تطاول غيبي ـ مأساة الوصول المستحيل للنفوس خلال الاجسام ، وبأنه وضع في قلب مبتدعاته العطش الذي لا يرتوي لقفر الحب» !!

● ●

وعبرهذه الرحلة الطويلة من الحياة ، والتأمل ، والتفكير ، والاقتناع .. أعطى «موریاك» أدباً حياً ، وأديباً مسعداً .. من تضاعيف التعاسة فيه ، وأبدع في استنطاق مضامين الانسان ، واستشرافاته ، وارتطاماته .. وفي النهاية ، وقبل أن يتوقف نبض هذا الانسان قال :

«كل شيء مركما لو أن الباب قد أقفل الى الأبد في داخلي . الآن .. في الساعة الأخيرة لا أحد يستطيع أن يتكهن . حتى التظاهر بالاستسلام للموت لا يثبت شيئاً» !!

«الآن» .. هذه الكلمة المتفاعلة ، والمتحركة ماذا تعني .. ماذا تثبت ؟!

ان الانسان لا يقدر أن يمتلك «الآن» ..

ان كل شيء في «الآن» هو محكوم لما يأتي بعده .

إن «الآن» وقفة دهشة ، وانشغال مؤقت .. ثم لا يبقى بعد ذلك شيء !!



د. عبد السلام العجيلي

بائعو الأوهام

هى امرأة بسيطة مصابة بداء فى الصدر . فى كل مرة كانت تراجعنى فيما كانت تحمل معها صورتها الشعاعية لأرى مدى سيرها نحو الشفاء . وكانت طبيعة دائها تتطلب أمدا طويلا من المعالجة والمراجعة . وفى ذات مرة جاءت من دون الصورة ، ولما سألتها عنها قالت انها احرقتها . لماذا ؟ تلعثمت فى البدء وغمغمت الكلام ، ثم اعترفت بأن تلك الصورة تمثل فى نظرها المرض الخبيث المعند على المداواة ، وانها اعتقدت ، أو أنها أملت ، انها حين تحرق الصورة تحرق ذلك المرض معها !

حنقت فى البدء لفعلة الامرأة التى حرمتنى من أداة ذات قيمة استعين بها فى مراقبة حالتها . ثم تملكتنى السخرية ولحقها الاشفاق لجهل هذه المسكينة وخضوعها لاوهام طبقتها المترشحة اليها من قصص السحر والسحرة .

كانت الساحرة ، فى الحكايات التى قرأناها فى صغرنا ، تفصل من الجلد أو الورق صورة من تريد أن تسحره ، ثم تغرس فى مكان القلب إبرة فيصاب ذلك المنكود على بعد آلاف الأميال بداء فى قلبه .. وهذه مثل تلك . لقد كنت واثقاً بأن مريضتى لم تحرق صورتها من عندها ، بل من وحي أحد اولئك الدجالين الذين يعيشون على ضعف عامتنا وجهلهم : كتب لها حجاباً واعطاها بخوراً ثم نصحها بأن تحرق الصورة ، ففعلت بعد ان دفعت له ما فيه النصيب ثمناً للحجاب والبخور والنصيحة ..

من ؟ وكيف ؟

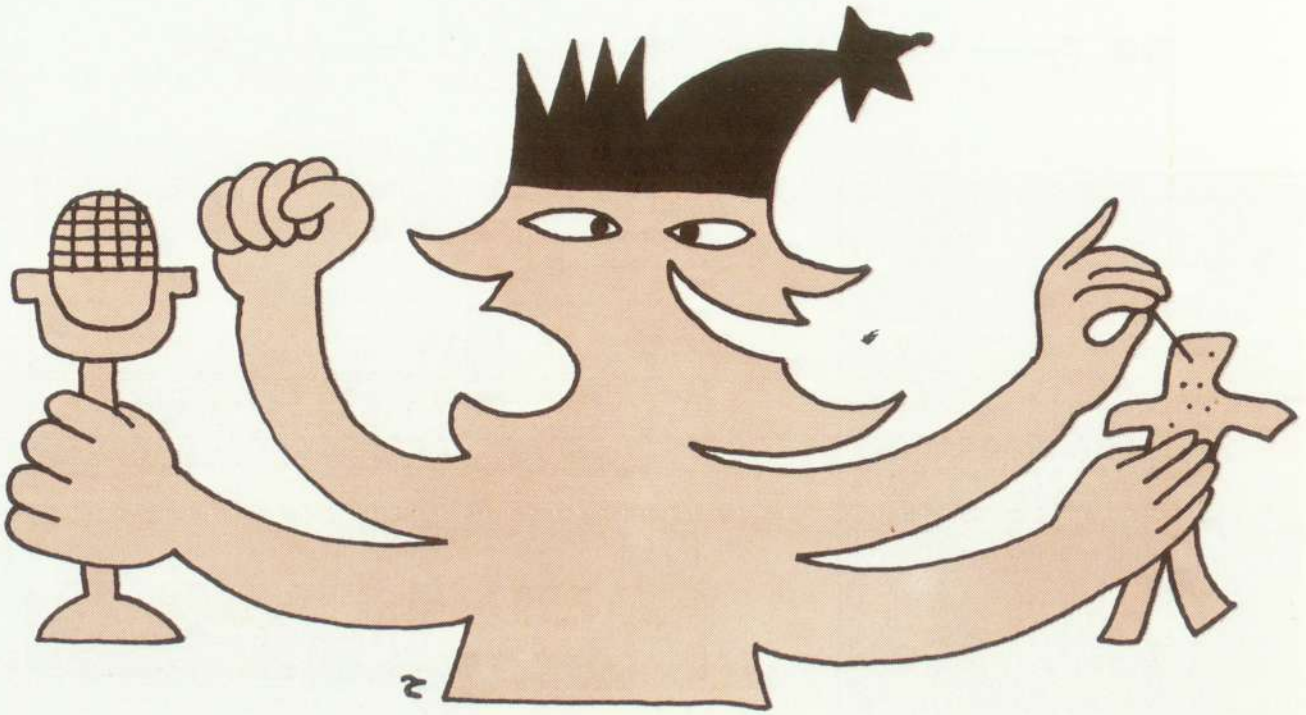
حنقت على مريضتي وسخرت منها ثم اشفقت عليها . ولكنى بعد ان امعنت فى التفكير وجدتنى التمس لها فى فعلتها الاعذار . ترى من يسلم المرضى الى الدجالين وباعة الأوهام غيرنا ، نحن الذى ندعى العلم ، فى ضعفنا وجهلنا ؟ كل هم هذه المريضة كان ان تشفى من دائها ، فلما وجدت ان الطب الرسمى لم يحمل إليها الشفاء الكامل والسريع قالت لنفسها : فلنجرب الآخرين ... إنهم ، مثل الأطباء ، رجال لهم عيون وآذان ، ولهم السنة أقدر على الاقناع وأساليب أكثر اجتلاباً للثقة ..

وحكاية الدجل ، أو بيع الأوهام فى الطب مثلها فى الفن مثلها فى السياسة ، قديمة قدم العالم . ومن الخطأ الظن بأن اللجوء إلى من يتاجرون بالوهم مقصور على العامة فى البلاد المتخلفة . إنه أمر شائع بين المتعلمين شيوعه بين الجهلة ، ومتفش فى الغرب تفشيه فى الشرق . تقول آخر الاحصاءات مثلا ان فى فرنسا سبعين ألف طبيب مجاز ، وفيها الى جانبهم أربعون ألف متطبب ممن يبيعون قليلا من العلم مجبولا فى كثير من الوهم . وهؤلاء يجدون صيدهم فى مختلف طبقات المجتمع ، ويثرون من تجارتهم أكثر مما يثرى من علمهم وتجربتهم فطاحل الطب واساتيذه .

فكيف تروج فى هذا العصر الذى تستند مدنيته على العقل ومعطياته بضاعة بائعى الأوهام ، رواجاً يقارب رواجها فى عصور الجهل والاظلام ؟

حين يتحول الحنظل عسلا

ربما كان أهم الأسباب فى رواج تلك البضاعة ان المجاهيل فى الحياة ، سواء فى جسم الانسان أو فى تقلب الأحوال الجوية أو فى سياسة الدول ، لا تزال أكثر من العناصر المعلومة فيها . لذا يظل العقل عاجزاً عن أن يسيطر السيطرة التامة على مصير الانسان أو ان يجد كل الحلول لمشاكله . فتتدخل النفس عندها لتبحث عن حلول للقضايا المعقدة بطريقتها الخاصة .



النفس لا تستسلم إلى اليأس بسهولة وتبحث عن الأمل ولو فى الوهم . فالمريض الذى لا يجد من يحمل إليه الشفاء بين الأطباء الحقيقيين ، مثل صاحب المشكلة الذى لا يجد فى طرق المعقول حلا لقضيته المستعصية ومثل الشعب الذى لا يجد من يخرجه من مأزقه بين رجال الدولة الاكفاء ، لا ييأس .. بل يبحث عن من يقوده إلى السلامة فى عالم آخر غير عالم المعقولات . اعني فى عالم الغيبيات التى تعجز عن التغلغل فى كنهها العقول .

وهنا يسيطر من يحوز قوة الاقناع والقدرة على الايهام إلى درجة يسقى بها العلقم موهماً من يسقيه بأنه الشهد ، ويلقى على النكبات الأضواء من زوايا بارعة تبدو فيها كأنها أشباح انتصارات ، ويرسم العضو المريض على ورقة يحرقها مدعياً أنه احرق المرض واستجلب الشفاء ..

بغير هذا لا يمكن ان نفسر كيف يؤمن كثير من المتعلمين تعليماً عقلانياً بخرافات التنجيم والطوالع الفلكية ، وكيف تغص اوكار المتطببين بطالبى الشفاء من كل الطبقات ، وكيف تلتف الأمم أحيانا حول قادة لم تجلب سياساتهم على اممهم غير الخسائر والنكبات .

الحاجـــة إلى ســيد

من يتصور مثلا ان أمة كألمانيا ، فى قرن كالقرن العشرين ، كانت ترضى لنفسها أن تسير وراء دهان محدود الثقافة هستيرى التصرفات ، يحطم فيها لولا حرية الأفراد والجماعات ، ثم يقودها بذلاقة لسانه وحدة نبراته إلى الخسائر المتلاحقة الى دمار شبه كامل ؟ ثم أن يظل الشعب الالمانى ، برغم كل تلك النكبات وخلال سنين كثيرة ، متعلقاً بذلك الدهان وهو هتلر ، حتى ليكاد يؤلهه ؟

ولكن بعد هزيمة الحرب العالمية

ولكن ذلك جرى حقاً فى ألمانيا ، مثلما جرى فى غيرها من أمم الغرب والشرق ، لأن ألمانيا كانت بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى فى حاجة الى من ينهضها من كبوتها ويعيد اليها اعتبارها . ولما عجز المؤهلون للقيادة عن القيام بواجبهم ، عجزوا أو تلهوا بالصغائر أو تخاذلوا ، تصدى لها الواغل الجرىء . كمريض نفض الأطباء ايديهم منه فصادفته حبالة متطبب شاطر . ولقد سحر هتلر قومه بانتصاراته الأولى ، وكان كلما رفع عقيرته صارخاً دغدغ الكبرياء وأثار الحماس ، ولكن النتيجة الأخيرة كانت خسارة الأرواح وانتقاص الأرض والهزيمة المذلة .

وقد تعارف الناس على ان تلك الحقبة الهتلرية من تاريخ ألمانيا قد تركت ظلا كئيباً على وجدان شعبها وشكا كبيرا فى حسن تقديره للامور والتمييز بين خيرها وشرها . ولكن المفكر قد يعود إلى الحقيقة المرة التى عدت إليها بعد أن سخرت من مريضتى البسيطة التى تحدثت عنها فى أول هذا الكلام . اترى المريض البائس أو الشعب الباحث عن حقه المغتصب وعن عزته المفقودة ملومين ، حين لا يتوفر الطبيب الكفء أو القائد الكفء ، اذا تعلقا بمن يسوقه إليهما القدر المفروض أو القدر المصنوع ؟

يروون أن شاعراً عربياً وقف ذات مرة على رأس أحد السادة غير الاكفيـــاء وقال :

وان بقـــوم سودوك لحاجة
الى سيد لو يظفـرون بسيد

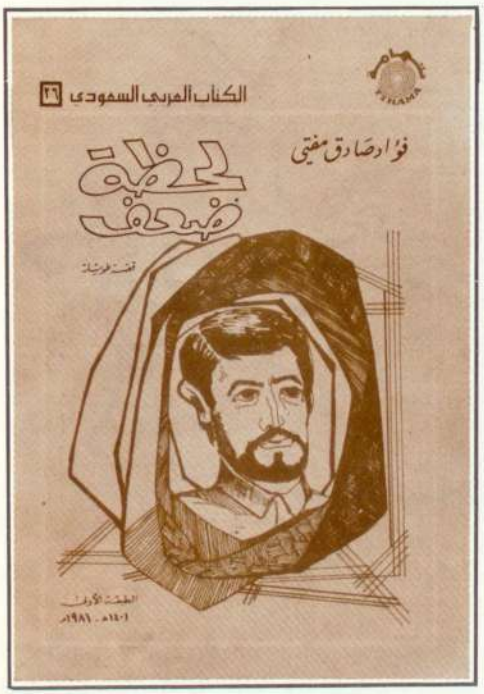
سيد أو طبيب أو مفكر مرشد الى الطريق القويم .. لابد للافراد والجماعات من هؤلاء . فاذا لم يتهيأ القائد الكفء والطبيب الحاذق والمرشد المخلص ، فحذار من الواغلين الذين ستلقى إليهم مقاليد الأمور والأجساد والنفوس ... حذار من بائعي الأوهام .

●● جديد الأدب في الجزيرة والخليج ●●

"لحظة ضعف"

لحظة مصارحة

في الرواية السعودية



بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

معظم النتاج القصصي فى أدب الجزيرة والخليج يتجه لتصوير شخصيات من ماضى البادية والبحر والقرية بأسلوب رومانسى فى الأغلب ، وواقعى فى بعض الأحيان ..

ولكن ما يزال نادراً أن تجد أدباً قصصياً يعالج شخصيات ونماذج اجتماعية من الحاضر المعاش ومن واقع مجتمعنا الراهن وحياتنا نحن فى هذا الجيل ، فى هذه المرحلة ، فى لحظة الصيرورة الجارية حيث ما زال الكائن الاجتماعى الانساني فى طور التكوين والتفاعل لم يأخذ صورته النهائية بعد ..

وهذا ما يفسر قلة أو ندرة هذا النوع من الأدب القصصي ذلك ان شخصيات الماضى قد تحددت واتضحت ملامحها وامكن تسجيل صورتها الثابتة ، والقاص فى تصويره لهذه الشخصيات كأنما يقوم بعمل المصور الفوتوغرافي الذى يلتقط بالته وجوهاً ثابتة ، مسلط عليها ضوء كاشف .. أما شخصيات الحاضر ، خاصة هذا الحاضر العربى المتارجح المتقلب كصفحة البحر الهائج ، فان ملامحها المتقلبة وسحناتها تمثل تحدياً للأديب الذى يحاول سبر أغوارها واستجلاء غوامضها واخراجها بالتالى كائناً حياً متحركاً أمام وقائع محددة وفى أوضاع مقررة لأن هذه الشخصيات المعاصرة تأبى التحديد ، بل لا تقدر عليه ، لأن قدرها كما يبدو ان تظل قلقة حائرة تجمع بين الضعف والقوة ، والأمل واليأس ، والشك واليقين كواقعها العربى الراهن هذا .. من هنا فان من يحاول رصدها وتسجيلها فى مرآة الأدب لن تجديه آلة التصوير الفوتوغرافية (الكاميرا) لأن هذه الآلة ليس فى مقدورها تسجيل الملامح المتقلبة المتغيرة بين لحظة وأخرى فى صيرورة كالدوامة ـ ومن هنا عجز الكومبيوتر الغربى عن فهم الشخصية العربية ! ـ هذه

الشخصية التى يتطلب تصويرها شيئا من خيال الرسام وخفة حركة ريشته فى متابعة الملامح المتغيرة المتقلبة و « ضبطها » فى حالة تقلبها « متلبسة » بفعلها الحقيقي : فعل التقلب والتغير ورفض تحديد الهوية ، بل العجز عن تحديدها .. !

وكم تمنيت لو أن مجتمع الجزيرة والخليج قد أتيح لأدبه القصصي رسام روائى مبدع كنجيب محفوظ فى ثلاثيته وروياته الأخرى ليتناول نماذجنا الاجتماعية وانماطنا النفسية فيعمل فى ملامحها بريشته سبراً لاغوارها وكشفاً لأستارها حتى نراها كما هى عارية ، عرى الحقيقة المجردة ، فندرك من نحن ومن نعايش والى اين نسير والى أى مصير .

ولكن ذلك ما يزال يتطلب نمواً أكثر ونضجاً أعمق فى بنية المجتمع وتطور الأفراد ونمو الأدب .

قيمة اخلاقية

غير ان طلائع هذا الاتجـــاه القصصي الواقعى ، بوعيه الاجتماعى المتقدم ، أخذت تبدو فى أفق النتاج الأدبي تشق طريقها الصعب غير الممهد وغير المطروق من قبل فى أدب هذه المنطقة حاملة تباشير البـــداية ومصاعبها فى الوقت ذاته .

وتأتى رواية « لحظة ضعف » للأديب السعودى فؤاد صادق مفتي نموذجاً لمثل هذا الاتجاه فى المعالجة القصصية الاجتماعيـــة – وهى بمعالجتها هذه لنموذج من الجيل الحاضر تكتسب ما تستحقه من تقييم نقدى ، لأنها تحملت عبء المغامرة الجديدة فى هذا الصدد ، وبوعى من كاتبها الذى نراه شديد الوضوح وشديد التواضع – أيضاً – فى تقديم محاولته الجديدة للقارىء ، وهو تواضع اعتقد ان كثيرين من ادبائنا الشباب – بالذات – يحتاجون إليه فى طريقة تقديم نتاجهم الى القارىء وفى طريقة رؤيتهم لأنفسهم وللناس وللأدب ولمعايير النقد .

لذلك فاننى أرى فى هذه التقدمة التى يقدم بها فؤاد مفتي قصته قيمة اخلاقية بالاضافة الى محتواها الفني فلأتركه يقدم عمله لقارئه :

« ترددت كثيراً عند كتابة هذه المقدمة لقصة « لحظة ضعف » ، فهذه أولى محاولاتى فى اقتحام ميدان القصة الطويلة ، وهو ميدان – فى رأيي – شائك ووعر .. ! ولهذا لابد لمن يتصدى له ، لأول مرة ، من الوقوع فى بعض العثرات .. واعترف – عزيزى القارىء – بأنى لم أنج من ذلك تماماً .. إنها محاولة أتاحتها لي الظروف ، خلال اغترابي خارج أرض الوطن بسبب عملى الدبلوماسى ، وتكونت لدى فكرة



فؤاد صادق مفتى

القصة كجزء من معايشتي لأحـــداث الوطن والتغيرات الاجتماعية التى تلاحقت الى حد أثار تساؤلات قلقة لدى المهتمين بدراسة هذه الأزمة الطفيلية على مجتمع عرف منذ الازل بتشبثه العفوى بجذور التراث والتقاليد .. ولهذا لم تكن هذه القصة كمصنف أدبى ذى قالب محكم الصناعة بالمعايير المتعارف عليها للقصة الطويلة بقدر ما هى مساهمة متواضعة فى تسليط الضوء على بعض من جوانب الحياة لمجتمع جـــديد يتعرض كغيره من المجتمعات التى سبق لها أن مرت فى نفس الظروف لموجة من الحيرة والقلق والمعاناة .. تلك التى قد تؤدى فى لحظة من لحظات الضعف الى فقد التوازن ، وربما الانســياق اللاإرادى وراء التيار الجارف ، حيث محاذير الوقوع فى تلك الدوامة التى تبتلع فى طريقها كل شيء » .

وبعد تقدمة المؤلف هذه ، علينا ان نقوم بواجبنا النقدي فى تقدمة القصة .

وليس أصعب من اختصار عمـــل أدبى وتجريده من تفاصيله وجزئياته ، وتقديمه أفكاراً أو أحداثاً مجردة الى القارىء ، ولكن ذلك من المحاذير التى لا مفر منها فى النقـد حيث لابد من الاختصار والتجريد ، بسبب قيود الزمان والمكان اللذين ينحصر فيهما العمل النقدي ، وان كنا سنحاول التقليل من أثر هذا الاجتزاء بالاستشهاد قدر الامكان بمقاطع من القصة ذاتها حيثما كان ذلك ممكناً ودالا على روحها ..

يسافر الشاب « طارق » لاكمال دراسته فى الولايات المتحدة وينتقل من جدة على ساحل البحر الأحمر الى لوس انجلوس على ساحل المحيط الهادى . هذه النقلة الجغرافية تمثل انقلاباً فى النفس والفكر والروح يتجاوز أبعاد الجغرافيا .

ولو كان الأمر يتمثل فى مشكلات الدراسة والتحصيل واكتساب العلم الجديد ولغته الأجنبية لهان الأمر . هنا لم تنشأ مشكلة . فالشاب العربى بذكائه وحساسيته ورغبته فى اجتياز الفارق الحضارى بين أمته والعالم سريع الاستيعاب والهضم .. ولكن المشكلة تتمثل فى استحالة التوفيق بين قيم الذات وبين مسلك العالم الجـــديد حيث التناقض حدي فى تقاطعه وتقطيعه بين نوعين من النظم والقيم لا علاقة بينهما غير علاقة التضاد المطلق !

هذه أول تجربة يمربها طارق فى ميـدان البيكاديلى بلندن وهو فى طريقه الى لوس انجلوس . أول تجربة فى علاقة التضاد بين الماء والنار :

« دلف الى منعطف قريب جذبته إليـــه أضواء صارخة لاحدى دور اللهو الليلى ، كانت واجهة المحل الزجاجية مليئة بالصور العارية لكلا الجنسين .. كان المنظر مدغدغاً لحواسه البهيمية استغرق فى النظر على غير وعى منه وقطع عليه استغراقه صوت أحد الواقفين على باب الملهى يدعوه للدخول .. وبلا شعور منه وضع يده فى جيبه يتحسس ما معه من نقود بالعملة الانجليزية وهو يفكر فى اقتحام هذه المغامرة المثيرة .. واصطدمت يده بشيء صلب داخل جيب سترته واقشعرت يداه وانتفض انتفاضة كمن مسه تيار كهربائى صاعق ، وأخذ يتمتم بصوت مرتفع مبحوح : استغفر الله .. أخرج يده من جيب سترته وهو يحمل المصحف الصغير الذى أهداه له والده لحظة الوداع وقبله بحنو وخشوع والدموع تترقرق من عينيه .. كأنما تغسل آثام نزوته العابرة .. وعاد الى فندقه مطأطىء الرأس خشية أن تقع عيناه من جديد على مشهد آخر يفسد عليه تلاوة فعل الندم » .

الى أين نتجه ؟

هذا النمط من التجربة .. تجربة الغواية ثم الندم ثم الغواية مرة أخرى ثم التراجع عنها للوقوع فى غواية أكبر وهلم جرا ، إن هذا النمط من التجربة يصبح فى حياة « طارق » نوعاً من اللازمة الموسيقية التى تتكرر فى سيمفونية القصة كلها بين مقطع وآخر وبين مرحلة جديدة وأخرى ، دون ان تحسم إرادته هذا التذبذب ودون أن يستطيع أن يقـــرر بوضوح ماذا يريد ومن هو : هل هو مع ضميره وقيمه الموروثة أم مع غرائزه واغراءات عالمه الجديد . يتزوج « طارق » وهو فى امريكا من فتاة أجنبية اسمها « ليزا » تعرف اليها فى

"لحظة ضعف"

ليالي الشباب العابث بعد أن اجتاز «تجارب» عديدة حولته من شاب خجول متدين الى رجل خبير بملذات الدنيا ومتعها .. ولكن « ليزا » تتركه هو وطفلها منه ليتولى مسئولية الطفل بينما تذهب هي بعيداً في تيار الحياة الصاخبة التي لا تبالي بالصلة حتى بين الأم وطفلها ..

ويعود طارق الى الوطن وقد أعياه المسير المتذبذب في حياة الحضارة الحديثة أو ما يعرف بهذا الاسم .. ويتذكر ان له قريبة كانت تنتظره منذ عهد الصبا البكر ، فيتزوجها وينجب منها ليكتشف انه من المحال العودة الى الحياة العائلية البريئة الملتزمة بعد تلك التجارب وصخبها ولذاتها الحارقة . .

وماذا تكون النتيجة ؟

تكون هذا الاعتراف في لحظة الحقيقة أمام زوجته الثانية سهام ـ « أعرف يا سهام انى تعس مثلك ، بل ربما كنت أكثر تعاسة . انني أدرك مدى خطئي تجاهك ولكن المصيبة هي انني لا أدرك سر خطئي مع نفسي أنا .. نعم انا مخطىء في حق نفسي أيضاً ، وقد أخطأت معك يا سهام ، أخطأت معك مرتين ، بل ثلاث مرات . أخطأت عندما تجاهلت عواطفك ، بل عواطفنا البكر ، وتزوجت من ليزا ، رغم ما يربطنا منذ الصبا ، وأخطأت مرة ثانية عندما سمحت لنفسي بالتسرع في اتخاذ القرار قرار الزواج منك !! في الوقت الذي لم اكن فيه قد أفلحت بعد في استعادة ثقتي بنفسي ، وكانت النتيجة ماذا ؟ خطأ ثالث يتمثل في هذا الواقع المؤلم الذي نعيشه أنا وأنت » .

وتزداد الهوة ليس فقط بين الزوجين ، وانما بين الزوج وبين نفسه ، وبين مكونات تلك النفس ذاتها حيث يستمر التباعد ويزداد بين جذورها القديمة وبين هذه الأهواء الجديدة التي لا تكف عن التلون وزيادة الاغراء والضغط والجذب الى حيث لا يدري أحد ..

وينتقل طارق من عمله الذي وهب له عمره وعلمه الى عمل تجاري حر يغري فقط بالمزيد من المال ، كما يفعل معظم ابناء جيله ، ويفتح له عمله الجديد مجال الأسفار المتتالية الى عواصم العالم حيث تجارب الغواية القديمة المتجددة بينما تذوي امراته وتذبل وهي تغالب وحدتها الباردة في بيت الزوجية .

ويكون آخر درس يلقيه طارق على زوجته سهام هو هذه الكلمات التي تنبئنا جميعاً بأي نوع من المجتمع نعيش والى أين نتجه :

« افهميني ياسهام .. الدنيا تغيرت ، لم تعد السعادة تقاس بعدد أبيات الشعر التي يستطيع العاشق أن يتغزل بها في حبيبته ، أو عقود الياسمين التي يحلى بها جيدها عند كل لقاء . المراة الآن استبدلت عقد الياسمين بعقد الألماس واللؤلؤ . لم يعد الشاعر بقادر على ابتياع قوته ببيت من الشعر قد يرفعه الى مصاف الآلهة وجهابذة الفن ، ولم تعد الحسناوات يتأوهن تحرقاً لنيل نظرة اعجاب من أديب ناجح .. كلمة واحدة فقط ، كلمة واحدة غير واضحة المعالم تغري أحلى حسناوات الدنيا بالركوع تحت قدمي صاحب تلك الكلمة غير واضحة المعالم في ذيل وريقة خضراء اسمها شيك !! » .

ومن منطلق هذه « القناعة » التي تبدأ وتنتهي بالمادة لا يجد طارق من معنى لحياته غير البحث أيضاً عن لذة المادة التي ذاقها بكثير من الندم في مطلع حياته ويقبل عليها الآن بكثير من اللامبالاة ..

وتنتهي القصة حيث تبدأ ، في ميدان البيكاديلي بلندن ، حيث يتجه طارق الى دار اللهو الليلي ، كما فعل أول مرة ، ولكن جيبه هذه المرة يحوي فقط حافظة نقوده الضخمة .. أما ذلك المصحف الصغير الذي وقاه في البداية من الزلل فلم يعد موجوداً في أي جيب من جيوبه ..

انها لحظة قوة

ـ « امتدت يده الى جيب سترته قبل أن يهم بالدخول الى ذلك النادي الليلي ، فاصطدمت بشيء صلب أفاقه من ذهوله قبل أن ينزلق في تلك المأخور .. واغتصب ابتسامة شوهاء وهو يحتضن حافظة نقوده كي لا ترتد به الذكرى الى تلك الليلة (الأولى) .. ودلف الى الصالة كطفل أفلت من بين يدي حارسه الأمين وابتلعته الدوامة .. كعادته .. في كل لحظة ضعف » ..

وتنتهي القصة لتبدأ الحقيقة : هي أن العمر كله بالنسبة لجيل طارق ، هذا الجيل العربي الحاضر ، ما هو الا سلسلة متواصلة من لحظات الضعف . العمر كله لحظة ضعف طويلة متصلة الحلقات ، وليس كما قد نتصور لأول وهلة بان القصد تصوير لحظة ضعف عابرة يعقبها تماسك وتجاوز للضعف وانتصار للارادة وعودة الى طريق الصواب .. أو طريق الايمان والتصالح مع الجذور والقيم الأصيلة.

من هنا الاختلاف ، رغم التشابه في الملامح الأولية ، بين قصة « لحظة ضعف » لفؤاد مفتي وقصة « قنديل أم هاشم » ليحيى حقي .

فيحيى حقي استمد أيضاً من تجربته الدبلوماسية خارج وطنه نموذجاً للشاب المصري الذي يذهب للدراسة في الغرب فتصطدم جذوره بالتيار الجديد ، وتؤرق روحه ويقترن بفتاة انجليزية تقلب كيانه ، ثم يعود الى موطنه ليتذكر قريبته الفتاة الساذجة التي تنتظره وقد ذهب نور عينيها من تأثير زيت القنديل العتيق الذي كانت تعالج به ، ولأنه قد تخصص في الطب فقد سارع الى علاجها بكل وسائله الحديثة دون جدوى ، ثم اكتشف بعد لأي من واقع التجربة المرة إنه لابد من الجمع بين زيت القنديل ، رمز التراث والايمان ، وبين الدواء الحديث ، رمز الحداثة والعلم . بهذا الجمع السعيد يشفي عيني فتاته ويعيد لهما النور ، وعلى هذا النهج تستقر حياته هو وتهدأ وتشع من عينيه سعادة العارف بالله المتيقن من غفرانه .

هذه النهاية لو وضعها فؤاد مفتي لبطل قصته « طارق » في أيامنا هذه ، التي تختلف عن زمان قصة يحيى حقي ، لجاءت نهاية غير واقعية تصطنع التفاؤل أمام واقع ليس فيه من التفاؤل الشيء الكثير بالنسبة لمسار الجيل الحاضر ..

فجيل يحيى حقي ، تجاوز بالفعل محنته ، وعاد الى بر الأمان وتصالح مع نفسه وجذوره .. أما جيلنا نحن في هذه المرحلة فمازال حائراً متردداً لا يملك ارادة العودة الى الجذور ولا يأخذ من الحداثة غير قشورها ولذاتها الحسية ..

هذه الحقيقة المرة عن جيلنا ومجتمعنا الحاضر تختفي في أحيان كثيرة تحت غلالة الرخاء والوفرة والتقدم الاستهلاكي المتلألىء باضواء النيون ، وفضيلة هذا العمل القصصي لفؤاد مفتي انه يتجاوز بنا هذه القشرة البراقة ليرينا ما تحتها بصراحة ، دون وعظ ومثالية ، ودون مبالغة في الادانة .. وانما بعرض الواقعة كما هي من خلال فرد واحد فقط يترك لنا نحن ان نبصر من خلاله واقع الكثيرين من ابناء هذا الجيل .. الذي ربما انتصر على لحظات ضعفه في قصة تالية .. أعني في مرحلة مقبلة .. إذا شاءت له ارادته أن ينتصر .

ولكن حتى اشعار آخر فحياته لحظة ضعف طويلة .. متصلة الحلقات واذا كان ذلك أمراً مؤسفاً من الناحية الاجتماعية ، فان الاقرار به في أدبنا الجديد علامة قوة وعافية لأن الصدق في الفكر والفن والكشف عن عيوب المجتمع ، هو بداية الطريق للمعالجة الصحيحة .

من هنا فان « لحظة ضعف » هي لحظة قوة في سير الرواية السعودية رغم هنات الأداء الفني .

د . محمد جابر الأنصاري

في عروبة البنفسج

شعر : حسن طلب

في زمانِ التبرجْ
والسكوتِ الذليلْ
يستطيعُ البنفسجْ
أن يكونَ البديلْ

يستطيعُ البنفسَج أن يستهلَّ
ويصنعَ خبزَ الوفاقْ
يستطيعُ - إذا شاءَ
- أن يستدلَّ
ويجمعَ كلَّ الملايينِ في غمضةٍ وَمْضةٍ
فالبنفسج ضد الشقاقْ
كيف لا يستطيعُ ؟
وتلك جماهيرُهُ :
في الجزيرةِ .. أو في الجزائرِ
كيفَ ؟ وفي كفِّهِ :
قمحُ مصْرَ
ونفطُ الخليجِ
وتمرُ العراقْ

« كانتِ الأرضُ صومعةً
والسماواتُ من فوقها ساعَةً
والبنفسجُ يطلعُ في أُفْقِها
مرةً كلَّ عامْ

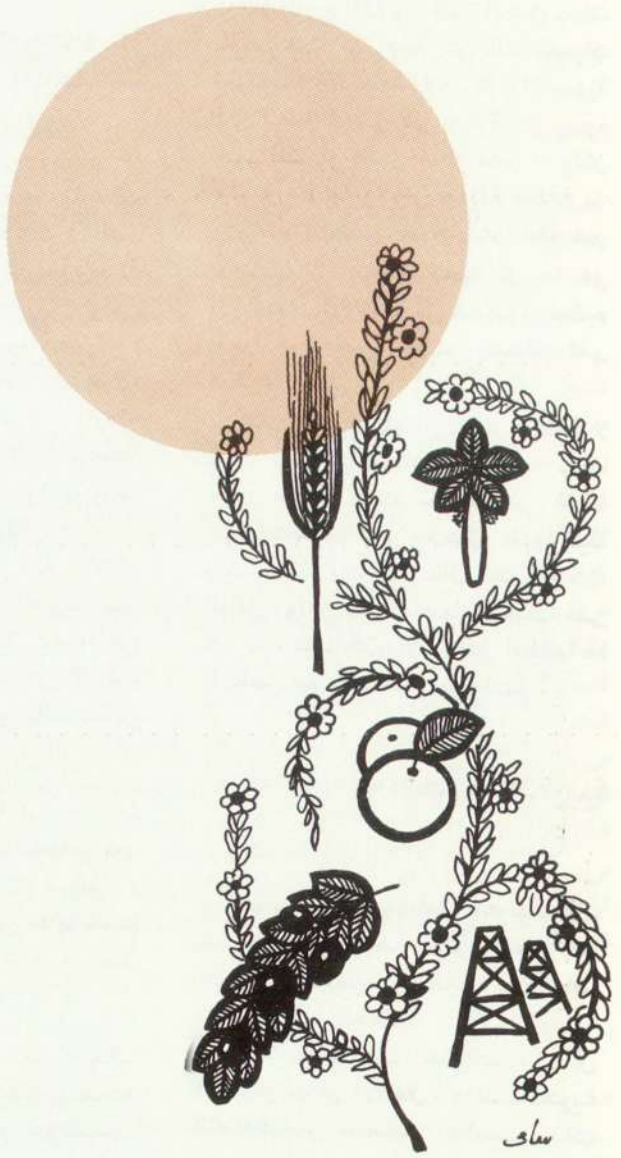
آهِ كانَ البنفسجُ مملكةً
والمدى مُلْكَهُ

من نخيل الحجاز إلى برتقالِ الشآمْ
يشهدُ النهرُ أنَّ البنفسجَ كانَ الغمامَ
وماءَ الوئامْ »

وأمسِ رأيتُ البنفسجَ يبكي الطُّلولْ
البنفسجُ كان مُكِبًّا على ذاتِهِ
كان يبكي دماً .. ويقولْ :

إنها أمةٌ غُمَّةٌ .. ونداءٌ ثُغاءٌ
وقولٌ كثيرٌ وفعلٌ قليلْ
إنها مدنٌ فِتَنٌ
يتآلفُ من دُودِها وطنٌ عطنٌ
وذبولُ البنفسجِ أقوى دليلْ
وطنٌ مرنٌ .. يتثلَّثُ
أو يتربعُ
أو يستطيلْ

ولذلكَ لا يستطيعُ البنفسجُ أن يستقلَّ
ولا أن يستهلَّ
ويركبَ دبَّابةً
ليحرِّرَ سيناءَ والقدسَ
يصعَدَ صوبَ الجليلْ
البنفسَجُ لا يدَّعِي ذلكَ الشرفَ الممكنَ / المستحيلْ
ما بوسعِ البنفسجْ
أن يكونَ البديلْ
في زمانِ التبرُّجْ
والسكوتِ الذليلْ



أطفالنا ومجلاتهم

إلى متى هذا الغزو الثقافي لعقول الصِّغار؟

حصّة العَوضي

نسعى جاهدين عبر قنوات الاتصال المختلفة إلى تنمية ادراك الطفل ، وتنقية مداركه ، ومده بالعديد من الثقافات الهادفة التى يجب أن يعيها بأساليب مبسطة .

فالطفل فى مجتمعنا ـ المحلى والعربى ـ لا يأخذ حقه كاملا من الرعاية والعناية بالرغم من الامكانيات البشرية والمادية المتوفرة . ففى الفترة الأخيرة .. بدأ سيل من الثقافات الغربية ، يغزو افكار الطفل عن طريق المجلات المختلفة ومسلسلات الكبار المتنوعة ، وأفلام الرعب بما تحمله من اثارة ، وعنف وبدأت بعض دور النشر تنشط فى توزيع ما تحمله تلك الأفلام والمسلسلات فى أشكال قرطاسيات وملصقات تثير اهتمام الطفل . كما أنتجت مصانع النسيج والأقمشة ملابس للأطفال والكبار تحمل رسوم أبطال تلك الأفلام والبرامج التليفزيونية بغرض الترويج للسلعة ، والربح .

ولكن .. ما الذى فعلناه نحن لصد هذا الهجوم الثقافى على أطفالنا .. ؟؟

حتى الآن .. لم نجد من يتصدى لهذا الغزو على عقول أطفالنا !

وحتى الآن .. ما تزال عقول الأطفال تهفو للمزيد من ذلك الصخب وذلك الضجيج المثار حول تلك البرامج !!

وعليه نحن فى مواجهة سؤال هام وملح :

ماذا عن مجلات الأطفال العربية .. ؟؟

وما دورها إزاء التصدى لهذه الهجمة الضارية على عقول أطفالنا ؟ سؤال أحاول البحث عن اجابة شافية له ، وها أنذا أتصفح مجموعة من مجلات الأطفال المتنوعة التى تصدرها دور النشر العربية ، والتى يطالعها الأطفال العرب . سأحاول قدر الامكان ان أتصفحها جميعاً مع القارىء العربى .. ليعرف ماذا يقرأ طفله .

المجلات المترجمة عن مجلات أجنبية

للأسف ان هذه النوعية من المجلات كثيرة ـ بالنسبة لعدد مجلات الأطفال العربية ـ ومعظمها يصدر عن دار واحدة للنشر ، والباقى عن دور متفرقة . وهذه المجلات تحمل جميعها أسماء خارقة ، لأبطال خوارق . وكل بطل من هؤلاء الأبطال يحيا فى عوالم أخرى ، وأزمنة أخرى ، لا يملك الطفل الا أن يصدق وجودها بغض النظر عن ادراكها وذلك لأن تلك الشخصية الخارقة ، تعيش مع القارىء الصغير منذ الغلاف الأول وحتى الصفحة الأخيرة عبر القصص المغرقة فى الخيال بعيداً عن عالمنا وواقعنا .. والتى تحمل من الأسماء والمعلومات ما يفوق تصور ذلك الكائن الصغير .. الطفل .

لكنها بما تحمل من إثارة ومغامرات مصورة تحلق بذلك المخلوق الصغير عبر آلاف السنين ، وعبر متاهات خيالية لا يلبث إلا أن ينقاد لها ويسير معها طوعاً وشوقاً لمعرفة المزيد ، والمزيد من تلك الخوارق ..

وعلى الرغم من ذلك .. فان الهدف النهائى من كل قصة خارقة يظهر واضحاً .. ألا وهو .. الخير .. والشر .. وانتصار الخير دائماً ..

« لكن أليس بامكاننا غرس هذا المبدأ وتنميته ضمن قصص أقرب إلى مدارك الطفل سواء فى نماذجها .. أو فى طريقة عرض القصة ومعالجتها ؟! » .

أما النوع الثانى : فتلك المجلات ذات الموضوعات المترجمة عن الشخصيات الكرتونية (الرسوم المتحركة) المشهورة لدى الطفل والتى هى عبارة عن رسوم لحيوانات أو طيور .. أو بشر .. ولكن بأشكال جذابة وألوان جميلة ممتعة ..

وهذه القصص تترجم عن القصص الأجنبية .. حاملة معها كل ما فى المجتمعات الأجنبية من عادات ، وتقاليد وقيم .. تعكس آثارها السيئة على النشء العربى ..

الكثير منا يعتقد أن الطفل مخلوق لا يدرك جيداً ما يتلقاه من المعرفة لكننا نجهل ان هذا الطفل تترسب فى ذاكرته كل المعطيات التى يحصل عليها فيما بعد . ماذا لو قمنا بنقل تلك المجلات للطفل ، ولكن بعد التعديل المناسب على كل جزء فيها حتى لا نعطى أطفالنا ما يتناقض مع مجتمعاتهم وتراثهم ؟

المجلات العربية

تعددت مجلات الأطفال العربية .. وتنوعت من بلد لآخر .. ومن دار نشر الى أخرى . كما تنوعت الغايات والأهداف من وراء تلك المجلات .

فهناك مجلة تصدر للشباب .. إلا أن أغلب قرائها من الأطفال .. وذلك لما تحويه تلك المجلة من ملصقات اعلانية ذات رسومات وألوان جميلة .. سواء على

الغلاف الخارجي .. أو في داخل العدد ..

ولا تحمل هذه المجلة من مضامين ثقافية جيدة .. سوى ما تقدمه من طرائف وبعض النوادر والمقالات القصيرة جداً .. والتي ترعاها وتشرف عليها الشركات التجارية .

وبالطبع فان هدف هذه المجلة هو الربح أولا والربح ثانياً .. ولا شيء آخر ..

ومن الأنواع الساعية للربح أيضاً ظهرت مجلات أخرى .. لكن ذلك الهدف لا يظهر للقارىء مباشرة ، وانما بعد تصفحه لصفحات المجلة ، اذ هي تشترط اقتناءها والاحتفاظ بجزء صغير من احدى الصفحات لتقديمه الى مسابقة كبرى مؤجلة رصدت لها جوائز قيمة جداً

كما تحوى المجلة جزءاً كبيراً من الصفحات المخصصة للمسابقات الفكرية والثقافية التي تفوق مستوى وادراك الطفل . كذلك تحوى عدة صفحات لرسائل الأطفال .. وهواة التعارف .. وصور الفائزين في المسابقات السابقة ..

ومن بين القصص التي تقدمها المجلة قصص مترجمة .. بالأضافة للقصص المحلية .. حيث يظهر الفرق واضحاً بين هذه وتلك من حيث الفكرة والرسوم والعادات المستهدف غرسها في الطفل ..

المهم هو أن هذه النوعية من المجلات تسعى لاجتذاب أكبر عدد من القراء بطرح أغلى أنواع الجوائز من أن لآخر ..

وهناك مجلات أخرى ، ظهرت مؤخراً .. وازدادت نسبة مبيعاتها سريعاً .. وذلك لأنها اعتمدت على بعض المسلسلات التليفزيونية التي عرضت ولاقت نجاحاً من قبل الجماهير المختلفة (الأطفال والكبار) والتي قدمت في معظمها قصصاً أسطورية بعيدة جداً عن الواقع .. مما شجع بعض المجلات الأخرى لافراد عدد من صفحاتها لمثل هذه القصص المستمدة من أساطير الجان والعفاريت ، والقوى الغامضة ، وغيرها من الخرافات دون مراعاة لمدى استفادة الطفل من هذه القصص . والقصد هو أن تحقق المجلة أكبر قدر من الربح !!

ومع وجود تلك النوعيات التجارية تطالعنا نوعيات أخرى ..

إحداها .. مجلة ظهرت مؤخراً للطفل الذي يقل عمره عن الست سنوات .. وهي مجلة ثقافية علمية .. مصورة ، ذات رسوم زاهية .. ومزايا تربوية متعددة .. نالت اعجاب الطفل واستحسانه .. الا أن الكثير من الصغار كانوا ينظرون الى المجلة في واجهة المكتبات .. وتملأ نفسهم الحسرة لعدم قدرتهم على اقتنائها نتيجة لارتفاع سعرها ، الذي يعادل اربع نسخ من مجلات الأطفال الاخرى .. ترى .. أتهدف تلك المجلة للثراء السريع من وراء الطفل .. أم ماذا .. ؟

نوعية أخرى نالت اعجاب الطفل واستحسانه لاحتوائها الرسم الملون .. والصور الجميلة .. والأنشودة العذبة .. والقصة الهادفة .. لكنها مع ذلك تسعى لتطبيع ذلك الطفل بمبادىء تصدر عنها المجلة ..



مجلة ثالثة ذات مستوى ثقافي جيد ومضمون هادف .. وقصص تربوية هادفة .. ومسابقات ثقافية مبسطة .. وذات سعر منخفض .. لكن الطفل لا يقبل عليها كثيراً .. ربما يكون ذلك لشكل الطباعة ، أو الشكل النهائي الذي تظهر عليه المجلة ، من الوان باهتة .. وحروف صغيرة ..

أو ربما يكون السبب هو انحراف الطفل نحو المجلات الأخرى التي تقدم جوائز أكبر .. أو تنشر قصصاً خيالية أكثر ..

ان هذا الطفل الآن لم يعد يفكر في شراء مجلة أطفال الا للاشتراك في مسابقة أو للاحتفاظ بالوريقة الصغيرة التي تحمل رقم العدد .. أو لنشر صورته واسمه ضمن ركن التعارف والمراسلة .. أو لأن طابع تلك المجلة غريب عنه .. وعن عالمه .. مليء بالرعب .. بالاثارة بالمغامرات المدهشة .. والقوى الخارقة للطبيعة .. فهل نترك أطفالنا ليجرفهم ذلك التيار .. أم نحاول انقاذهم قبل فوات الأوان ..؟؟

ما هو المطلوب إذن ؟

● المطلوب رقابة عربية أو محلية على جميع مجلات الاطفال لتقييم ما ينشر للطفل قبل وصوله الى أيدي الأطفال .. ولتحديد صلاحية منشورات الأطفال قبل توزيعها على المنازل ..

● المطلوب اصدار دوريات ثقافية .. ترفيهية .. تتناسب مع مراحل العمر المختلفة للأطفال .. وتتناسب والظروف المرحلية للبلاد والأمة العربية والاسلامية .. بعيداً عن المصالح التجارية .. وجعلها في متناول اليد بحيث تطرح للبيع بأسعار مناسبة للطفل العربي في كل مكان ..

● المطلوب تجنيد بعض المسئولين عن ثقافة الطفل .. لصد ذلك الغزو التجاري بعيداً عن عقول أطفالنا وحمايتهم من كل ما يصل اليهم من ذلك الهجوم ..

وختاماً .. ليس ذلك غير تحليل بسيط لما خرجت به من قراءاتي لعدد من مجلات الأطفال ..

فرفقاً بأطفالنا أيها الناشرون .. ورفقاً بالغد الجديد ..

حصة العوضي – بنت الخليج

دعـــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـــبـــير

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي



بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

توماس ستيرنز إليوت Thomas Steams Eliot ولد سنة ١٨٨٨ وتوفي سنة ١٩٦٥ م نشا بسنت لويس ،مسوري من الولايات المتحدة بامريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعي بين سنة ١٩٠٦م و ١٩١٥في هارفارد بامريكا ، والسوربون فى باريس ، واكسفورد بانجلترا . استقر بانجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس بالجنسية البريطانية . ويذكر مترجموه انه كان من اسرة عريقة الاصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه وثراء . وكان هو مع ادبه في انجلترا من رجال الأعمال الناجحين فى ميدان النشر . وكان مرموق المكان بين ادباء عصره من جانبى المحيط الأطلسى ،قريباً فى المنزلة عندهم مما كان عليه اديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله . اشتهر أول امره بعد نشره منظومته (الأرض المقفرة The Waste Land) سنة ١٩٢٢ . ويقال ان الذى نشر حينئذ كان شيئا مختصراً ، اختصره منها ـ وهى طويلة جداً ـ صاحبه واستاذه الروحي إزرا باوند Ezra وعندى ان مثل Pound هذا القول ، صح او لم يصح ، مما لا ينبغى ان يُعَوَّلَ عليه . وإليوت اعظم بها شهرة بين ادباء العرب المتعلقين به منه بغيرها ولكنه فى فرنسا مثلا اعظم شهرة بمسرحيته (مقتل في الكنيسة Murder in the Cathedral) وللناس فى ما يعشقون مذاهب .

الفتنة باليوت والأرض المقفرة

الفتنة باليوت بين ادباء العرب المعاصرين كبيرة جداً . وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار . ومما ينسب إليه في باب الابتكار مذهبه فى الاشارات والاقتباس . وهذا المذهب قديم فى اللغة الانجليزية واقدم فى اللغة العربية افتن فيه من الجاهليين ، على سبيل المثال زهير ونابغة بني ذبيان ، وَدَعْ الفرزدق وجريرا وذا الرمة وأبا نواس وشيخ المذهب في المحدثين ابا تمام وتلاميذه من لدن ابي العلاء إلى الحريري . ومن جون ملتون John Milton الشاعر الانجليزى الكبير المشهور ، استفاد هو طريقة مذهبه فى الاشارات والاقتباس فتامل هذه الالتواءة ، وكأنما كان اسلوب امثالهاله ديدناً وطبيعة والله تعالى اعلم بسرائر غيابات النفوس .

ويدعو الداعون إلى الاقتداء باسلوب إليوت والتمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربي الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون . وفي هذه القضية نظر . هذا اقل ما يقال . ولو قلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا . وإليك بعض البيان .

الاضراب عن ذكر العرب

اولا : لفت نظري ان تعليقات إليوت التى جعلها فى ذيل منظومته المسماة The Waste

هـــذه الدعوة الأدبيـــة الجريئة

الدكتور عبد الله الطيب ناقد عربى كبير ، وباحث أدبى يحتل مكانه الآن بين الصف الأول من النقاد والباحثين . وقد جمـــع عبد الله الطيب فى شخصيته الأدبية بين الأصالة ، حيث أنه من كبار العارفين والدارسين والمتذوقين للتراث العربى شعراً ونثراً وفكراً ، وبين المعرفة العميقة الواسعة بالأدب الأوروبى والثقافة الغربية ، كما جمع عبد الله الطيب بين شخصية الناقد الباحث وشخصية الشاعر المبدع ، وجمع أيضا بين « الأستاذية » الجامعية ، والجماهيرية الواسعة حيث أنه من كبار القادرين على مخاطبة الرأى العام الأدبى ، كتابة ومحاضرة .. والخلاصة أن عبد الله الطيب هو شرارة من شعلة « طه حسين » التى أضاءت الأدب العربى والثقافة العربية خلال نصف قرن من الزمان ومازالت تضىء .

ويسعد الدوحة أن تنشر هذا البحث الجديد للناقد الشاعر الباحث الدكتور عبد الله الطيب ، حيث يهوى بقلمه على فكرة أساسية وجهت الشعر العربى منذ الأربعينات حتى اليوم ، وهذه الفكرة هى التأثر والافتتان بالشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » ، فقد كان لهذا الشاعر الكبير تأثيره العميق الواسع على شعراء هذا الجيل من السياب إلى نازك الملائكة إلى البياتى وصلاح عبد الصبور وحجازى وغيرهم من الشعراء اللامعين ، حتى لقد أصبح « اليوت » حقيقة مسلماً بها فى الحركة الشعرية العربية الجديدة ، من حيث تأثيره ونفوذه الأدبى ، وها هو الدكتور عبد الله الطيب ، يقدم هذه الدعوة الأدبية الجريئة التى نرجو أن تحظى بما تستحقه من المناقشة والاهتمام ، فالدكتور الطيب يكشف عن الجوانب السلبية فى اليوت ، وعن الجوانب السلبية فى التأثر العربى الواسع بهذا الشاعر .. والذين يتابعون الواقع الشعرى العربى يدركون ما فى هذه الدعوة من جراة ، ويسمعون ما فيها من طرقات عنيفة على باب الشعر العربى الذى أوشك أن يكون مغلقاً الآن على حدود جامدة تعتمد على التكرار ولا يبدو فيها من ملامح الجديد إلا القليل .

والدوحة تنشر اليوم الجزء الأول من هذه الدراسة الكبيرة وسوف تنشر فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير من البحث ، وقـــد اضطررنا لتقسيم البحث إلى حلقتين لطوله مما يصعب معه نشره فى عدد واحد .

على أن « الدوحـــة » وهى تنشر هذا البحث الهام وما يتضمنه من دعوة جريئة ، تدعو النقاد والشعراء وذوى الرأى الأدبى إلى المناقشة فيما أثاره الدكتور عبد الله الطيب من آراء أدبية جديدة وجريئة .

« رئيس التحرير »

Land « أى الأرض المقفرة » خالية من الاشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه « القرآن مثلا والاسلام » مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو فى ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل أكثر أمم الأرض ولغاتها وآدابها الحاضرة والغابرة .

ثانيا : لفت نظري أن إليوت قد ضمن منظومته راجع = The Waste Land and other طبعة لندن فى السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و = Poems ١٩٧٥ م) فى السطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ص ـ ٣ إشارة إلى شىء من شـــعر وليم وردزورث William Words Worth الرومانتكي الانجليزي الكبير وفي السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شىء من شعر والتردى لامير Walter de la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدي التأثر بالرومانتكية . ولم يذكر فى تعليقاته شيئاً يدل على هاتين الاشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هوشهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر فى منظومته من شعر Spencer سبنسر (راجع ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣) وآخر مشهور جداً من شعر Andrew Marvel اندروهارفيل (راجع ص ٣٤ س ١٩٦) واشياء معروفة من التوراة والانجيل وغير ذلك . إذن ينبغى أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما أشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثا : لفت نظري أن ذكر العرب الذى قد أضرب عنه إليوت كل الاضراب له ورود واضح فى أصل الاشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظهما الأسطار التى أشرنا إليها من قبل فى منظومته ـ الاشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، فى الأسطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ، والاشارة الديلميرية ، نسبة إلى والتردى لامير ، فى الأسطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ « أ » الاشارة التى وردت من إليوت فى س ١٠٠ ـ ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شىء من شعر وليم وردزورث هى قوله :

..... Yet there the nightingale
Filled all the desert with inviolable voice
And still she cried, and still the world pursues
'Jug jug' to dirty ears —

ترجمـــة تقريبيـــة :

ولكن هناك البلبل
ملأ كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد
زقزقة صفيره إلى الآذان القذرة

هذا والذى أشار إليه إليوت من شعر وليم

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

وردزورث هو قول هذا فى منظومته

The Solitary Reaper

اى الحاصدة المتوحدة : ـ

O listen for the vale profound
Is overflowing with the sound
No nightingale did everchant
More welcomes notes to weary bands
Of travellers in some shady haunt
Among **Arabian** sands.

وضعا خطا تحت الكلمة الدالة على العرب من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها وترجمة هذا النظم التقريبية كما يلي : ـ

الا فاسمع فان الوادى العميق
يفيض مفعما بالصوت
وما غنى ابدا بلبل
نغمات اطيب لجماعات مضناة
من المسافرين فى ظل مكان ما
بين الرمال العربية

اخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه بالصوت من قول وليم وردزورث حيث قال : (راجع السطر الثاني من كلامه الذى مر) :

..... overflowing with the sound

اى : يفيض مفعما بالصوت .

فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

اى ملأ كل الصحراء كما مربك فى الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بان صوته الذى ملأ الصحراء لا يستطيع احد له اغتصاباً وطمثاً inviolable واصل هذا المعنى ماخوذ من حاصدة وردزورث المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء الحاصدة المتوحدة التى افعم صوتها الوادى العميق وفضله وردزورث على صوت كل بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لا تنال لتوحدها وبداوتها الى الصوت نفسه فزعم له عذرية سرمدية لا يستطاع نيلها بغصب وطمث ، لا يطمثها احد لا انس ولا جان كحور الجنة . وازعم ان إليوت لايخلو ان يكون نظر فى قوله الى هذا المعنى القرانى ـ قال تعالى فى سورة الرحمن فى وصف الحور العين :«لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» ؛ وذلك ان ترجمات القران فى اللغة الانجليزية وغيرها من لغات اوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت فى السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميل Philomel فى نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .....

وهو يريد بذلك ان يوقع فى وهمنا انه يشير الى خبر Philomela فيلوميلا الاسطورى وخلاصته (وقد اشار اليه فى التعليقات ص ٤٦) ان ملكا تزوج اخت فيلوميلا (او فيلوميل) ثم شغف بها هى حباً وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم احداً بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته . وتنتهى الاسطورة بمسخ الغاصب والمراتين طيراً ،وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بلبلا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذى قطع . وما اشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز ان اصل اللفظين واحد قديم موغل فى القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهى من امهات الحضارة ؟ ومن خطا اليونان او غيرهم فى هذه الاسطورة نسبة الغناء الى انثى البلبل لان الصادح فى الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على ان اصل معنى إليوت اخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث . استبدل إليوت قول وردزورث «الرمال العربية Arabian Sands ، بقوله هو «كل الصحراء all the desert وما قوله كل الصحراء إلا كما لو قال رمال العرب او الرمال العربية او الصحراء العربية. واستبدل إليوت قول وردزورث«لجماعات مضناة to weary bands بقوله هو «للاذان او الى الاذان القذرة to dirty ears وشبه الصياغة ودليل الاخذ فى النص الانجليزى واضح جداً . ولاحظ مع هذا ان إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث «بين الرمال العربية» بقوله هو «كل الصحراء» :

وردزورث : Among Arabian sands

إليوت : Filled all the desert

وقول إليوت :

Jug jug to dirty ears .....

اى : زقزقة صفير البلبل الى الاذان القذرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت «زق زق» ليوهم بانه يشير الى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية فى اشعارهم ويصرف الاذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى ان ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وان هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

«ب» : الاشارة الديلميرية نسبة الى والتر دى لامير .

قال إليوت فى منظومته السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ص ٣٠ : ـ

Where fishmen lounge at noon, where the walls of magnus martyr hold
Inexplicable splendours of Ionian white and gold.

الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت فى نصف النهار حيث جدران (كنيسة) ماغنس الشهيد تحوى ما يعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى والذهبى .

الكلمة inexplicable فى هذا النص ومعناها ما يعجز الشرح والتفسير تشبه فى روح الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت فى اخذه من وردزورث وهى inviolable اى لا يستطاع اغتصابه . وفكرة الأبيض اليونانى والذهبى فيها مشابه من فكرة إقحامه «فيلوميل» من قبل من حيث الايهام بالرجوع الى الاصول القديمة الكلاسيكية وصرف النظر عن موضع الأخذ القريب . وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعليقه بذكر المعمارى رن Wren فى ص ٤٨ وهو السير كرستوفر رن Sir Christopher Wren يشبه إقحامة «زق زق» ليصرف النظر عن اخذه عن دى لامير ويوهم باشارة بدل ذلك الى هذا المعمارى وعصره الرفيع فى تاريخ الحضارة والفن والادب .



وليم شكسبير



جون ملتون



عزرا باوند

عنى إليوت بالأبيض اليونانى والذهبى من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التى فى سقف الكنيسة من الداخل واصلها يونانى . وقول إليوت : Magnus Martyr اى ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس Saint Magnus وذلك اسم كنيسة مما صممه المعمارى المهندس السير كرستوفر رن . ومعنى «مارتر Martyr التى اقحمها إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة . (راجع A History of Architecture اى «تاريخ العمارة» لمؤلفه السير بانستر فلتشر Sir Banister Fletcher طبع مدينة لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ ــ ٨١٥) .

السير كريستوفر رن Sir Christopher Wren (١٦٣١ ــ ١٧٢٣ م) من كبار رجال الفكر والعلم والهندسة والعمارة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة بملكها شارلس الثانى ، اعاد تصميم عدد كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها الكبير فى سنة ١٦٦٦ م ومما اعاد تصميمه كاتدرائية القديس بولص المعروفة Saint Paul's ونقوش سقفها الداخلية البيض المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان العظيم فى تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما وقد حاكى كرستوفر رن فن النهضة فى سائر ما صممه ولا يستبعد ان يكون إليوت ضمن قوله (ماغنس مارتر Magnus Martyr) على شرحه المتكلف له فى ص ٤٨ فى التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبيهاً لها بكنيسة القديس بطرس فى روما إذ لا يخفى ان بطرس الحوارى هو شهيد المسيحية العظيم (ماغنس مارتر) وهذا معنى جانبى تجيء ظلاله من طريق تداعى المعانى والأول مع الشرح هو الظاهر ولكنى احسب ان هذا هو المقصود وهو الأصل .

اضرب إليوت عن ذكر دى لامير واخفاه .

وقول والتر دى لامير الذى اشار اليه هو اول كلمته Arabia اى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان ــ (انظر ص ١٥٥ من مختارات الشعر الانجليزى المسماة Selections from modern Poets لصانعها ج . س . سكوير J. C. Squire طبع لندن ــ مارتن سكر Martin Secker سنة ١٩٢١) . قال والتر دى لامير فى اول منظومته :

Far are the shades of Arabia,
Where the princes ride at noon,

هذان اول سطرين وقد نظر الى هذين السطرين والى ما بعدهما إليوت نظراً شديداً فى الأسطار التى ذكر فيها فيلوميل والتى قبلها (راجع من اول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدا بشىء كمحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوباترة الى السطر ٩٩) وليس ههنا موضع تفصيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيهات ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الأمراء فى نصف النهار ...

استبدل إليوت عبارة دى لامير ... the shades of Arabia .. (ظلال جزيرة العرب) بعبارته هو ... the walls/of magnus martyr (جدران كنيسة ماغنس الشهيد) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتر دى لامير . ولا يخفى ان الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والفرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادراً عن تعصب دينى او عنصرى او عقابيل شعور صليبى مما يدعو الى التماس ملجا عند الكنيسة إذ لا يخفى ان ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد .

وقد كان والتر دى لامير (١٨٧٣ م ــ ١٩٥٦ م) معاصراً لاليوت ، اسن منه شيئاً .. وقد وصفه تاريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الجذاب ــ (انظر ص ٨٤٧ ــ ٨٤٨ من كتاب The Concise Cambridge History of English literature دى لامير : Where the Princes ride at noon لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م) وقد كان ذا روح رومانتيكى . وطوى اليوت ذكره طياً مع ان شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية .

واستبدل اليوت لفظ الأمراء the Princes الوارد فى بيت دى لامير بقوله the fishmen اى صائدو الحوت وقول دى لامير ride (يركب) بقوله lounge (يستريح) واحتفظ بلفظ نصف النهار at noon وهو وحده كاف فى النميمة بالمحاكاة . وكرر اليوت لفظ where (حيث) الوارد فى بيت

(حيث يركب الأمراء فى نصف النّهار)
يترنم به كما ترى .

لا يخفى ان ثم رابطة قوية بين طي اليوت لذكر دى لامير وجزيرته العربية كما بين طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى والتعصب العنصرى ، وبعضه مرده الى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان واوروبا والسوريون وهارفارد واكسفورد والاستنكاف عن ان ينسب الى الرومانتيكية لادعائه الانتساب الى الكلاسيكية مع انه غارق الى اذنيه فى الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق له فى الأوان ولشاعرها والتر دى لامير المعاصر له فى الزمان ، وبعضه مرده الى شخصيته وبيئته كنشاته فى امريكا وتحوله الى الجنسية البريطانية وتقلب اهوائه فى السياسة والدين ، واكثره مرده الى طموح جامح طلب بمملكة محدودة المدة ان يساوى ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلهما فى عصره ، معتمداً فى ذلك على الكد والمكر والدهاء كالذى رايت من كتمانه محاكاته لوردزورث ودى لامير وتغطية ذلك بضباب من الكلاسيكية والتعليقات الأكاديمية . وككتمانه امر دينه لهما وإضرابه عن ذكرهما فى النص والتعليقات . كذلك كتم امر دينه للعربية واضرب عن ذكره والاشارة اليه كل الاضراب .

الجزء الثاني فى العـــدد القـادم

كلام عن.. سيناء

درويش مصطفى الفار

لم تبرح شبه جزيرة سيناء ، تتسنم قمة الأحداث ، طوال القرون الخمسين المنصرمة ، شاهدة جيشاً مغرباً أو مشرقاً بمعدل مرة كل خمسين عاماً ... ولا أظنها ستفقد صفتها تلك، طالما ظل الخطر اليهودي الصهيوني العنصري التوسعي قائماً بغير رادع (عربي اسلامي) فعال ... وسيناء ، فيما يعلمه من عرف التاريخ ، ولست هنا للخوض فى ما قبل التاريخ ، ولست هنا للخوض في هذا الأمر ومناقشته ، ولا للحديث عن جبالها ورمالها وهضابها ، وسواحلها ، وسباخها ، وقبائلها ، وحيوانها ، ونباتها وآثارها ، ودروبها ، ومسالكها ، وغير ذلك من خصائصها ومميزاتها التي حظيت في جملتها وتفصيلها بما يزيد ، مما أحصيته في ثبت،حتى الآن ، عن ألف وخمسمائة كتاب بشتى لغات الأرض ، ظناً أنها (سيناء) التي عناها كل من التوراة والانجيل والقرآن الكريم ، فيما يخص موسى عليه السلام ومناجاته والألواح ، ذلك الأمر تعددت فيه الآراء والتفسيرات والظنون ، مما حدا بكثيرين الى الاعتقاد بأن سيناء الكتب المقدسة ، ليست بالتأكيد ذلك المثلث من الأرض العربية المصرية الذي تبلغ مساحته زهاء واحد وستين الف كيلو متر مربع ، ويتخذ قاعدته على ساحل البحر المتوسط ، ورأسه عند التقاء خليجي السويس والعقبة في دخولهما بحر القلزم أو البحر الأحمر ، وانما هي مكان آخر يقع في الصحراء الواسعة الرحبة الى الشمال الشرقي من مدينة العقبة .... لست بصدد هذا الآن ... بيد أني بصدد رفع الستار عن بعض حقائق التاريخ التي حدثت فعلا، اكشفها ما وسعني الجهد لعلها تنير بصائرنا ، بعلمنا بحقيقة ما حدث ، لعلنا نعي ما يحدث اليوم .... فقد ظل الاستعمار الغربي ، وهو مشغول ببذل الود للصهيونية العالمية ،ليتخذها لحاجات في أنفس يعاقيب ـ سوطاً أو مقرعة على ظهور وأوجه (أصدقائه) العرب ، حتى ينفس عن مكبوت من الألم وقر في القلوب منذ معركة حطين سنة ١١٨٧ م ، ظل يناور ويداور ويحاور لاثبات أن (سيناء) ليست أرضاً مصرية عربية ليستطيع اقتطاعها للوطن القومي اليهودي ، طالما كانت الشام بجملتها (ومنها فلسطين) تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ... ولكن ظروفاً لا تحصى حالت دون نلك الهدف بعد أن اختلف اللورد كرومر (صاحب الأمر والنهي في مصر حتى سنة ١٩٠٨) مع لجنة هرتزل التي درست (ساحل العريش) سنة ١٩٠٢ ... من تلك المناورات والدسائس ، خطاب وقع في يدي ، أرسله الكولونيل (العقيد) رتشارد ماينر تزهاجن ، الى رئيس الوزراء لويد جورج بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، خطاب يجب أن يقراه كل عربي ، لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، يقول فيه ـ لا رحمه الله ولا طيب ثراه :

سيدي رئيس الوزراء :

لقد سألتني بالأمس ، أن أسطر لك رسالة ـ غير رسمية ـ حول موضوع (السيادة على سيناء) .وانني أعتبر هذا السؤال ذا أهمية قصوى ، ليس اليوم (١٩١٩) ولكن في الأعوام القادمة .. فهل تسمح لي أن أزيد الأمر توضيحاً ، عنى بالامس ...

لقد كنا ، في منتهى الحكمة بسماحنا لليهود أن ينشئوا لهم وطناً قومياً في فلسطين ، ونحن قد (حررنا) العرب من ربقة الأتراك !! كما أننا لن نخلد في مصر .. ولقد وضع مؤتمر السلام بيضتين هما القومية اليهودية ، والقومية العربية ، ومن هاتين البيضتين سوف نحصل على ديكين مزعجين ، الديك اليهودي ، (رجولي شجاع ،ذكي وذو عزيمة !!!) والديك العربي ، (منحط ، بليد خئون) ليس لديه ما يعطيه غير الضلالات التي منحتها اياه تلك الصحراء السرمدية الهدوء!!! واليهود ـ ياسيدي الرئيس ـ رغم شتاتهم قد استطاعوا أن يتميزوا في الفنون والعلوم والموسيقى ، وقد كان

منهم واحد من أعظم رؤساء وزراء بريطانيا!!

وفي خلال خمسين سنة من الآن (١٩١٩) فان كلا من اليهود والعرب سوف يحمل لواء (قوميته) وهذا نتيجة طبيعية لاعلان الرئيس (ولسون) عن حق تقرير المصير ... والقومية تفضل الحكم الوطني مهما كان غير كفء أو غير أمين ، على الحكم الأجنبي مهما كانت مميزاته والقومية تهتم بتحرير الحكم من الأجنبي ، وتتجاهل حرية الفرد ، وهي بالطبع (الطبيخ) الذي يحترفه السياسيون والمهيجون ، وقد يتأتى من ورائه ظلم شنيع للجماهير . ولسوف يتطور الوطن القومي لليهود ان عاجلا أو آجلا الى (سيادة) وأنا افهم أن هذا التطور الطبيعي يدركه ويسعى اليه المحيطون بجلالة الملك . كما وأن القومية العربية سوف تنمو من ما بين النهرين الى مراكش . ولسوف تصطرع السيادتان ، اليهودية والعربية . فاذا ما تحقق برنامج التهجير اليهودي الى فلسطين فان الدولة اليهودية سوف تتوسع ، على حساب العرب ، الذين سوف يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون نمو (فلسطين يهودية) وهذا سوف يتطلب ، اراقة الدماء ... ووضع بريطانيا اليوم (١٩١٩) في الشرق الأوسط ، وضع متفوق ، ولسوف تجابهنا تحديات القومية ... ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للطرفين ، العرب واليهود ... وأقترح أن نصادق القوم الذين سوف يكونون أصدقاء (أوفياء) لنا ، وهم اليهود بالطبع ، وهم مدينون لنا بأمور كثيرة ، ونحن نعرف أن (الوفاء) من خصائص اليهود (!!!!) اذ على الرغم من أننا قدمنا الكثير للعرب (فانهم) لا يعرفون معنى الوفاء !!!! فضلا عن أنهم سوف يكونون (عبئاً) علينا ، بينما اليهود سوف يكونون عوناً !! وفلسطين ياسيدي الرئيس هي حجر الزاوية في الشرق الاوسط وهي محصورة بين

● رسالة غير رسمية حول موضوع السيادة على سيناء عمرها ٦٣ عاما

الصحراء والبحر ، وبها أفضل مرافىء شرقي البحر المتوسط ، ولقد أثبت اليهود مقدرتهم الحربية منذ احتلال الرومان لفلسطين (؟؟) والقدس ... والعربي محارب (ضعيف) لا يتقن الا السلب والنهب والقتل !!!!

والآن نأتي الى موقع فلسطين بالنسبة الى مصر ، فالمصريون على كثرة العدد وتفوقه لا يمكن مقارنتهم باليهود وجيشهم !! ولكن عندما تتطور الأسلحة ـ الدبابات والطائرات ـ فان القوة الهجومية سوف تعتمد على الشجاعة والصلابة ، ولهذا فانني أعتبر مصر العدو الكامن الدائم لفلسطين (اليهودية)... وبنمو القومية العربية والقومية اليهودية سنة ١٩٦٦ أي بعد سبعة وأربعين عاماً من الآن فلسوف نفقد وضعنا في الشرق الاوسط فاقتراحي اليك أمس هو اقتراح بأن ننظر بجدية الى تقوية وتأمين موقفنا في الشرق الأوسط .

ولقد كانت الحدود المصرية (التركية) قبل سنة ١٩٠٥ تمتد من رفح الى السويس . وهكذا كان كل شرق سيناء وجنوبها جزء من (الحجاز) وهي ولاية عثمانية ، وفي اكتوبر سنة ١٩٠٦ منحت مصر حق ادارة سيناء كلها غرب الخط الواصل من رفح الى العقبة ، وظلت تركيا محتفظة بسيادتها !!! ولقد قام الجنرال اللنبي بالقوات البريطانية (دون مساعدة من الجيش المصري) بغزو (وتحرير) سيناء (التركية) ، وبذلك فان سيناء ، بحق الفتح الحربي هي أرض بريطانية !! وهذه الحقيقة الواضحة الصلعاء يمكن لوزارة الخارجية أن تجعلها حقيقة دولية !! فاذا ما توصلنا الى الحاق سيناء بممتلكات التاج ، فاننا سوف نحقق المغانم التالية :

١ ـ انشاء منطقة تعزل ما بين مصر ، وفلسطين (اليهودية) ...

٢ ـ الحصول لبريطانيا (العظمى) على موقع ممتاز للسيطرة التامة على البحرين الأحمر والمتوسط ..

٣ ـ وكذلك على متسع لقاعدة ستراتيجية ، بموافقة اليهود لانشاء أكبر الموانىء في شرق البحر المتوسط .

٤ ـ تصبح بريطانيا في موقع تستطيع منه كبح جماح أي تحرك مصري لتعطيل الملاحة في قناة السويس فضلا عن التمكن من دراسة توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بقناة ثانية

٥ ـ ليس هنالك خوف من قيام نزعة تحررية بين سكان سيناء لأنهم فقراء قليلو العدد ومعظمهم من البدو الرحل .. ولئن كان قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) قد غير من خطوات فلسفة هذا الخطاب العجيب، فان مضمون تلك الفلسفة قد نفذ ، ولعل أهل كاتب هذا الخطاب قد عرفوا معنى (الوفاء) ، ولعلنا قادرون على أن نرى (الأصدقاء) زلاتهم وخياناتهم للأمانة ، لعلهم يرعوون ويفيقون قبل أن يصبح استمرار (الصداقة) من المستحيلات ، وحيث لا ينفع الندم .

دعـــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـــبـــير

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي



بقلم: الدكتور عبد الله الطيب

توماس ستيرنز إليوت Thomas Steams Eliot ولد سنة ١٨٨٨ وتوفي سنة ١٩٦٥ م نشا بسنت لويس ،مسوري من الولايات المتحدة بامريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعي بين سنة ١٩٠٦م و ١٩١٥في هارفارد بامريكا ، والسوربون فى باريس ، واكسفورد بانجلترا . استقر بانجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس بالجنسية البريطانية . ويذكر مترجموه انه كان من اسرة عريقة الاصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه وثراء . وكان هو مع ادبه في انجلترا من رجال الأعمال الناجحين فى ميدان النشر . وكان مرموق المكان بين ادباء عصره من جانبى المحيط الأطلسى ،قريباً فى المنزلة عندهم مما كان عليه اديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله . اشتهر اول امره بعد نشره منظومته (الأرض المقفرة The Waste Land)سنة ١٩٢٢ . ويقال ان الذى نشر حينئذ كان شيئاً مختصراً ، اختصره منها ـ وهى طويلة جداً ـ صاحبه واستاذه الروحي إزرا باوند Ezra وعندى ان مثل Pound هذا القول ، صح او لم يصح ، مما لا ينبغى ان يُعَوَّلَ عليه . وإليوت أعظم بها شهرة بين ادباء العرب المتعلقين به منه بغيرها ولكنه فى فرنسا مثلا أعظم شهرة بمسرحيته (مقتل في الكنيسة Murder in the Cathedral) وللناس فى ما يعشقون مذاهب .

الفتنة باليوت والأرض المقفرة

الفتنة باليوت بين أدباء العرب المعاصرين كبيرة جداً . وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار . ومما ينسب إليه في باب الابتكار مذهبه فى الاشارات والاقتباس . وهذا المذهب قديم فى اللغة الانجليزية واقدم فى اللغة العربية افتن فيه من الجاهليين ، على سبيل المثال زهير ونابغة بني ذبيان ، وَدَعْ الفرزدق وجريرا وذا الرمة وابا نواس وشيخ المذهب في المحدثين ابا تمام وتلاميذه من لدن ابي العلاء إلى الحريري . ومن جون ملتون John Milton الشاعر الانجليزى الكبير المشهور ، استفاد هو طريقة مذهبه فى الاشارات والاقتباس فتامل هذه الالتواءة ، وكانما كان اسلوب امثالهاله ديدناً وطبيعة والله تعالى اعلم بسرائر غيابات النفوس .

ويدعو الداعون إلى الاقتداء باسلوب إليوت والتمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربي الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون . وفي هذه القضية نظر . هذا أقل ما يقال . ولو قلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا . وإليك بعض البيان .

الاضراب عن ذكر العرب

اولا : لفت نظري ان تعليقات إليوت التى جعلها فى ذيل منظومته المسماة The Waste

هـــذه الدعوة الأدبيـــة الجريئة

الدكتور عبد الله الطيب ناقد عربى كبير ، وباحث أدبى يحتل مكانه الآن بين الصف الأول من النقاد والباحثين . وقد جمـــع عبد الله الطيب فى شخصيته الأدبية بين الأصالة ، حيث أنه من كبار العارفين والدارسين والمتذوقين للتراث العربى شعراً ونثراً وفكراً ، وبين المعرفة العميقة الواسعة بالأدب الأوروبى والثقافة الغربية ، كما جمع عبد الله الطيب بين شخصية الناقد الباحث وشخصية الشاعر المبدع ، وجمع أيضا بين « الأستاذية » الجامعية ، والجماهيرية الواسعة حيث أنه من كبار القادرين على مخاطبة الرأى العام الأدبى ، كتابة ومحاضرة .. والخلاصة أن عبد الله الطيب هو شرارة من شعلة « طه حسين » التى أضاءت الأدب العربى والثقافة العربية خلال نصف قرن من الزمان ومازالت تضىء .

ويسعد الدوحة أن تنشر هذا البحث الجديد للناقد الشاعر الباحث الدكتور عبد الله الطيب ، حيث يهوى بقلمه على فكرة أساسية وجهت الشعر العربى منذ الأربعينات حتى اليوم ، وهذه الفكرة هى التأثر والافتتان بالشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » ، فقد كان لهذا الشاعر الكبير تأثيره العميق الواسع على شعراء هذا الجيل من السياب إلى نازك الملائكة إلى البياتى وصلاح عبد الصبور وحجازى وغيرهم من الشعراء اللامعين ، حتى لقد أصبح « اليوت » حقيقة مسلما بها فى الحركة الشعرية العربية الجديدة ، من حيث تأثيره ونفوذه الأدبى ، وها هو الدكتور عبد الله الطيب ، يقدم هذه الدعوة الأدبية الجريئة التى نرجو أن تحظى بما تستحقه من المناقشة والاهتمام ، فالدكتور الطيب يكشف عن الجوانب السلبية فى اليوت ، وعن الجوانب السلبية فى التأثر العربى الواسع بهذا الشاعر .. والذين يتابعون الواقع الشعرى العربى يدركون ما فى هذه الدعوة من جراة ، ويسمعون ما فيها من طرقات عنيفة على باب الشعر العربى الذى أوشك أن يكون مغلقا الآن على حدود جامدة تعتمد على التكرار ولا يبدو فيها من ملامح الجديد إلا القليل .

والدوحة تنشر اليوم الجزء الأول من هذه الدراسة الكبيرة وسوف تنشر فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير من البحث ، وقـــد اضطررنا لتقسيم البحث إلى حلقتين لطوله مما يصعب معه نشره فى عدد واحد .

على أن « الدوحـــة » وهى تنشر هذا البحث الهام وما يتضمنه من دعوة جريئة ، تدعو النقاد والشعراء وذوى الرأى الأدبى إلى المناقشة فيما أثاره الدكتور عبد الله الطيب من آراء أدبية جديدة وجريئة .

« رئيس التحرير »

Land « أى الأرض المقفرة » خالية من الاشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه « القرآن مثلا والاسلام » مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو فى ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل أكثر أمم الأرض ولغتها وآدابها الحاضرة والغابرة .

ثانياً : لفت نظري أن إليوت قد ضمن منظومته راجع = The Waste Land and other طبعة لندن فى السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و = Poems ١٩٧٥ م) فى السطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ص ـ ٣ إشارة إلى شىء من شـــعر وليم وردزورث William Words Worth الرومانتكي الانجليزي الكبير وفي السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شىء من شعر والتردى لامير Walter de la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدي التأثر بالرومانتكية . ولم يذكر فى تعليقاته شيئاً يدل على هاتين الاشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هوشهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر فى منظومته من شعر Spencer سبنسر (راجع ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣) وآخر مشهور جداً من شعر Andrew Marvel اندروهارفيل (راجع ص ٣٤ س ١٩٦) واشياء معروفة من التوراة والانجيل وغير ذلك . إذن ينبغى أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما أشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثاً : لفت نظري أن ذكر العرب الذى قد أضرب عنه إليوت كل الاضراب له ورود واضح فى أصل الاشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظهما الأسطار التى أشرنا إليها من قبل فى منظومته ـ الاشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، فى الأسطر ١٠٠ ـ ١٠٣ ، والاشارة الديلميرية ، نسبة إلى والتردى لامير ، فى الأسطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ « أ » الاشارة التى وردت من إليوت فى س ١٠٠ ـ ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شىء من شعر وليم وردزورث هى قوله :

..... Yet there the nightingale
Filled all the desert with inviolable voice
And still she cried, and still the world pursues
'Jug jug' to dirty ears —

ترجمـــة تقريبيـــة :

ولكن هناك البلبل
ملأ كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب
واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد
زقزقة صفيره إلى الآذان القذرة

هذا والذى أشار إليه إليوت من شعر وليم

الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

وردزورث هو قول هذا فى منظومته

The Solitary Reaper

اى الحاصدة المتوحدة : ـ

O listen for the vale profound
Is overflowing with the sound
No nightingale did everchant
More welcomes notes to weary bands
Of travellers in some shady haunt
Among **Arabian** sands.

وضعا خطا تحت الكلمة الدالة على العرب من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها وترجمة هذا النظم التقريبية كما يلي : ـ

الا فاسمع فان الوادى العميق
يفيض مفعما بالصوت
وما غنى ابدا بلبل
نغمات اطيب لجماعات مضناة
من المسافرين فى ظل مكان ما
بين الرمال العربية

اخذ إليوت معنى فيض الوادى وإفعامه بالصوت من قول وليم وردزورث حيث قال : (راجع السطر الثاني من كلامه الذى مر) :

..... overflowing with the sound

اى : يفيض مفعما بالصوت .

فجاء بقوله فى السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

اى ملأ كل الصحراء كما مربك فى الترجمة ، وتتمة السطر فى نعت البلبل بان صوته الذى ملأ الصحراء لا يستطيع احد له اغتصاباً وطمثاً inviolable واصل هذا المعنى ماخوذ من حاصدة وردزورث المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء الحاصدة المتوحدة التى افعم صوتها الوادى العميق وفضله وردزورث على صوت كل بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التى لا تنال لتوحدها وبداوتها الى الصوت نفسه فزعم له عذرية سرمدية لا يستطاع نيلها بغصب وطمث ، لا يطمثها احد لا انس ولا جان كحور الجنة . وازعم ان إليوت لايخلو ان يكون نظر فى قوله الى هذا المعنى القرانى ـ قال تعالى فى سورة الرحمن فى وصف الحور العين :«لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» ؛ وذلك ان ترجمات القران فى اللغة الانجليزية وغيرها من لغات اوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت فى السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميل Philomel فى نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .....

وهو يريد بذلك ان يوقع فى وهمنا انه يشير الى خبر Philomela فيلوميلا الأسطورى وخلاصته (وقد اشار اليه فى التعليقات ص ٤٦) ان ملكا تزوج اخت فيلوميلا (او فيلوميل) ثم شغف بها هى حباً وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم احداً بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته . وتنتهى الأسطورة بمسخ الغاصب والمراتين طيراً ، وصيرورة فيلوميلا (فيلوميل) بلبلا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذى قطع . وما اشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز ان اصل اللفظين واحد قديم موغل فى القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهى من امهات الحضارة ؟ ومن خطا اليونان او غيرهم فى هذه الأسطورة نسبة الغناء الى انثى البلبل لأن الصادح فى الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على ان اصل معنى إليوت اخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث . استبدل إليوت قول وردزورث «الرمال العربية Arabian Sands ، بقوله هو «كل الصحراء all the desert وما قوله كل الصحراء إلا كما لو قال رمال العرب او الرمال العربية او الصحراء العربية. واستبدل إليوت قول وردزورث«لجماعات مضناة to weary bands بقوله هو «للاذان او الى الآذان القذرة to dirty ears وشبه الصياغة ودليل الاخذ فى النص الانجليزى واضح جداً . ولاحظ مع هذا ان إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث «بين الرمال العربية» بقوله هو «كل الصحراء» :

وردزورث : Among Arabian sands

إليوت : Filled all the desert

وقول إليوت :

Jug jug to dirty ears .....

اى : زقزقة صفير البلبل الى الآذان القذرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت «زق زق» ليوهم بانه يشير الى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية فى اشعارهم ويصرف الأذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى ان ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وان هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .

«ب» : الاشارة الديلميرية نسبة الى والتر دى لامير .

قال إليوت فى منظومته السطر ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ص ٣٠ : ـ

Where fishmen lounge at noon, where the walls of magnus martyr hold
Inexplicable splendours of Ionian white and gold.

الترجمة التقريبية :

حيث يستريح صائدو الحوت فى نصف النهار حيث جدران (كنيسة) ماغنس الشهيد تحوى ما يعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى والذهبى .

الكلمة inexplicable فى هذا النص ومعناها ما يعجز الشرح والتفسير تشبه فى روح الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت فى اخذه من وردزورث وهى inviolable اى لا يستطاع اغتصابه . وفكرة الأبيض اليونانى والذهبى فيها مشابه من فكرة إقحامه «فيلوميل» من قبل من حيث الايهام بالرجوع الى الأصول القديمة الكلاسيكية وصرف النظر عن موضع الأخذ القريب . وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعليقه بذكر المعمارى رن Wren فى ص ٤٨ وهو السير كرستوفر رن Sir Christopher Wren يشبه إقحامة «زق زق» ليصرف النظر عن اخذه عن دى لامير ويوهم باشارة بدل ذلك الى هذا المعمارى وعصره الرفيع فى تاريخ الحضارة والفن والأدب .



وليم شكسبير



جون ملتون



عزرا باوند

عنى إليوت بالأبيض اليونانى والذهبى من قوله المتقدم نقوش الفسيفساء التى فى سقف الكنيسة من الداخل واصلها يونانى . وقول إليوت : Magnus Martyr اى ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس Saint Magnus وذلك اسم كنيسة مما صممه المعمارى المهندس السير كرستوفر رن . ومعنى «مارتر Martyr التى اقحمها إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة . (راجع A History of Architecture اى «تاريخ العمارة» لمؤلفه السير بانستر فلتشر Sir Banister Fletcher طبع مدينة لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ ــ ٨١٥) .

السير كريستوفر رن Sir Christopher Wren (١٦٣١ ــ ١٧٢٣ م) من كبار رجال الفكر والعلم والهندسة والعمارة فى بريطانيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة بملكها شارلس الثانى ، اعاد تصميم عدد كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها الكبير فى سنة ١٦٦٦ م ومما اعاد تصميمه كاتدرائية القديس بولص المعروفة Saint Paul's ونقوش سقفها الداخلية البيض المذهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها كريستوفر رن طريقة مايكل انجلو الفنان العظيم فى تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما وقد حاكى كرستوفر رن فن النهضة فى سائر ما صممه ولا يستبعد ان يكون إليوت ضمن قوله (ماغنس مارتر Magnus Martyr) على شرحه المتكلف له فى ص ٤٨ فى التعليقات ، معنى كاتدرائية القديس بولص تشبيهاً لها بكنيسة القديس بطرس فى روما إذ لا يخفى ان بطرس الحوارى هو شهيد المسيحية العظيم (ماغنس مارتر) وهذا معنى جانبى تجيء ظلاله من طريق تداعى المعانى والأول مع الشرح هو الظاهر ولكنى احسب ان هذا هو المقصود وهو الأصل .

اضرب إليوت عن ذكر دى لامير واخفاه .

وقول والتر دى لامير الذى اشار اليه هو اول كلمته Arabia اى الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان ــ (انظر ص ١٥٥ من مختارات الشعر الانجليزى المسماة Selections from modern Poets لصانعها ج . س . سكوير J. C. Squire طبع لندن ــ مارتن سكر Martin Secker سنة ١٩٢١) . قال والتر دى لامير فى اول منظومته :

Far are the shades of Arabia,
Where the princes ride at noon,

هذان اول سطرين وقد نظر الى هذين السطرين والى ما بعدهما إليوت نظراً شديداً فى الأسطار التى ذكر فيها فيلوميل والتى قبلها (راجع من اول الفصل الذى عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدا بشىء كمحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوباترة الى السطر ٩٩) وليس ههنا موضع تفصيل ذلك .

وترجمة سطرى دى لامير على وجه التقريب :

هيهات ظلال جزيرة العرب
حيث يركب الأمراء فى نصف النهار ...

استبدل إليوت عبارة دى لامير ... the shades of Arabia .. (ظلال جزيرة العرب) بعبارته هو ... the walls/of magnus martyr (جدران كنيسة ماغنس الشهيد) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران فى مكان الظلال التى فى عبارة والتر دى لامير . ولا يخفى ان الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والفرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادراً عن تعصب دينى او عنصرى او عقابيل شعور صليبى مما يدعو الى التماس ملجا عند الكنيسة إذ لا يخفى ان ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد .

وقد كان والتر دى لامير (١٨٧٣ م ــ ١٩٥٦ م) معاصراً لاليوت ، اسن منه شيئاً .. وقد وصفه تاريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الجذاب ــ (انظر ص ٨٤٧ ــ ٨٤٨ من كتاب The Concise Cambridge History of English literature) دى لامير : Where the Princes ride at noon لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م) وقد كان ذا روح رومانتيكى . وطوى اليوت ذكره طيا مع ان شاهد محاكاته له واضح فى الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية .

واستبدل اليوت لفظ الأمراء the Princes الوارد فى بيت دى لامير بقوله the fishmen اى صائدو الحوت وقول دى لامير ride (يركب) بقوله lounge (يستريح) واحتفظ بلفظ نصف النهار at noon وهو وحده كاف فى النميمة بالمحاكاة . وكرر اليوت لفظ where (حيث) الوارد فى بيت

(حيث يركب الأمراء فى نصف النّهار)
يترنم به كما ترى .

لا يخفى ان ثم رابطة قوية بين طي اليوت لذكر دى لامير وجزيرته العربية كما بين طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى والتعصب العنصرى ، وبعضه مرده الى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان واوروبا والسوريون وهارفارد واكسفورد والاستنكاف عن ان ينسب الى الرومانتيكية لادعائه الانتساب الى الكلاسيكية مع انه غارق الى اذنيه فى الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق له فى الأوان ولشاعرها والتر دى لامير المعاصر له فى الزمان ، وبعضه مرده الى شخصيته وبيئته كنشاته فى امريكا وتحوله الى الجنسية البريطانية وتقلب اهوائه فى السياسة والدين ، واكثره مرده الى طموح جامح طلب بمملكة محدودة المدة ان يساوى ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلهما فى عصره ، معتمداً فى ذلك على الكد والمكر والدهاء كالذى رايت من كتمانه محاكاته لوردزورث ودى لامير وتغطية ذلك بضباب من الكلاسيكية والتعليقات الاكاديمية . وككتمانه امر دينه لهما وإضرابه عن ذكرهما فى النص والتعليقات . كذلك كتم امر دينه للعربية واضرب عن ذكره والاشارة اليه كل الاضراب .

الجزء الثاني فى العـــدد القـادم

كلام عن.. سيناء

درويش مصطفى الفار

لم تبرح شبه جزيرة سيناء ، تتسنم قمة الأحداث ، طوال القرون الخمسين المنصرمة ، شاهدة جيشاً مغرباً أو مشرقاً بمعدل مرة كل خمسين عاماً ... ولا أظنها ستفقد صفتها تلك، طالما ظل الخطر اليهودي الصهيوني العنصري التوسعي قائماً بغير رادع (عربي اسلامي) فعال ... وسيناء ، فيما يعلمه من عرف التاريخ ، ولست هنا للخوض فى ما قبل التاريخ ، ولست هنا للخوض في هذا الأمر ومناقشته ، ولا للحديث عن جبالها ورمالها وهضابها ، وسواحلها ، وسباخها ، وقبائلها ، وحيوانها ، ونباتها وآثارها ، ودروبها ، ومسالكها ، وغير ذلك من خصائصها ومميزاتها التي حظيت في جملتها وتفصيلها بما يزيد ، مما أحصيته في ثبت،حتى الآن ، عن ألف وخمسمائة كتاب بشتى لغات الأرض ، ظناً أنها (سيناء) التي عناها كل من التوراة والانجيل والقرآن الكريم ، فيما يخص موسى عليه السلام ومناجاته والألواح ، ذلك الأمر تعددت فيه الآراء والتفسيرات والظنون ، مما حدا بكثيرين الى الاعتقاد بأن سيناء الكتب المقدسة ، ليست بالتأكيد ذلك المثلث من الأرض العربية المصرية الذي تبلغ مساحته زهاء واحد وستين الف كيلو متر مربع ، ويتخذ قاعدته على ساحل البحر المتوسط ، ورأسه عند التقاء خليجي السويس والعقبة في دخولهما بحر القلزم أو البحر الأحمر ، وانما هي مكان آخر يقع في الصحراء الواسعة الرحبة الى الشمال الشرقي من مدينة العقبة .... لست بصدد هذا الآن ... بيد أني بصدد رفع الستار عن بعض حقائق التاريخ التي حدثت فعلا، اكشفها ما وسعني الجهد لعلها تنير بصائرنا ، بعلمنا بحقيقة ما حدث ، لعلنا نعي ما يحدث اليوم .... فقد ظل الاستعمار الغربي ، وهو مشغول ببذل الود للصهيونية العالمية ،ليتخذها- لحاجات في أنفس يعاقيب - سوطاً أو مقرعة على ظهور وأوجه (أصدقائه) العرب ، حتى ينفس عن مكبوت من الألم وقر في القلوب منذ معركة حطين سنة ١١٨٧ م ، ظل ينلور ويداور ويحاور لاثبات أن (سيناء) ليست أرضاً مصرية عربية ليستطيع اقتطاعها للوطن القومي اليهودي ، طالما كانت الشام بجملتها (ومنها فلسطين) تحت لواء الخلافة الاسلامية العثمانية ... ولكن ظروفاً لا تحصى حالت دون نلك الهدف بعد أن اختلف اللورد كرومر (صاحب الأمر والنهي في مصر حتى سنة ١٩٠٨) مع لجنة هرتزل التي درست (ساحل العريش) سنة ١٩٠٢ ... من تلك المناورات والدسائس ، خطاب وقع في يدي ، أرسله الكولونيل (العقيد) رتشارد ماينر تزهاجن ، الى رئيس الوزراء لويد جورج بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٩ ، خطاب يجب أن يقراه كل عربي ، لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، يقول فيه - لا رحمه الله ولا طيب ثراه :

سيدي رئيس الوزراء :

لقد سالتني بالأمس ، أن أسطر لك رسالة - غير رسمية - حول موضوع (السيادة على سيناء) .وانني أعتبر هذا السؤال ذا أهمية قصوى ، ليس اليوم (١٩١٩) ولكن في الأعوام القادمة .. فهل تسمح لي أن أزيد الأمر توضيحاً ، عنى بالامس ...

لقد كنا ، في منتهى الحكمة بسماحنا لليهود أن ينشئوا لهم وطناً قومياً في فلسطين ، ونحن قد (حررنا) العرب من ربقة الأتراك !! كما أننا لن نخلد في مصر .. ولقد وضع مؤتمر السلام بيضتين هما القومية اليهودية ، والقومية العربية ، ومن هاتين البيضتين سوف نحصل على ديكين مزعجين ، الديك اليهودي ، (رجولي شجاع ،ذكي وذو عزيمة !!!) والديك العربي ، (منحط ، بليد خئون) ليس لديه ما يعطيه غير الضلالات التي منحتها اياه تلك الصحراء السرمدية الهدوء!!! واليهود - ياسيدي الرئيس - رغم شتاتهم قد استطاعوا أن يتميزوا في الفنون والعلوم والموسيقى ، وقد كان

منهم واحد من أعظم رؤساء وزراء بريطانيا!!

وفي خلال خمسين سنة من الآن (١٩١٩) فان كلا من اليهود والعرب سوف يحمل لواء (قوميته) وهذا نتيجة طبيعية لاعلان الرئيس (ولسون) عن حق تقرير المصير ... والقومية تفضل الحكم الوطني مهما كان غير كفء أو غير أمين ، على الحكم الأجنبي مهما كانت مميزاته والقومية تهتم بتحرير الحكم من الأجنبي ، وتتجاهل حرية الفرد ، وهي بالطبع (الطبيخ) الذي يحترفه السياسيون والمهيجون ، وقد يتأتى من ورائه ظلم شنيع للجماهير . ولسوف يتطور الوطن القومي لليهود ان عاجلا أو آجلا الى (سيادة) وأنا افهم أن هذا التطور الطبيعي يدركه ويسعى اليه المحيطون بجلالة الملك . كما وأن القومية العربية سوف تنمو من ما بين النهرين الى مراكش . ولسوف تصطرع السيادتان ، اليهودية والعربية . فاذا ما تحقق برنامج التهجير اليهودي الى فلسطين فان الدولة اليهودية سوف تتوسع ، على حساب العرب ، الذين سوف يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون نمو (فلسطين يهودية) وهذا سوف يتطلب ، اراقة الدماء ... ووضع بريطانيا اليوم (١٩١٩) في الشرق الأوسط ، وضع متفوق ، ولسوف تجابهنا تحديات القومية ... ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للطرفين ، العرب واليهود ... واقترح أن نصادق القوم الذين سوف يكونون أصدقاء (أوفياء) لنا ، وهم اليهود بالطبع ، وهم مدينون لنا بأمور كثيرة ، ونحن نعرف أن (الوفاء) من خصائص اليهود (!!!!) اذ على الرغم من أننا قدمنا الكثير للعرب (فانهم) لا يعرفون معنى الوفاء !!!! فضلا عن أنهم سوف يكونون (عبئاً) علينا ، بينما اليهود سوف يكونون عوناً !! وفلسطين ياسيدي الرئيس هي حجر الزاوية في الشرق الاوسط وهي محصورة بين

● رسالة غير رسمية حول موضوع السيادة على سيناء عمرها ٦٣ عاما

الصحراء والبحر ، وبها أفضل مرافىء شرقي البحر المتوسط ، ولقد أثبت اليهود مقدرتهم الحربية منذ احتلال الرومان لفلسطين (؟؟) والقدس ... والعربي محارب (ضعيف) لا يتقن الا السلب والنهب والقتل !!!!

والآن نأتي الى موقع فلسطين بالنسبة الى مصر ، فالمصريون على كثرة العدد وتفوقه لا يمكن مقارنتهم باليهود وجيشهم !! ولكن عندما تتطور الأسلحة ـ الدبابات والطائرات ـ فان القوة الهجومية سوف تعتمد على الشجاعة والصلابة ، ولهذا فانني أعتبر مصر العدو الكامن الدائم لفلسطين (اليهودية)... وبنمو القومية العربية والقومية اليهودية سنة ١٩٦٦ أي بعد سبعة وأربعين عاماً من الآن فلسوف نفقد وضعنا في الشرق الاوسط فاقتراحي اليك أمس هو اقتراح بأن ننظر بجدية الى تقوية وتأمين موقفنا في الشرق الأوسط .

ولقد كانت الحدود المصرية (التركية) قبل سنة ١٩٠٥ تمتد من رفح الى السويس . وهكذا كان كل شرق سيناء وجنوبها جزء من (الحجاز) وهي ولاية عثمانية ، وفي اكتوبر سنة ١٩٠٦ منحت مصر حق ادارة سيناء كلها غرب الخط الواصل من رفح الى العقبة ، وظلت تركيا محتفظة بسيادتها !!! ولقد قام الجنرال اللنبي بالقوات البريطانية (دون مساعدة من الجيش المصري) بغزو (وتحرير) سيناء (التركية) ، وبذلك فان سيناء ، بحق الفتح الحربي هي أرض بريطانية !! وهذه الحقيقة الواضحة الصلعاء يمكن لوزارة الخارجية أن تجعلها حقيقة دولية !! فاذا ما توصلنا الى الحاق سيناء بممتلكات التاج ، فاننا سوف نحقق المغانم التالية :

١ ـ انشاء منطقة تعزل ما بين مصر ، وفلسطين (اليهودية) ...

٢ ـ الحصول لبريطانيا (العظمى) على موقع ممتاز للسيطرة التامة على البحرين الأحمر والمتوسط ..

٣ ـ وكذلك على متسع لقاعدة ستراتيجية ، بموافقة اليهود لانشاء أكبر الموانىء في شرق البحر المتوسط .

٤ ـ تصبح بريطانيا في موقع تستطيع منه كبح جماح أي تحرك مصري لتعطيل الملاحة في قناة السويس فضلا عن التمكن من دراسة توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بقناة ثانية

٥ ـ ليس هنالك خوف من قيام نزعة تحررية بين سكان سيناء لأنهم فقراء قليلو العدد ومعظمهم من البدو الرحل .. ولئن كان قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) قد غير من خطوات فلسفة هذا الخطاب العجيب، فان مضمون تلك الفلسفة قد نفذ ، ولعل أهل كاتب هذا الخطاب قد عرفوا معنى (الوفاء) ، ولعلنا قادرون على أن نرى (الأصدقاء) زلاتهم وخياناتهم للأمانة ، لعلهم يرعوون ويفيقون قبل أن يصبح استمرار (الصداقة) من المستحيلات ، وحيث لا ينفع الندم .



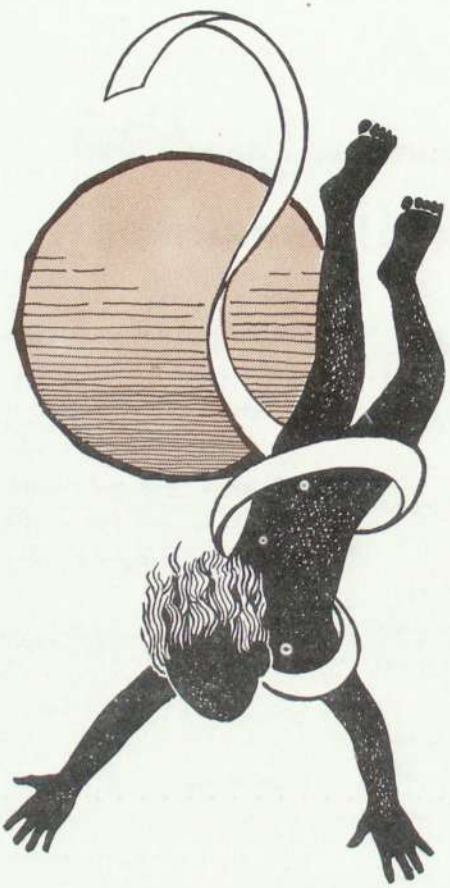
في الملهى

شعر: د. كمال نشأت

أيتها الصبيةُ النحيلة
كجيد مُهْرٍ عربى
من الذى أتىَ بقلبك الغَرير هاهنا
بين العيونِ الجشعاتِ النَّزِقَه
والنفوسِ المُتْعَبَاتِ القَلِقَه
لا تدخلى الحلبةَ للرقصِ .. كَفَاكِ
هذه الكأسُ الصغيره
أيتها الغَرِيرَه
يا جدولاً من بجعٍ فى ضوءِ فجرٍ زئبقى
أشم فيك الأرضَ قد تشربتْ مطرْ
أشم فيك خصبَها ..
لو كنتِ لى ..
رسمتُ وجهَكِ القمحىَّ فى أجنحةِ البلابلْ
لو كنت لى ..
قضَّيْتُ عمرى كلَّه ... لكننا
مبتعدانْ ..
واحسْرَتَا .. مبتعدانْ
فالشمسُ فى أصيلها
والبدرُ عُنْفُوَانْ .

النجاة

قصة بقلم :
صلاح عبدالسيد



الى الحزانى .. !!
الى الذين يحملون العالم داخل قلوبهم .. !!
الى أصحاب العيون الدامعة .. الذين يستشعرون الوحدة تحت جلودهم ..
الى الذين ما يزالون يقشعرون .. ويندهشون .. ويبكون بفرح ..

اليهم .. أتوجه بالنداء ..
غداً .. فى لحظة بزوغ الشمس .. فى اللحظة التى تفتح الشمس فيها عينيها .. فى تلك اللحظة .. عليكم أن تتوجهوا الى البرج العالى .. لأنى بمشيئة الله تعالى .. سأنتحر ..
أريدكم أن تنطلقوا .. فى دفقة واحدة .. تصبها الشوارع .. والحوارى .. والأزقة .. متلاصقين .. لاهثين .. عارين إلا من حزنكم .. ولترفعوا أعينكم لأننى سأكون لحظتها فى الأعلى .. وسأكون مستعداً للقفز ..

سأقفز من هذا المكان العالى .. إلى الأرض الصخرية .. وأعرف أننى قد أموت لكننى أعرف أيضاً أننى قد لا أموت ..
لو تجمعتم .. لو شخصتم بقلوبكم .. لو رفعتم أحزانكم عالياً .. لو انسابت الدمعات فى قلوبكم .. لو ارتفع النبض ليصبح دقات ترج العالم .. لو أن رموشكم طالت وامتدت تحتى .. فان الأرض لن تكون صخرية ..
لابد أن أقفز .. العالم أثقلنى .. وأحس بجسدى ثقيلا .. ولابد أن أتخفف منه ..
سأقفز يا أصدقاء الحزن .. لحظة البزوغ .. فتذكروا .. أريدكم كتفاً الى كتف .. العيون الحزينة الرائقة .. والأيدى المعروقة .. والقلوب التى تحمل العالم بين دفتيها ..
ادعوا لى .. تجمعوا وادعوا لى .. الهم واحد .. همنا .. نحن محزونون .. ونريد لحزننا الفرح فلتأتوا فى لحظة البزوغ ..
وليمتنع الذين يتفرجون .. واللامبالون .. والمتطفلون .. والجهلة .. والذين يشيعون انى أريد أن أتخلص مما يثقلنى .
لحظة القفز أريدكم معى .. عيون تحملنى .. وأذرع ممدودة .. عيون وأذرع .. اننى لن أسقط فى الفراغ .. لكننى سأسقط بين العيون والأذرع ..



ادعوا لى .. فقد يتحقق الذى أريده .. الذى نريده .. جسدى ثقيل .. ولم يعد حزنى شفيفاً .. كبلنى حزنى .. أريد أن أنفلت أن ننفلت ..
هنا تجمعوا فى لحظة البزوغ .. فاننى بالنيابة عنكم سأفعلها ..
لو أننا جميعا .. امتددنا شهقة .. ودمعة .. لو أننا .. فقد أتهادى حين أقفز .. أتهادى بجناحين رفافين .. أرف .. وأرف .. الى أن أصل الى الأرض فأتلامس معها ..
ولحظة التلامس .. قد ينبثق لى حزن آخر .. شفيف .. وراعش .. وقد أتحول .. ونتحول جميعاً ..
ألم تكن النار برداً وسلاماً على ابراهيم .. !! ؟

نظرات في اللغة العربية

من المعلوم أن موازين الفعل الثلاثي المجرد عند تصريفها في الماضي والمضارع هي ستة أبواب جمعت في البيت التالي :

فتح ضم ، فتح كسر ، فتحتان
كسر فتح – ضم ضم – كسرتان .

فالباب الأول (فتح ضم) نحو : أكَل – يأكُل .

الباب الثاني (فتح كسر) نحو : جَلَس – يجلِس .

الباب الثالث (فتحتان) نحو : جَمَعَ – يجمَع .

الباب الرابع (كسر – فتح) نحو : تَعِب – يتعَب .

الباب الخامس (ضم ضم) نحو : كَرُمَ – يكرُم .

والباب السادس (كسرتان) نحو : وثِق – يثِق .

هذا وإن الدارس الباحث ليلاحظ تنوع معاني الفعل الواحد باختلاف

حركة عينه . فالفعل (كبُر – يكبُر) الباب الخامس : ضم ضم : كِبَرا وكُبْرا وكَبَاره : نقيض صغر فهو كبير وكبار (اذا أفرط في الكبر) . وكبر أيضاً بمعنى : عظم وجسم .. ومن معنى هذا الفعل قوله تعالى : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون » وكبر عليه الأمر : شق واشتد وثقل .

بينما (كبر – يكبر) الباب الرابع : كسر فتح : كِبَر ومَكْبَراً : طعن في السن . وكبره بسنه . زاد عليه . والكِبْرة : الكبر في السن . ومن هذا قول جرير في رثاء زوجه :

ولَّهْتِ قلبي إذ علتني كَبْـرَةٌ
وذوو التمائم من بنيك صغار

وكبر – يكبر : الباب الثالث فتحتان : كَبْرا . فلاناً بالسن : كان أكبر منه سناً .

والفعل نعم – ينعم : الباب الرابع : كسر فتح . من النعمى : وهي الدعة والمال . وقد وردت في وصف الحطيئة للبدوي :

أخي جفوة فيه من الانس وحشة
يرى البؤس فيها من شراسته نُعْمَى

ومنه أنعمها الله عليك ، وأنعم بها . ونعيم الله تعالى : عطيته . ونعم الله تعالى بك ونعمك : أقر بك عين من تحبه . ومن هذا المعنى قولهم : (هذا منزل ينعمهم) : يطيب لهم . ومنه قولهم : (أنعم الله صباحك) : أي جعله ذا لين ورغد ، ويقال في صيغة الأمر : (أنعم صباحاً) . وكثيرا ما تحذف الهمزة والنون لكثرة استعماله وللتخفيف (عم صباحاً أو عم مساء) ومنه قول عنترة العبسي :

يادار عبلة بالجواء تكلمي
وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي

أما نعم . ينعم الباب الخامس : ضم ضم . نعومة . الشيء : أي صار ناعماً ليناً ولان ملمسه ومنه قول الشاعر في وصف جناح الفراشة :

هذا الجناح جناحها
في الحسن منقطع النظير
أطرى وأنعم ملمسا
من راحة الطفل الصغير

والفعل قَدَم – يقدُم (الباب الأول فتح ضم) القوم : قدما وقدوماً بمعنى : تقدمهم ومنه قوله تعالى : (يقدُم قومه يوم القيامة) ، وعلى أقرانه : أجترأ عليهم ، وعلى الأمر : شجع . ومنه القَدِم : كثير الاقدام ومن هذا المعنى مبالغة اسم الفاعل : مقدام . كما في قول الخنساء ترثي أخاها صخراً :

وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا
وإن صخراً إذا جاعوا لنحار

بينما قَدُمَ – يقدُم (الباب الخامس ضم ضم) قدامة وقدماً : بمعنى تقادم فهو قديم . والقدم ضد الحدوث ولذلك يقال قدماً ما كان الشيء فجعل أسم زمان . ومنه قول أبي تمام :

أهنَّ عوادي يوسف وصواحبه
فغرما فقِدْما أدرك السؤل طالبه

أما الفعل قَدم – يقدِم (الباب السادس كسرتان) قدوماً ومقدما وقدماناً المكان : أتاه ومن سفره : عاد . وقدم الى الأمر : قصد له .

والفعل نصَب – ينصِب (الباب الثاني فتح كسر) الشيء : أقامه ووضعه ورفعه فهو فعل متعد ومن هذا الباب : النصب والأنصاب : وهي حجارة حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى . ومن الباب نفسه : تيس أنصب : منتصب القرنين ، وناقة نصباء: مرتفعة الصدر أما نصِب – ينصَب (الباب الرابع كسر فتح) فهو فعل لازم بمعنى تعب . ومنه قول النابغة الذبياني

كليني لهم يا أميمة ناصبٍ
وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وهو فاعل بمعنى مفعول فيه ، لأن هذا اليوم ينصب فيه ويتعب كقولنا : يوم عاصف أي تعصف فيه الريح . ونصبه : أتعبه . ونصَبَه المرض ينصِبه : أوجعه .

ونصب لفلان : عاداه . ونصب له الحرب : وضعها ومن هذا المعنى النواصب وأهل النَّصْب : المتدينون ببغضة علي رضى الله عنه لأنهم نصبوا له : أي عادوه .

ماجدة رحيباني

مراجع البحث :

١ – القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزبادي
٢ – مختار الصحاح للرازي
٣ – المنجد

القـــــدس

شعر : نـــاهض الريـــس

على جبلِ الزيتونِ كانت لنا الدنيا
فسقْيا لأرض القدس من جنّةٍ عُلْيـــا
وسقيا لعهدِ القدسِ عهداً محبَّبـــاً
وسقيا لأهلِ القدسِ إن عزّت اللُّقْيـــا
وللسُّور من حـــولِ المآذنِ والحمى
وللدُّور والأجراس فى ظلّها سُـــقْيا
وللشفق المنثـــورِ فوق قُبابهـــا
وللعبَقِ المذرور عطراً ربيعيّـــاً
وفرطِ بهـاءٍ فى حجارةِ أرضهـــا
ولون ترابٍ قـــد تخالُ به وشْـــيَا
فكيف بأهليها وهُمْ أسـمحُ الورَى
وأعرقهُم أصلاً وأشرفهُم سَـــعْياً
إليها تناهى الطُّهـــر والبشرُ والتُّقى
وباركها فى الوحى من أنزلَ الوحْيَـــا
عشـــية أُسرى بالنبيِّ وفُتِّحـــتْ

من القـــدس ابوابٌ ليرقى لهـــا رَقْياً
وربُّك أدرى حيث يفتـــحُ بابه
ويعلم أيَّ الأرضِ اطهـــرُها أيّـــا
معـــالم كالأحـــلام لم ينطبقْ على
مثيلٍ لها جَفْنٌ ولا حلّقتْ رُؤْيـــا
نَعِمْتُ بهـــا فى عمرِ عينيَّ طَرْفَـــةً
فكانت هى العمرَ الجميلَ لعينيَّـــا
أقول وقـــد ناحت بقلبى حمائمٌ
إذا لم أعُـــدْ للقدسِ لا كانت الدنيـــا

* * *

ولما رأيت الدَّرْبَ طَـــالَ ودونَنَـــا
معاركُ مـــدَّ الأفْقِ والسـدَّ ناريّا
همزتُ حصان النـــار فى حُلْكةِ الدُّجى
ويَمَّمْت شَطْرَ القدسِ أطوى المدى طيّـــا
فان أحترقْ إنى لأهْوَنُ حـــرقةً
من المسجد الأقصى وقد بات مســـبيّا
وهمّ صـــلاح الدين همىّ ، وخيله
ركابى ، وإن كان الزمان صـــليبيّا



قصـــــــة

الثلاجة

بقلم : مصطفى أبو النصر

فى الطريق إليهم فكرت فيما يمكن أن أقوله لهم ، وبأية كيفية . إننى لا أخدع أحداً ، ولا أحب أن أكون خادعاً ، ولكن من الضرورى أن أكون حازماً .

قالت لى فى آخر مرة : « إننى لا آبه بكل ما تقول ، ولا يهمنى ما تفعل ، وأعلى ما فى خيلك فاركبه » . ولما كنت لا أملك حتى حماراً ، فاننى لم أفعل شيئاً .

سيضحك الجميع منى لو أننى رويت القصة كاملة . ما فائدة أن أحكى حكاية مضت ؟ ليست العبرة فيما حدث ، بل فيما هو آت . إذا هددنى أحدهم ، أو قال لى مالا يعجبنى ، فسأكيل له الصاع صاعين .

« من فضلك ابتعد عنى قليلا . الهواء مكتوم ، والجو خانق . اننى لا أكاد أطيق نفسى فكيف بالله أطيق أنفاسكم الكريهة أنتم أيضاً ؟ لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لست عدواً لك ، ولا أنا أعرفك من قبل ، وهذه هى المرة الأولى التى يقع فيها بصرى عليك . تبتسم ، تظننى مجنوناً . أعرف كيف تفكرون كلكم عقلاء إلا من يخالفكم . الشجاعة وحرية الرأى فى رأيكم تهور ، والضعف والجبن والاستكانة ، هى المثل العليا لمن يريد أن يعيش فى هذا الزمن . من أدرانى أنكم لستم إلا شرذمة من اللصوص والخونة ؟ المظهر قد أعمى بصيرتكم عن حقيقة الانسان ، فحسبتم أن كل ما يلمع ذهباً » .

حين طرقت الباب ، فتحه صبى فى نحو الثانية عشرة . نظر إلى وكأنه ينظر إلى عفريت ، وانطلق يعدو معلناً عن حضورى بصوت كالصفارة . لم أره من قبل ، ولا أعرف ما صلته بأهل البيت . عاد بسرعة ، ودعانى للدخول .

الحجرة ضيقة ، والأريكة والكراسى الأربعة متقاربة ، بصعوبة يستطيع المرء أن يمر من بينها ، لم أتحمل رائحة الحجرة ، فما كدت أجلس ، حتى قمت على الفور ، وفتحت باب الشرفة بعد أن أزحت عنه الستارة القديمة والتى كان مرسوماً عليها صورة طاووس يختال برأسه المرفوع وذيله المنتشر . لم يجدد فتح الشرفة الهواء ، فقررت أن أتصرف وكأننى فى بيتى ، فقمت ثانية ، وفتحت باب الحجرة . تناهت إلى أصوات مبهمة أدركت من حدتها أن شجاراً ما يقع فى الخارج . الحقيقة أننى استرحت لنغمة الشجار ، انه ـ بلا جدال ـ المقدمة الطبيعية لكل ما قد يحدث بعد ذلك .

طالت مدة الانتظار . كنت مشحوناً بالأفكار ، وبما سأقوله لهم . ترى هل سيستقبلنى الجميع ، أم أنهم سيكتفون بمندوب عنهم ؟ الوقاحة لا تنقصهم ، ولا أحد منهم يمكن أن أعده رجلا بمعنى الكلمة . أما النساء فان البلاهة وضيق الأفق هى السمات الرئيسية لهن ، لاشك أننى كنت مغفلا ، مغفلا حقيقياً ، وكنت أيضاً قصير النظر . من الضرورى أن أكون البادىء ، وأن أكون مباشراً ومهاجماً فى آن واحد حتى لا أسمح لهم أن يأكلونى . تركتهم فى الماضى حتى اغتالونى ، ولكن لا ، لن أتكلم عن الماضى

ـ أهلا وسهلا .

قيلت لى بصوت جاف ليس به أى



ترحيب ، لماذا تقولها إذن إذا لم تكن تريد ؟ مددت يدى صامتاً ، وكان وجهى جامداً . لم أحاول أن أتصنع أية عاطفة . ما كل هذا التحفظ والصمت المكتوم ؟ يجلس أمامى ويصر على ألا يتكلم . لماذا دخلت إذن ؟ كان الأحرى أن يدخل غيرك . هل تظننى سأقدم رجاءات وتوسلات؟ لقد مضى ذلك العهد ، ولن أعود إليه . فعلتها أكثر من مرة ، وفى كل مرة كنت أتحمل الضغط على نفسى حتى كدت أمرض ، غير أننى كنت ساذجاً . الآن لا يجوز لى أن أكرر ذلك .

نظرت إلى الساعة حول معصمى . خمس دقائق فقط ، سأظل خلالها محدقاً فى وجهك ، سأجبرك على الكلام ، على النطق ، على الاعتراف بالخطأ . انت تعرف جيداً ما الذى فعلته ابنتكم . هل تظن أننى جئت هذه المرة أيضاً لأصفى ما حدث ؟ إذا كنت تعتقد ذلك أو تتصوره فأنت ساذج وأبله ، ساذج ومغفل . فى المرات السابقة كنت أتغاضى وأتجاهل ما تقولون ، حتى لا يقع الشىء البغيض . أما اليوم فالنائم قد استيقظ ، والقزم قد صار عملاقاً ، والضعيف قد صار قوياً ، والبسيط قد صار معقداً ، والانسان فى داخلى قد استحال إلى وحش مفترس .

الآن تبتسم . تضع ساقاً على ساق . ساتركك تفعل ما تشاء ، ولكن إلى حين . عدت فنظرت إلى الساعة . دقيقتان ونصف تقريباً . ما الذى تنوى أن تقوله ؟ إياك أن تعيد على الحكاية ، إننى أعرفها ولا حاجة بى لسماعها من جديد . مادمت تبتسم فلابد أنك قد أعددت لى مفاجأة . ربما اتفقتم على خطة معينة . من المؤكد أن خطتكم قد بنيت على أساس ما حدث فى المرات السابقة . سأقلب خططكم رأساً على عقب . إذا قلت يميناً فسأقول شمالا . إذا قلت فوق فسأقول تحت . إذا قلت أمام فسأقول وراء . لن تنجح فى شىء معى هذه المرة . لقد انتهى كل ما بيننا ، والقرار الذى اتخذته لن تستطيع قوة أن تغيره . قل إذن ما تريد ، ولا تحاول بهذه الابتسامة أن تستفزنى . جئت إلى هنا ، وقد تسلحت بالارادة والاصرار . إذا كانوا قد أوصوك باتخاذ هذه الصورة البلهاء ، فقد خدعتم جميعاً ألن تكف عن هذه الابتسامة ؟ هذا كله لن يجدى .

من الشارع تناهى إلينا صوت اصطدام سيارتين . انتفض فى جلسته وأنزل ساقه . مضت لحظة تلفت فيها حوله ، وعاد ينظر إلى . كنت أبادله النظر مباشرة . وجهى قطعة من حجر لا يقول شيئاً . يحاول أن يصمد . منذ عرفتك وأنت تظن نفسك ذكياً واعياً أديباً فطناً . تلعب بالبيضة والحجر . لقد انتفضت مأخوذاً حينما سمعت صوت الاصطدام . كيف إذن ستتحمل صدامنا ؟ لماذا لا تقول شيئاً ؟ لقد غاضت الابتسامة الآن وضح كل شىء . لا توجد خطة موضوعة ، تنتظرون كلامى . انكم تستجدون ، تريدون أن تعرفوا ما فى رأسى .

مضت الآن الدقائق الخمس . آن لي أن أتكلم . من المحال أن أقول ما تريدون.

ـ الجو حار .

نظر الي ، حدق في بعينين لا تفهمان شيئا .

ـ فعلا الجو حار .

وصمت موافقا على كلامي بهزة من رأسه .

ـ ليس حاراً فقط ، وانما حار وخانق .

رفع رأسه وعاد يحدق في . لابد أن يقول شيئاً .

ـ حقاً ، الحرارة شديدة ، والجو خانق .

هذا لا يكفي .

ـ حرارة الشمس في الخارج ملتهبة .

رفع حاجبيه في دهشة .

ـ تشوي الوجوه .

قطب ما بين حاجبيه .

ـ تذيب العقول .



الثلاجة

لوى شفته السفلى، وهز رأسه قائلا :
ـ هذا العام حر شديد .
ـ ليس هذا العام فقط ، هذه ظاهرة بدأت منذ حوالي عشر سنوات .
حاول أن يبتسم ، ولكنه لم ينجح ، ربما ظن أن ما أقوله مقدمة للدخول فيما يريد ، فعاد يهز رأسه :
ـ فعلا .
ـ هناك حقائق علمية تفسركل ذلك .
عاد يرفع حاجبيه مندهشاً . لا يهمني لا يهمني ، لتندهش حتى يوم القيامة .
ـ ما هي ؟
ـ لا أعرفها .
طفرت الحيرة من عينيه .
ـ اذا سمحت كوب ماء .
ـ ماذا ؟
ـ كوب ماء .
بسرعة هب من مقعده ، وغادر الحجرة ، وكأنه قد اكتشف الحقيقة السافرة . سيذهب اليهم الآن ، ويخبرهم أنني قد صرت مجنوناً . هذا ماأردته بالضبط، ليعرفوا ما الذي يمكن أن يفعله المجانين ، ولكن مهلا ، لا يجوز أن تأخذوا كلامه كقضية مسلم بها . لماذا لا تدخلون جميعاً وتتفرجون على ؟ وقع أقدام تقترب . رأس امرأة يطل من الباب . رمقتها في برود . لم اعرفها ، لم أشاهدها من قبل . الغرباء في هذا البيت كثيرون . أين الأم ؟ أين زوجتي؟ أخواتها؟ ربما كانت قريبة أو زائرة من الجيران والصبي ابنها . لم يعد شيء خافياً ، لقد صار الموضوع مباحاً للجميع . من لم يشتر فليتفرج . ولكن صبراً سنرى من الذي سيتفرج في النهاية . اختفى الرأس .
ثمة رأي آخر سيقال الآن . الكل يستمعون اليها . ستصف نظراتي . لقد تأكد للجميع ما قاله الأب . الحيرة في العيون . الاضراب يأخذ بعقولهم . هل تعود لتعاشر مجنوناً ؟
دخل الأب حاملا كوب الماء . قدمه الي بمجرد أن لمسته أدركت أن الماء ليس بارداً ، ومع ذلك رفعته الى شفتي ، ولكني
ـ على الفور ـ أبعدته قائلا :
ـ الماء ليس بارداً .
أجابني في برود وهو يجلس :
ـ ليس عندنا ماء بارد .
ـ لديكم ثلاجة ، أم أنكم بعتوها ؟
ـ ما هذا الكلام لقد تلف المحرك .
ـ كان واجباً عليكم أن تصلحوه أو تغيروه .

حدق في وكأنه لا يصدق ما اقول . لم يجبني بشيء . وضعت الكوب على منضدة صغيرة أمامي .
ـ هل اصنع لك فنجان قهوة ؟
ـ في هذا الجو ؟! علي بزجاجة كولا على أن تكون مثلجة .
ـ لا يوجد أحد لشرائها .
ـ كيف ؟ وهذا الصبي الملعون من هو
ـ انه .. انه
قاطعته :
ـ لا اريد أن أعرف . واضح أنك لا تريد أن تقدم لي شيئاً .
ـ كلا ، ولكنها الظروف .
كلام لا معنى له . أية ظروف ؟ ولكن لا بأس ، يريد أن يحرجني . يقول لي بصراحة انني غير مرغوب في . يريد أن أتكلم في الموضوع ، غير أن هذا لن يكون
ـ لا شك أن سبب تلف المحرك هو ضعف التيار الكهربائي . هذا يحدث كثيراً .
ـ ربما يكون هذا هو السبب .
ـ لماذا لا ترفع دعوى على مصلحة الكهرباء ، وتطالبها بتعويض على هذه الخسارة؟ نظر الي في بلاهة ، ثم سألني في صوت بدت فيه نبرات الضيق واضحة :
ـ وهل هذا ممكن ؟
ـ ليست العبرة فيما هو ممكن أو غير ممكن . المسألة في بساطة أن كل شيء يجب أن يقف عند حده ، والا فالفوضى ستجتاح البلاد .
ـ لم أسمع عن أحد رفع قضية من هذا النوع .
ـ أنت لم تسمع ، أما أنا فقد سمعت .
ـ كيف ؟
ـ لا أعرف الطريقة ، ولا أريد أن أعرفها ، فمحرك ثلاجتي لم يتلف .
ـ ما العمل اذن ؟
ـ عليكم بشراء الثلج ، كما كنا نفعل في الماضي، حتى تنتهي القضية بينكم وبين مصلحة الكهرباء .
رمقني بنظرة أدركت معناها : انه يجاريني في الكلام.
ـ لنفرض أنني خسرت القضية ، ما العمل ؟

ـ كل شيء محتمل ، ولكن من المفروض ان توكل محامياً فذا للدفاع عن ثلاجتكم .
ـ ما هذا الكلام ؟
ـ ألا يعجبك ؟
ـ الكلام لا يكون بهذه الطريقة .
ـ قل لي اذن ما هي الطريقة المثلى للكلام في هذه القضية الصعبة ؟
ـ لقد اعتبرتها قضية وصعبة أيضاً .
ـ بالطبع والا ما هو الحل في نظرك ؟
ـ لم أفكر في هذه المسألة بهذا الشكل كل ما في الأمر أنني أنتظر ...
قاطعته :
ـ طبعا تنتظر منحة أو مكافأة ، ليتيسر لك شراء محرك جديد .
ـ أظنك لم تأت للكلام عن الثلاجة ومحركها .
أخيراً صرح بما في داخله . ولكن لا يكفي هذا .

ـ ما دام هذا الموضوع قد أثير ، لم لا نتكلم عنه ؟ ثم انها مشكلة يجب حلها ، وكلما كان الحل فورياً ، كان هذا ادعى الى هدوء النفس ، وراحة البال ، ففي مثل هذا الجو الخانق ـ اسمح لي أن أسأل ـ كيف تشربون ماء الصنبور ؟ انه تعذيب حقيقي . ليس أمامكم ـ كما أرى ـ الا شراء ربع لوح ثلج يومياً . أظنه يكفي . طبعاً عندكم ثلاجة من النوع القديم . كانت أياماً ظريفة ، لم يكن يوجد تلف محرك أو غيره ، ولكن هذه هي ضريبة المدنية ، ولابد أن نأخذ بقسط وافر من التمدن ، والا فما الذي يمكن ان يفعله شعب مثلنا في مثل هذا الجو ؟ انني على أتم استعداد أن أرسل لكم مهندساً كهربائياً لاصلاح الثلاجة ، وتأكد أنه لن يرهقكم . انه مهندس ماهر وشريف ، ومن عائلة محترمة جداً . يعمل في الصباح

في الحكومة ، أما بعد الظهر فيمر على الذين تلفت ثلاجاتهم لاصلاحها . هو مضطر إلى ذلك ، فمرتبه لا يكفي ، غير انه ماهر وشريف ، ولم يفكر لحظة واحدة في الاختلاس . طبعاً كان يمكن أن يفعل ذلك ولكنه متمسك بمكارم الاخلاق . تسمع طبعاً عن الاختلاسات ...

ـ من فضلك ، من فضلك .

ـ نعم ؟

أدركت أنه يريد أن يتكلم في الموضوع

ـ ما علاقة كل هذا بـ ...

ـ بماذا ؟

ـ بزيارتك .

أجبته ببساطة وكأنني لا أفهم شيئاً :

ـ ليس له أية علاقة ، ولكن الحديث هو الذي جرفنا .

ـ ليس لدي وقت لمثل هذا الكلام .

ـ ولا أنا أيضاً . ـ اذن أدخل في الموضوع .

ـ أي موضوع ؟

ـ الذي جئت من أجله .

ـ لم آت من أجل موضوع معين مجرد زيارة.

ـ اسمح لي أن أقول ..

ـ قل ما تشاء .

أظن أن اصلاح ...

قاطعته :

ـ الثلاجة ؟

انتفض في جلسته ، وعلا صوته في غضب : ـ أنا لا تهمني الثلاجة في شيء

تأملته في برود شديد وأنا أسأله :

ـ ما الذي يهمك اذن ؟

ـ اصلاح ...

ـ أيوجد شيء آخر قد تلف ؟

تململ في جلسته وبدت على وجهه علامات الغيظ :

ـ لماذا لا تصبر ؟

ـ لقد صبرت أكثر مما يجوز .

ـ فلا داعي اذن لكل ماحـــــدث .

(وصحت لحظة ، وبدت الحيرة في عينيه ثم نطقها بسرعة)

انها تنتظرك بالداخل

هذا ما أردته .

ـ من هي ؟

ـ من هي!؟

ـ نعم من هي ؟

ـ ألا تعرف

ـ ليس التطفل من طبيعتي .

استند على ظهر الكرسي ، ونفخ في ضيق :

ـ لقد أرهقتني .

ـ اذن سأستأذن . هل أرسل لك مهندس الكهرباء ؟

كان يمكن أن ينفجر في هذه اللحظة .

ـ لا أريد مهندسين ولا شيء .

كان لابد أن أتحلى ببرود قاتل .

ـ ماذا تريد اذن ؟

ـ سبحان الله .

ـ اذا كنت لا تريد اصلاح الثلاجة ، فهذا شأنك .

ـ لنترك الثلاجة في حالها ، تكلم في الموضوع الرئيسي .

ـ ليس لدي موضوع رئيسي ولا فرعي

ـ هكذا

ـ نعم هكذا .

هم واقفاً .

ـ أهذا كلامك الأخير ؟

ـ نعم .

ـ اذن المحاكم بيننا .

قلت وأنا خارج من باب الحجرة :

ـ المحاكم حبلها طويل ، أفضل أن تصلحها دون اللجوء الى رفع قضية ، فلن تأخذ من الحكومة شيئاً.

مصطفى أبو النصر

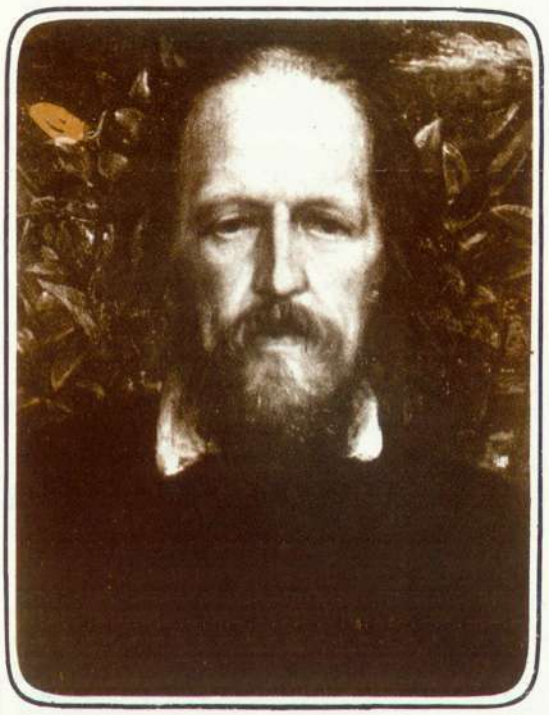


الإنسان بين التراث والآلة

قراءة في قصيدة "يوليسيس"

للشاعر الإنجليزي : الفريد تينسون

بقلم : أ د عبد الوهاب المسيري
جامعة عين شمس



الشاعر الانجليزى تينسون

تسيطر على أشعار الفريد تنيسون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٢) ، الشاعر الفكتورى ، مجموعة من التوترات والتناقضات ، تناقض بين الفن والواقع ، بين التأمل والعمل ، بين الهروب والاقدام ، وهو تناقض عبر عن نفسه فى كل قصائده تقريباً وترجع جذوره الى كل من عصر الشاعر وحياته ذاتها . فهو قد ولد لأسرة متدينة فى عصر انتصار العلم والتكنولوجيا ، وقد ولد لأب كثيراً ما كانت تنتابه نوبات من الكآبة والحزن فى زمن كان التفاؤل هو المناخ العاطفى العام فيه . وحينما التحق بكمبريدج للدراسة انضم لجماعة «الحواريون» وهى عبارة عن مجتمع طلابى ذى عقلية إصلاحية ، اهتم بالمشكلات الاجتماعية والثقافية ، وحاول للزاوجة بين العلم والدين . وقد قامت إبان هذه الفترة ، صداقة عميقة بينه وبين « آرثر هالام » ، وهى صداقة منحت «تنيسون» كثيراً من الثقة فى النفس والطمانينة . غير أن المنية اودت بصديقه فانقلب الشىء الى نقيضه واصبحت ذكرى « هالام » هى مصدر احزان الشاعر وكآبته .

ولكن لعل مصدر التناقض الأساسى يكمن فى أن « تنيسون » كان شاعراً فى عصر انتصار الآلة والمجتمع الصناعى . ويجب ان نتذكر أن هذه الآلة التى انتصرت كانت آلة قبيحة تحدث كثيراً من الضوضاء وتسبب كثيراً من التلوث . وأن المصنع الذى تواجدت داخله كان يشبه معسكرات الجنود ، وكانت ساعات العمل تصل إلى ما يزيد عن الأثنتى عشرة أحياناً ، أى انها آلة كانت تقف ضد الانسان بعنف وضراوة . كما أن هذه الآلة كان يساندها تصورات علمية تؤمن بالحتمية المطلقة وبالسببية الواضحة ، فالعلم فى القرن التاسع عشر كان لا يزال بكراً فجا يتصور أن القوانين التى تحكم العالم قوانين رياضية واننا ان كنا لا نعرف هذه القوانين ، فاننا ولاشك سنعرفها عما قريب ـ والمسالة هى مسالة وقت وحسب . وقد ظهر أيضاً مع الآلة والعلم الفلسفات النفعية التى حاولت ان تحكم علم الوجود الانسانى من منظور عملى كمى وحسب ، فقيل لن السعادة هى أكبر قدر من اللذة لأكبر عدد من الناس ، كما أن فائدة شىء ما عرفت بشكل نفعى مباشر ، ولذا أصبح لكل شىء ثمن ولم يعد لأى شىء قيمة ، والجمال ، لأنه قيمة لا ثمن لها ، فانه لا جدوى ولا طائل من ورائه ، خاصة اذا كان هذا الجمال تعبيراً عن حقيقة نفسية لا يمكن لحواس النفعيين الغليظة إدراكها .

ولعل الفلسفة النفعية لم تجد حليفاً لها اكثر اخلاصاً من « تشارلز داروين » صاحب نظرية النشوء والارتقاء المعروفة والتى ترى الانسان لا فى علاقته بالسماء أو بالملائكة ، كما تراه الأديان السماوية ، وانما فى علاقته بالحيوانات والطبيعة . فالانسان حسب الرؤية الداروينية ليس فيه ما يميزه عن سائر الكائنات وانما هو مثلها يخضع لنفس القوانين « ويتطور » حسب نفس النسق .

وجوهر عملية التطور هذه هو مبدأ الانتقاء الطبيعى حيث يكون البقاء للأصلح (وليس للأجمل أو للأتقى أو للأروع) .

وظيفة الشاعر في المجتمع الصناعى

هذه هى الخلفية الفكرية الحضارية لألفريد تنيسون ولكننا قبل ان نعرض لبعض جوانب استجابة شاعرنا لعصره يجب أن نتذكر انه جنباً الى جنب مع هذه الدوامة النفعية ، العلمية المادية ، كانت الحركة الرومانتيكية ، فى عالم الفكر والأدب والفن ، قد وصلت الى قمة عنفوانها تؤكد على فردية الفرد وعلى حرية الانسان ، وتنظر الى الشاعر باعتباره اتقى مثال للانسان الفرد ، فيه تتجسد قيمة الحرية والخيال المتحرر ، والتمرد والتفرد واللاتحدد ، على عكس التصور الكلاسيكى الذى يرى الشاعر باعتباره لسان حال مجتمعه او امته او طبقته . وإذا كان التصور الرومانتيكى يعلى من شان الشاعر فانه يعزله باعتباره فوق البشر ، بل إنه ليتسبب للشاعر فى مشكلة جوهرية وهى انه اذا كان الشاعر متساميا حقاً لهذه الدرجة ، منفرداً الى هذا الحد فما جدواه وما فائدته .. ما هى وظيفته خاصة فى مجتمع نفعى ، مادى ، صناعى ؟ وهذا هو السؤال الذى طرح نفسه على : « تنيسون » وعلى شعراء عصره وحاولوا قصارى جهدهم أن يجيبوا عليه . ففى قصيدة « قصر الفن » على سبيل المثال تغنى الروح الشاعرة لنفسها وتتمتع بشدوها ، ولكن يتملكها الاحساس بالذنب فتنزل من قصرها او برجها العاجى الى عالم البشر لتشـــاركهم حياتهم . وتقابل نفس القضية فى قصيدة « سيدة جزيرة شالوت » حيث تجلس هذه السيدة الارستقراطية (رمز الفن والخلق) بمفردها فى برجها فى جزيرة شالوت التى تطل على مدينة كاميلوت . تقف الجزيرة فى عزلتها رمزاً ناصعاً على اكتفاء الفنان والفن بذاتهما ، وتقف مدينة كاميلوت بصخبها وضوضائها رمزاً حياً على الواقع النابض الذى يعج بالبشر وتصعد السيدة عناءها وهى تنسج ناظرة إلى مرآة تنعكس عليها مناظر الطبيعة والمدينة ، ولكنه ثمة نبوءة غامضة تقول انه لو نظرت السيدة الى المدينة مباشرة وليس من خلال المرآة لتكسرت المرآة ولقيت هى حتفها . وتمضى السنون والسيدة تنسج وتنظر وتغنى ، والمدينة تزرع وتحصد وتبيع وتشترى ، كل يدور فى دائرته ، ولكن حينما يمر السيد « لانسلوت » ، هذا المحارب الفتى الشجاع ، بجوار البرج والجزيرة تراه سيدة جزيرة شالوت فيفيض بها الجوى وتلقى بالنسيج وتنظر الى الواقع مباشرة فتتحقق وأسفاه النبوءة ، وتموت السيدة فى زورقها السابح . ان عالم الفن هنا جميل لكنه خال من الحياة ، وعالم الحياة هنا حى ولكنه خال من الجمال ، ويبدو أن الشاعر يقول إنه لا يمكن للفن أن يعيش بمعزل عن الواقع ولا يمكن للواقع ان يصل الى الكمال والانسانية دون الفن .

ونفس الشد والجذب بين الفن والسكون والتامل من جهة ، والواقع والحركة والفعل من جهة اخرى يسمان قصيدة تنيسون «اكلو نبات اللوتس المخدر » . فبحارة يوليسيس يلقون بالمرسى فى جزيرة مسحورة « أرض تهب عليها ريح تخدر الحواس كانها انفاس شخص غارق فى الاحلام » ، ثم ياتى بعض الرجال الذين يرتسم الحزن الهادىء على وجوههم ويقدمون لهم نبات اللوتس الذى يفقد الانسان الذاكرة ، فيتعاطاه البحارة ثم ينشدون نشيد الهروب من الواقع المركب ، واقع الاحزان والنضال والكفاح والعناء اليومى ، واقع الأسرة والزوجة والأولاد والحياة ثم الوعى والموت ، ويتذاكرون الماضى بكل أوجاعه وآلامه ويؤثرون عليه الحاضر الأملس لامواجع فيه ولا آلام ، ويفضلون البقاء فى الجزيرة النائية ، وتنتهى القصيدة بالدعوة الى السكينة وعدم التجوال . إن الهروب هنا هو هروب من عالم صناعى تهيمن عليه القيم الانتاجية وتنسحب منه القيم الأخلاقية الى عالم قد يكون غير حقيقى ، ولكنه على الأقل جميل يجلس فيه البشر جنباً الى جنب فيما يشبه الجماعة والصداقة .

هذا البطل الملحمى

ونحن نقابل يوليسيس فى قصيدة اخرى من قصائد تنيسون تحمل اسم هذا البطل الملحمى :

لا يفيد كثيراً أن أصبح ملكاً عاطلا
يجلس الى جوار هذه المدفاة الصامته ، وبين هذه الصخور الجرداء
متخذا لنفسه زوجة عجوزاً ، يصدر قوانين نصف متحضرة لشعب من المتوحشين ،
يكتنز المال وينام ويأكل ـ ولكنه لا يعرف من لكون .
لا أقدر أن اكف عن الترحال ، ولسوف اشرب من الحياة حتى الثماله . استمتعت فى كل الأوقات

أيما استمتاع ، وعانيت أشد المعاناة مع من يحبوننى
وبمفردى . فوق الشاطىء وبين الأمواج المتضاربة ،
حينما يهطل المطر من النجوم مطراً غزيراً
يزعج البحر المظلم ، لقد اصبحت اسماً
إذ أجول دائماً بقلب جائع .
وما اكثر ما رأيت وما عرفت : مدنا ماهولة ،
وعادات الشعوب ، واجواء البلاد ، ومجالس وحكومات ،
كما عرفت أيضا نفسى وهى ليست اقل شاناً ،
وكلهم أكرموا وفادتى .
ولكم شربت لذة المعركة مع اندادى
بعيداً فوق السهول الصداحة لمدينة طروادة العاصفة .
انا جزء من كل ما قابلت ،
ومع هذا ، فالتجارب كلها ليست سوى بوابة
يضيء من خلالها ذلك العالم الذى لم نطرقه بعد ،
والذى تختفى حدوده دائماً حينما ارتحل محاولا الوصول .
ثقيل هو التوقف عن الحركة ، مضجرة هى النهاية ،
كالمعدن حين يعلوه الصدأ ، وإلا اشع بريقاً فى حركتى ،
كما لو كانت الحياة هى التنفس وحسب ! حياة فوق حياة
لا تكفينى لقلتها ، ومع هذا لم يبق لى
من حياتى الواحدة سوى القليل : ولكن ثمة شىء اكثر ابديه
ينقذ الساعات من ذلك الصمت الأبدى ،
حينما ياتينى بالأشياء الجديدة ، كم كان لثما عظيماً
أن اختزن نفسى واحبسها لمدة ثلاثة اعوام ،

الإنسان بين التراث والآلة

هذه الروح التى تدب فيها الشيخوخة تحترق شوقاً
لأن اتبع المعرفة كالنجم الذى يهوى
وراء أقصى حدود فكر الانسان .
ها هو ذا ابنى ـ ابنى تليماخوس ،
والذى ساترك له الصولجان والجزيرة ،
لقد نال محبتى ، وعنده من البصيرة
ما يؤهله لأن يقوم بهذا العمل ، وأن يستخدم فطانته
فى تهذيب شعب فظ ، وان يخضعهم رويداً
رويداً للقيام بما هو نافع وخير .
ان ابنى الطيب هذا ، قد استغرقه تماماً
عالم الواجبات العادية ، وهو مهذب
لا يفشل قط فى الوظيفة التى تطلب الرقه ،
ولا فى أن يقدم
دلائل الطاعة والاجلال لأرباب المنزل ،
بعد رحيلى يؤدى هو عمله ، وأؤدى انا عملى .
ها هو ذا الميناء ، وقد نشرت السفينة شراعها !
وعلى البعد تمتد البحار العابسة المظلمة .
يارفاقى الملاحين !
أيتها الأرواح التى كدت وشقت وتفكرت معى
يا من كنتم ترحبون فى فرح بمقدم
الرعد والشمس ، واعترضتم طريقها
بقلوب ابيه وبحياة حرة ـ لقد نالت الشيخوخة منى ومنكم !
ولكن الشيخوخة لها شرفها وكدها .
الموت هو خاتم كل الأشياء ، ولكن قد ننجز
شيئاً ما قبل النهاية ، عملا يتسم بالنبل والجلال
عمل يليق برجال تصارعوا مع الآلهة .
هاهى ذى الأضواء تتألق بين الصخور
واليوم الطويل أخذ يذوى ، والقمر المتمهل
يصعد بروج السماء ،
وتتردد أصداء التأوهات العديدة فى البحر:
تعالوا يا أصدقائى !
فالوقت لم يفت بعد كى نبحث عن عالم جديد .
ادفعوا السفينة ، واتخذوا أماكنكم فى نظام
ثم اضربوا
الأمواج الصارخة بقوة ، إذ أنوى
أن أبحر إلى ما وراء الشمس الغاربة ، وإلى منابع
نجوم الأفق الغربي كلها ، إلى أن تحين منيتى .
قد تبتلعنا الدوامات ،
وقد تلمس أقدامنا جزر الفردوس ،
ونرى أخيل العظيم الذى نعرفه جميعاً .
حقاً لقد ضاع منا الكثير ، ولكن لم يزل أمامنا الكثير أيضاً ،
وعلى الرغم من أننا لم نعد تلك القوة التى حركت الأرض والسماء
فى الماضى ، إلا أن كياننا هو هو لم يتغير
جماعة واحدة مؤلفة من عزائم بطولية ،
أوهنها الزمن والقدر ، ولكنها لم تزل قوية الارادة :
أن نكافح ونسعى ونكتشف ـ ولا نستسلم .

دون « تنيسون » فى مذكراته هذه الكلمات عن هذه القصيدة : « حينما اكتب قطعة قديمة مثل هذه ، فعادة ما أضعها داخل إطار .. اطار معاصر . إذ لا فائدة تجنى من أن تعاد رواية الأساطير القديمة وكأنها طعام أعيد تسخينه » وبالرغم من ان «تنيسون» لم يكن ناقداً جيداً لا لشعره ولا لشعر الآخرين ، الا انه حالفه التوفيق هذه المرة ، ويمكننا ان نعد كلماته هذه خير مدخل لفهم القصيدة ، فهى ليست قصيدة قصصية عن «يوليسيس» أو عن اليونان ، وانما هى تعالج مشكلة من مشكلات الانسان المعاصر ، ومع هذا لابد وأن نتعرف على بعض الشخصيات والأماكن التى يرد ذكرها فى القصيدة فى سياقها القديم حتى نفهم مغزاها المعاصر ، إذ أن معنى القصيدة لا ينتج عن الأسطورة مباشرة وانما عن اعادة صياغة الأسطورة .

عالم الأساطير الاغريقية

يوليسيس أو أوديسيوس هو بطل ملحمة هومر الأوديسه ، رمز العقل البشرى الذى لا يهدأ ، ورمز الرغبة العارمة فى اقتحام المجهول . تقول الأسطورة ، والملحمة الهومرية انه بعد سقوط طرواده فى أيدى ابطال الاغريق قفلوا عائدين الى أوطانهم ، بما فى ذلك بطلنا ، ولكن أفروديت ، حامية باريس بطل طرواده ، طلبت من «بوسايدون» آله البحر أن ينتقم لها من «يوليسيس» وكان لها ما أرادت إذ ظل يغالب الأمواج والصعاب ما يقرب من عشرين عاماً ، بينما كانت تنتظره زوجته بنلوبي وابنه تليماخوس . وفى النهاية يعود الى جزيرة « إيثاكا » ليصرع أعداءه وينضم الى زوجته ويعيش معها ومع ابنهما بقية عمره فى هناء وسعادة .

والقصيدة مليئة بالاشارات الى عالم الالياذه والاوديسه وعالم الاساطير الاغريقية القديمة . فيتحدث يوليسيس عن رغبته فى أن يذهب الى الجزر الفردوسية (أو الجزر الاليزية) وهى المكان الذى كان يتصور الاغريق ان الاخيار سيذهبون اليه بعد الموت ، وهناك يقابل « أخيل » أشهر أبطال الاغريق الذى صرعه « هكتور » بطل الطرواديين ، وثمة عبارات عديدة يستخدمها « هومر » فى ملحمته مرة بعد الأخرى مثل عبارة « طرواده العاصفة » و « أضربوا الأمواج الصارخة بقوة » ، وتكرار عبارات بعينها من سمات الشعر الذى كان يتناقل شفهياً بين المنشدين ، كما ان الرحلات فى شعر « هومر » عادة ما تبدأ عند المغيب مثل رحلة يوليسيس فى قصيدة تنيسون .

ولكن هومر ليس هو المصدر الوحيد لهذه القصيدة ، إذ أن شاعرنا اعتمد على قصيدة دانتى « الكوميديا الالهية » (الكتاب السادس والعشرون من الجحيم) حيث يخبر يوليسيس كلا من « دانتى » و « فرجيل » انه قام برحلته من جزيرة الساحر كيركى فى سفينة واحدة مع مجموعة من رفاقه الأوفياء ليخوض تجارب جديدة ويخبر رفاقه :

فلتفكروا فى أصولكم
ان الله لم يخلقكم على شاكلة الحيوانات
الا لكى تبحثوا عن الفضيلة والمعرفة .

المغامرة البطولية الأخيرة

يوليسيس الهومرى والدانتى هو اذن الأصل فى هذه القصيدة وهما شخصيتان مختلفتان تمام الاختلاف ، اذ أن الأول يوجد فى سياق وثنى يعلى من شأن الفروسية ، عالماً بدائياً بطولياً يعج بالمحاربين أنصاف الآلهة الذين يصرعون ويصرعون ، والذين يتحاربون حتى مع عناصر الطبيعة مثل يوليسيس ، أما عالم دانتى فهو عالم كاثوليكية العصور الوسطى والرهبنة والتقوى والملائكة ذات الوجوه النحيفة الحزينة ، ولذلك فيوليسيس

حينما يتباهى برغبته الفاوستيه فى المعرفة انما يدمغ نفسه ، فالبحث عن الفضيلة والمعرفة ، خارج إطار من القيم الدينية ، هو بحث عقيم يؤدى الى طريق مسدود ، إذ انه لا يمكن أن يوجد نسق أخلاقى لا يستند الى قوى ما وراء الطبيعة حسب تصور المفكرين للسيحيين والدينيين عامة .. فالسياق الهومرى يرى فى « يوليسيس » البطل الملحمى الحق ، أما فى السياق الدانتى فهو الانسان الوثنى الخير الذى ضل طريقه ولذا انتهى به الأمر الى الجحيم .

ولعل « تنيسون » لم يتنبه الى هذا التناقض أو لعله تنبه له وأبقى عليه ليقدم رؤية مركبة تخفى على القارىء المتعجل . ومهما كان الأمر فالقصيدة مقسمة الى ثلاثة أقسام : يصف القسم الأول منها حيـــاة « يوليسيس » بعد عودته الى إيثاكا ومدى سأمه من حياته الروتينية هذه ويتذكر سابق أمجاده . يبدأ الجزء الثانى بالحديث عن « تليماخوس » وعن كفاءته المحدودة وكيف يمكنه القيام بالأعمال المحدودة الموكلة إليه . وإذا كان الجزء الأول يتعامل مع الماضى والجزء الثانى مع الحاضر وربما المستقبل المباشر ، فالجزء الثالث يتعامل مع المستقبل البعيد وعالم الرؤية .. المغامرة البطولية الأخيرة التى سيقوم بها يوليسيس ، ليترك عالم السكون والسكينة .

وقد فسر النقاد والقراء فى العصر الفكتورى هذه القصيدة على انها دعوة للعمل وللاقبال على عالم المنفعة والانتاج . فيوليسيس هنا هو مثال الرجل الصناعى الذى لا يرضى بالسكون وبالتأمل ، وإنما يبحث دائماً عن مغامرات أو استثمارات جديدة حتى يزيد من تجربته أو من معدل إنتاجيته وأرباحه . وقد صفق النقاد لهذه القصيدة باعتبارها نقيضاً لقصيدة تنيسون الهروبية التأملية « آكلو نبات اللوتس للمخدر » . ولكن هذه القراءة سطحية ولاشك . فعلى الرغم من أن يوليسيس فى هذه القصيدة لا يأخذ بحارته الى جزيرة نبات اللوتس المخدر الا انه لا يقبل البقاء فى لندن أو إيثاكا وانما يقرر الرحيل عنهما إلى عالم مجهول وجميل ، لا نفع مباشر من ورائه . أى أن يوليسيس يقوم بمغامرة غير محسوبة ، فى عالم هيمنت عليه الحسابات ، ويذهب إلى أماكن غير معروفة ، فى عالم كان لا يذهب فيه الناس لمكان إلا لزيادة الربح . إن التناقض هنا ليس بين التأمل والفعل وانما هو بين الحياة النفعية الروتينية (التى يمثلها تليماخوس وبنـلوبى) ، والحياة الخلاقة البطولية (التى يمثلها تنيسون والبحارة) ، إنه عين التناقض بين الشاعر والمجتمع الصناعى وقد أخذ شكلا آخر .

وقد استخدم الشاعر مجموعة من الصور الشعرية المبهمة ، ذات الدلالة التى تتخطى والتى تناقض ما يقرره هو نفسه بشكل مباشر فى القصيدة . فحينما يصف « يوليسيس » تجربته المقبلة يقول انه سيتبع « المعرفة كالنجم الذى يهوى وراء أقصى حدود فكر الانسان » وحينما تبدأ الرحلة فهو لا يبصر سوى « البحار العاتية المظلمة » و « اليوم الطويل وهو يذوى » وهو يعتقد أن سفينته « ستبحر الى ما وراء الشمس الغاربه ، والى منابع نجوم الأفق الغربى كلها » (أى نهاية الدنيا) وقد تبتلعه الدوامات وقد يقابل « أخيل » العظيم فى الجزر الفردوسية . أى انها رحلة تحيطها الظلمات وقد تؤدى الى العدم . ولذا ثمة تشويه لروح القصيدة حينما فسرها المعاصرون لتنيسون على أنها دعوة للاجتهاد والتفاؤل ، وحينما اتخذ المنتجون الصناعيون كلمات يوليسيس الأخيرة شعاراً لهم :

« ان نكافح ونســـعى ونكتشـــف ..ولا . نستسلم » .

فيوليسيس يكافح الملل والروتين ويسعى الى أن يترك عالم النظام المصمت هذا ليكشف المجهول الذى قد يؤدى به الى التهلكة ، وهو بهذا لا يستسلم لمجتمعه الصناعى الذى يحسب تكاليف وأرباح كل شىء .

ولعل شخصية الشاعر الرومانتيكى المختبىء وراء « يوليسيس » تظهر فى موقف هذا البطل فى القصيدة من أسرته ، فبنلوبى الصبور يشير اليها على انها زوجته العجوز ، أما تليماخوس فهو مجرد بيروقراطى يصلح لادارة دفة الحكم وأما عامة الشعب فهم شعب من المتوحشين . إن أسرة وشعب يوليسيس يعيشون فى عالم الأشياء المألوفة التى ينفر منها هذا المتمرد الرومانتيكى .

وبذا يمكننا القول ان قصيدة « يوليسيس » ليست نقيضاً لقصيدة « آكلو نبات اللوتس المخدر » وانما هى طرح مغاير لنفس المشكلة فكلا القصيدتين قصيدتا رفض للمجتمع الصناعى ، وان كان الرفض فى القصيدة الثانية يأخذ شكل «الهروب» الى عالم الخدر والتأمل . فانه فى القصيدة الأولى يأخذ شكل هروب الى عوالم مجهولة مليئة بالمغامرات .

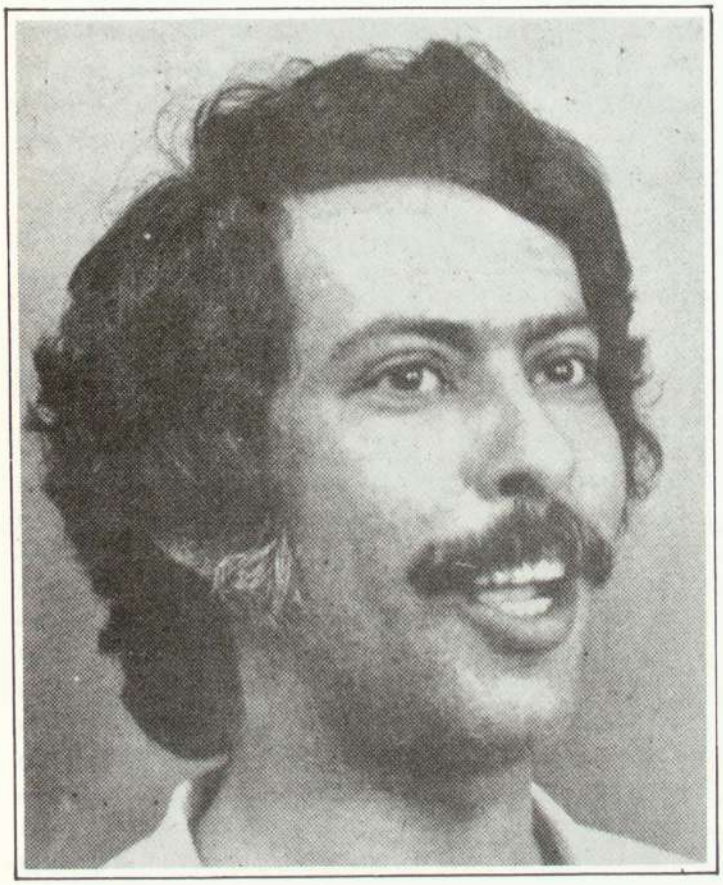
والقصيدة مونولوج درامى . اى انها قصيدة تحتوى شخصية واحدة عادة ما تكون البطل ، يقوم هو بسرد الأحداث ومن خلال سرده هذا ندرك بقية الشخصيات والخلفية والحبكة ، أى أن كل العناصر الدرامية متضمنة فى كلمات الشخصية الوحيدة .

وقد لجأ بعض شعراء العصر الفكتورى لهذا النوع الشعرى كمحاولة للهروب من الغنائية الرومانتيكية التى كانت قد استهلكت نفسها مع منتصف القرن التاسع عشر . وقد نجح فى هذا المضمار الشاعر روبرت براوننج . اما تنيسون فتغلب عليه النزعة الغنائية ولم يتمكن من الانتقال من المصطلح الدرامى ، ولذا « فيوليسيس » ، مثل « آكلو نبات اللوتس للمخدر » ، قصيدة تبدأ بداية ملحمية ودرامية ولكنها سرعان ما تغرق فى الغنائية والتأملات الذاتية .

إن عالم « تنيسون » ، على الرغم من بعده عنا ما يزيد عن قرن ، قريب كل القرب منا ، فهو لا يزال عالمنا الذى نعيش فيه ولازلنا نجابه نفس مشاكله ، بل اننا نحن العرب نجابهها بحدة أكثر اذ أننا نود ان ندخل العصر الحديث ونود أن ننشىء قاعدة صناعية ضخمة ونود أن ندير مجتمعنا على أسس علمية عقلانية ولكننا نود ـ عن حق ـ الاحتفاظ بالقيم الاخلاقية الانسانية المتمثلة فى تراثنا الدينى والحضارى . وهذه هى مشـــكلة « تنيسون » أيضا الذى تيقن من حتمية العلم والآلة والذى كان يعرف تمام المعرفة انه لا سبيل للهروب الى قصر الفن أو إلى برج جزيرة شالوت ، أو إلى جزيرة آكلو اللوتس ، أو الى جزر يوليسيس البعيدة ، ولكنه كان يعرف أيضا ان هذه الأماكن تجسد الجمال والقيم الأخلاقية والانسانية ، وأن المجتمع الصناعى لن لم ينجح فى التزاوج مع هذه القيم فانه سيؤدى بالانسان الى التهلكة وسيعطى الانسان بيتاً وسيارة وثلاجة وسيسلبه ضميره وروحه ، وذاته !

أ. د. عبد الوهاب محمد المسيرى

بقلم : د. أحمد عثمان



ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي

في لقاء صحفي نشر بمجلة الهدف في ٢١/١٠/١٩٦٤ قال فنان الكويت الرائد الراحل (في ٢٤/١٢/١٩٧٨) صقر الرشود : «إننا لا نستطيع أن نطلق كلمة مسرح على المسرح إلا اذا كان له تاريخ» . ولم يكن صقر الرشود حين أدلى بهذا الحديث يدري أنه هو نفسه من صانعي تاريخ الحركة المسرحية الكويتية وأنه أول من خطا بها الخطوة التي وضعتها في المسار السليم والاتجاه الصحيح . ولا ندري ماذا كان سيقول صقر الرشود لو أنه عاش ليرى كتاباً بأكمله يؤلف من أجله ويتصدى لهذه المهمة واحد من خيرة الباحثين بل مؤرخ الأدب الكويتي المعروف الدكتور محمد حسن عبد الله . ويحمل الكتاب عنوان «صقر الرشود مبدع الرؤية الثانية» (منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية جامعة الكويت ١٩٨٠) . ويقول المؤلف (ص ١٩) «إن التاريخ الفني لصقر الرشود هو بذاته تاريخ الحركة المسرحية بالكويت تقريباً» . وبالطبع يعني الفترة التي عاشها الفنان الراحل مبدعاً .

وسنتخذ من تصفح هذا الكتاب معاً وسيلة لتحقيق غايتين : الأولى هي تحديد ملامح ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي . أما الغاية الثانية فهي محاولة متواضعة لتقييم هذا الكتاب سعياً منا للافادة منه مستقبلا كتجربة مثمرة ينبغي أن تتلوها تجارب أخرى عديدة في سبيل تأريخ الأدب والفن في منطقة الخليج العربي التي وضعت قدمها مؤخراً على طريق النهضة الطويل. ولكننا لن نتمكن من تقييم هذا الكتاب قبل أن نحدد الهدف من وضعه أصلا . ومن الجلي الذي لا يحتاج الى تبيان أن للكتاب ثلاثة أهداف رئيسية : أولها هو تمجيد وتخليد اسم صقر الرشود ، ولا أدل على ذلك من صدور الكتاب بعد ما لا يزيد عن عام ونصف عام تقريباً من وفاته . فهو إذن كتاب تكريمي وضع بمناسبة معينة . أما الهدف الثاني فهو تسجيل السيرة الشخصية والفنية لهذا الفنان الراحل خوفاً عليها من الضياع . والهدف الثالث هو تقييم دوره في النهوض بالحركة المسرحية الكويتية .

عبارة مبهمة

ومن البديهي أن يكون عنوان أي كتاب تكثيفاً دقيقاً لكل محتوياته ، وهذا ما لم يتحقق في العنوان الذي وضعه الكاتب لكتابه «صقر الرشود ، مبدع الرؤية الثانية» . فمن النظرة الأولى على هذا العنوان نصطدم بحقيقة أنه لا يضم كلمة «مسرح» من قريب أو من بعيد . ومع أن «الرشود» كان قد جرب حظه وقلمه في فنون أدبية أخرى ـ كالمقالة والقصة القصيرة مثلا ـ إلا أنه أولا وأخيراً رجل مسرح كما نفهم من معطيات الكتاب نفسه . ثم نأتي الى عبارة «مبدع الرؤية الثانية» فنجدها عبارة مبهمة حتى على القارىء المثقف لدرجة أن المؤلف نفسه يضطر الى تفسير هذا العنوان داخل الكتاب (ص ١٨) . ونفهم من الشرح المطروح أن كل فنان مبدع هو صاحب

رؤية اخرى (ثانية) تختلف عن الرؤية العادية (الأولى) من قبل عامة الناس للأشياء والأحياء . ومن الملاحظ إذن أن معنى «الرؤية الثانية» ـ برأى المؤلف نفسه ـ متضمن فى كلمة «مبدع» . فما معنى عبارة «مبدع الرؤية الثانية» فى هذه الحالة ؟ . يستعين المؤلف لكى يقنعنا بالمعنى الذى أراده لهذه العبارة ـ العنوان بمقولة أن «لا شىء ينشأ من لا شىء» بمعنى أن الفنان المبدع يأخذ جزئيات من هنا وهناك سبقه اليها الكثيرون ولكنه يصنع منها وبها شيئاً جديداً . وينسب المؤلف هذه العبارة الى «ناقد عربى» لا يذكر اسمه وهى فى واقع الأمر مقولة فلسفية إغريقية قديمة . وأغرب من ذلك أن المؤلف يذهب الى القول (ص ١٩) بأن الرؤية الثانية قد تكون ثالثة ورابعة !! وهذا أمر لم يشرح لنا المؤلف معناه ولا يعنينا هذا المعنى كثيراً مادام صاحب الكتاب قد وقف بنا عند الرؤية الثانية فقط !!

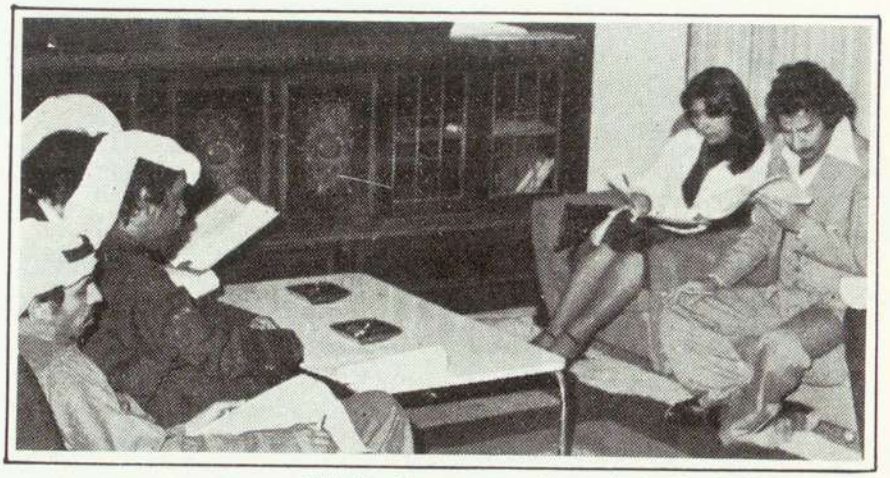
مقارنة لا داعي لها

لقد توزع اهتمام المؤلف بين اهتمامات ثلاثة هى : حياة صقر الرشود ، مؤلفاته الدرامية ، الرشود مخرجاً مسرحياً . ولكن يلاحظ أن عدد الصفحات المخصصة للجانب الثالث أى الاخراج لا يتعدى ٥٨ صفحة وهو عدد ضئيل جداً إذا قيس بعدد صفحات الكتاب التى تربو على ٢٧٠ صفحة . هذا مع أن المؤلف نفسه يعترف بأن الاخراج هو أهم جوانب هذا الفنان المسرحى الراحل ، إذ يقول (ص ٤٤) «ينبغى أن نذكر هنا بشكل واضح تماماً أن الرشود هو أول مخرج مسرحى عرفته الكويت» . كان من الواجب إذن أن يكون الاخراج المسرحى هو المنطلق والركيزة التى تقوم عليها دراسة ظاهرة صقر الرشود ، وهذا ما لم يحدث فى الكتاب . فى حين لم يفت الكاتب أن يفيد من هذه الحقيقة نفسها ـ أى أن الرشود مخرج مسرحى بالأساس ـ ليؤيد زعم عبد العزيز السريع (ص ١٨٤ ـ ص ١٨٥) أن الفنان الراحل هو الذى كان يحشر نفسه حشراً فى تاليف مسرحيات مشتركة معه لأن الرشود ـ على حد قول السريع «يعتبر قد توقف عملياً عن التاليف بعد كتابتى «ضاع الديك» التى حققت نجاحاً ملحوظاً وبلغ صقر فيها قمة فنه فى الاخراج المسرحى» . ويؤيد صاحب الكتاب هذا الرأى بصريح العبارة (ص ٢١٤) فيقع فى تناقض ملحوظ بسبب تحيزه الواضح . فهو نفسه الذى قال بعد ذلك فى كتابه (ص ٢٥٩) أن اخراج مسرحية «على جناح التبريزى هى التى جعلت الرشود يتخطى حدود الكويت ليصبح مخرجاً عربياً مرموقاً» .

وعدم التركيز على الاخراج المسرحى فى فن صقر الرشود هو الذى أوقع صاحب الكتاب فى مزلق آخر . وذلك عندما يعقد مقارنة بين صقر الرشود المؤلف الدرامى وتوفيق الحكيم كاتب المسرحيات الذهنية . لقد قيل ذلك عن الحكيم لأنه مؤلف واسع الاطلاع عريض الثقافة ، قبع فى برجه العاجى بين الكتب الصفراء يكتب للمسرح فجاءت بعض مسرحياته ـ وليست كلها ـ غارقة فى التفكير الذهنى مما جعلها أصلح للقراءة منها للعرض المسرحى . هذا ما نفهمه من عبارة «المسرحيات الذهنية» واستخدامها بالنسبة لتوفيق الحكيم . أما صقر الرشود فمن المحال أن يكون مؤلفاً ذهنياً . وإذا كان ولا بد من مقارنته بتوفيق الحكيم فهو محدود الثقافة وهذا ما يؤكده صاحب الكتاب نفسه (ص ١٣٠) حين يقول «سيدل هذا كله ليس على عمق الثقافة المسرحية ، فلا تظن أن هذا كان قد تحقق ، بل يدل على سلامة الحس الفنى وبصيرة التعبير» . فصقر الرشود إذن فنان موهوب كانت تنقصه الثقافة المتعمقة ومن ثم فلم يكن مؤلفاً ذهنياً كما أنه لا داعى لمقارنته بتوفيق الحكيم .

أهمية الجانب التسجيلى

والحقيقة التى قد تغيب عن أذهان الكثيرين هى أن التاريخ للكتاب والفنانين المعاصرين يعد من أشق المباحث وأكثرها عرضة للمزالق . وأسباب ذلك عديدة نذكر منها الحرج فى نشر بعض الوثائق والمعلومات . وكذا عدم توفر الموضوعية الكاملة لأن العوامل الشخصية شئنا أو لم نشأ تلعب دوراً فيما نكتب عن معاصرينا . وفضلا عن ذلك لا تتوفر الرؤية الشمولية فى الكتابة عن المعاصرين لأنه بطبيعة الحال لا يتاح لنا أن نضع الكاتب أو الفنان الذى نؤرخ له فى خريطة عامة تشمل ما قبله وما بعده . ومن ثم فان عملية تقييم الفنان أو الكاتب لا تكتمل فى عصره وتترك أشياء كثيرة ليقولها أبناء الأجيال القادمة . ولا يعنى قولنا هذا بأية حال من الأحوال أننا ندعو للتقاعس أو لعدم الاهتمام بتدارس الأدباء والفنانين المعاصرين لنا ، وإنما نرى أن الجانب الأهم فى مثل هذه



خلال بروفات القراءة لآخر اعماله فى الكويت « عريس لبنت السلطان »

ظاهرة صقر الرشود في المسرح الكويتي

الدراسات هو الجانب التسجيلى . ومن هنا جاء الدكتور محمد حسن عبد الله وبذل أقصى ما فى وسعه لحشد أكبر قدر ممكن من المعلومات المباشرة وغير المباشرة عن حياة صقر الرشود منذ ولادته وحتى مماته . وعاد كذلك الى لقاءاته الصحفية ، واستند الى شهادة الفنانين المعاصرين له والمتعاونين معه . بيد أننا نصطدم بقلة الوثائق المنشورة فى نهاية الكتاب ، فهى ثلاثة فقط ، إثنتان منها متعلقتان بوفاة صقر الرشود وتكريمه بعد الوفاة من قبل مؤسسة التقدم العلمى الكويتية . كنا ننتظر وثائق أكثر ، وكنا نتوقع قوائم مصنفة وفهرساً منظماً بكل الوثائق والمقالات وكذا المعلومات وكل ما كتب ليس فقط بقلم صقر الرشود وإنما أيضاً ما كتب عنه . فمثل هذه القوائم والفهارس هى التى ستشد انتباه الباحثين والنقاد مستقبلا إذ ستسهل عليهم عملية دراسة وتقييم صقر الرشود فى إطار الحركة المسرحية الكويتية .

بين النشمى والرشود

ويعيب د. محمد حسن عبد الله على زميله الباحث د. علي الراعي أنه يتحمس لمحمد النشمى الذى أوجد للمسرح الكويتى ـ برأى الأخير ـ ولادة شرعية شعبية . ومن الملاحظ أن د. محمد حسن عبد الله فى رده على هذا الرأى قد عانى هو أيضاً من شدة التحمس لمسرح الخليج حتى أنه يصدر حكماً قاسياً على النشمى فيقول إنه كان يدور فى حلقة مفرغة (ص ٩٦ ـ ٩٩) . ويستند د. محمد حسن عبد الله فى حكمه هذا على حقيقة أن النشمى كان يدعو لمسرح شعبى إقليمى ضيق . ونود التنويه هنا الى أن الشعبية أو الاقليمية فى المسرح والأدب لها دور لا يلغى ولا يتعارض مع التوجه القومى والعللى . والنشمى كما يقول د. محمد حسن عبد الله نفسه هو الذى سبق الرشود بنقد القضايا الأساسية فى المجتمع الكويتى ولا سيما فى مسرحية «قرعة وصلبوخ» التى ألغيت بعد ليلة واحدة من عرضها لأن ما بها من نقد كان أكبر وأخطر من أن تسكت عليه الرقابة (ص ٨٧) . وفي هذا الصدد تلزمنا الاشارة الى الاطروحة التى تقدم بها سليمان الخليفى لنيل درجة البكالوريوس من المعهد العالى للفنون المسرحية بالكويت والتى طبعها فى كتيب بعنوان «صقر الرشود والمسرح فى الكويت» (مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ١٩٨٠) . فى هذه الأطروحة ـ الكتيب ـ (ص ١٤ ـ ١٨) أشار الخليفى الى أن النشمى ومسرحه الشعبى المرتجل ينكرنا بكوميديا دى لارتى (أى كوميديا الحرفة كما أفضل تسميتها) وهو الفن المسرحى الشعبى الذى أعطى الحياة والدفء لمسرح ايطاليا بخاصة وأوروبا بعامة فى بدايات عصر النهضة (وهذا موضوع قد نعود اليه فى مجال آخر) . وأهم من ذلك أن الخليفى يلفت انتباهنا الى حقيقة مفادها أن أول نص مكتوب قدمه الرشود وهو مسرحية «تقاليد» التى عرضت فى ١٩٦٠/١٢/٣ «قد كتب له أن يرى النور فى أحضان المسرح الشعبى ومن بين يدى رائد المسرح فى الكويت الأستاذ محمد النشمى» (ص ١٨) .

ويقرر د. محمد حسن عبد الله «أن الرشود لم يكن أولا بل كان مسبوقاً دائماً» (ص ٩٥) وإن كان ذلك لا يقلل من عبقريته التى جعلت من مسألة السبق الزمنى غير ذات أهمية . فالرشود لم يكن أول من جعل للمسرح الكويتى نصاً مسرحياً مكتوباً و «المخلب الكبير» ليست هى أول مسرحية كويتية فصيحة ، إذ سبق فى ذلك كل من الشاعر أحمد العدوانى والأستاذ حمد الرجيب . ويتحلى د. محمد حسن عبد الله بالموضوعية فى أغلب صفحات كتابه فهو مثلا يعالج الأخطاء اللغوية فى مؤلفات صقر الرشود (ص ١٢٠ وما يليها) ، ويذكر فى أكثر من موضع أنه لا يهدف الى تفخيم أو تضخيم صورة صقر الرشود . ولكن الحماس يعاوده بين الحين والآخر إذ يصف مسرحية «المخلب الكبير» على أنها «على مستوى اللغة الرسمية وطبقاً لمواصفات المسرح العالمى أيضاً !» (ص ١١٤) .

الحاجز .. والمخلب الكبير

ولقد حرص صاحب الكتاب على أن يربط صقر الرشود بالكاتب والمخرج الألمانى الشهير برتولد بريخت (ص ١٣٠ ص ٢٠٢ ، ص ٢٣٩ وما يليها) . ولكنه يتحدث عن أسلوب صقر الرشود البريختى فى الاخراج دون التأليف ولا ينوه مجرد التنويه الى أنه من العسير الفصل بينهما كما يقول بريخت نفسه . ويقول الباحث (ص ٢٤٥) ان هدف بريخت كان «رفض النظرية الأرسطية تماماً ، تلك النظرية التى قامت على المحاكاة» . فهذا يعنى أن فن بريخت ـ كتابة واخراجاً ـ لا يقوم على المحاكاة.

ونرى من ذلك قصوراً فى فهم المسرح الملحمى البريختى الذى يستمد أصوله ـ رغم ما يزعمه بريخت نفسه ـ من المسرح الاغريقى ومن بعض القواعد الأرسطية ولاسيما المحاكاة . ولكن هذا موضوع آخر يحتاج الى تفصيل لا مجال له هنا .

وعن مسرحية «الحاجز» لصقر الرشود (عرضت علم ١٩٦٦) يقول :. د. محمد حسن عبد الله انها أقرب الى الدراما التلفزيونية لأنها «تهتم بالتفاصيل ، وتكتفى بالاشارة الرامزة دون الدخول فى صراع حاد صارخ» (ص ١٨١) . وهذه العبارة التى تعرف الدراما التلفزيونية غير دقيقة وبها شىء من التناقض والغموض . وأكثر من ذلك أنها لم تشرح مسرحية «الحاجز»وإنما زادتها التباساً . ومع ذلك فكنا نود أن يوجه الباحث مزيداً من الاهتمام الى جهود صقر الرشود فى الاذاعة والتلفزيون ولا يكتفى بالاشارات المتفرقة هنا وهناك إن كان حقاً يعتقد ـ مثلنا ـ أن الاذاعة والتلفزيون قد أثرا فى نشاطه المسرحى تأثيراً كبيراً .

وهناك سؤالان هامان لم يجب عنهما الكتاب لأنه أصلا لم يطرحهما . الأول خاص بحقيقة أن ظاهرة صقر الرشود فى المسرح الكويتى وقعت فى الستينات وعاصرت الانتعاشة المسرحية فى مصر وبعض البلدان العربية الأخرى . ما تعليل ذلك ؟ أما السؤال الثانى فهو بشأن تقسيم صقر الرشود لمسرحية «المخلب الكبير» الى مسرحيتين احداهما تحمل نفس العنوان الأصلى والأخرى بعنوان «الطين صار اسمنت» ألا يدل ذلك على أنه كمؤلف قد بدأ يكرر نفسه مما يوحى بالنضوب ؟ أم أن انشغاله بالاخراج ـ وهو أساس موهبته ومجال تفوقه ـ والعمل فى الاذاعة والتلفزيون وجمع المال كان وراء عدم التزود بالثقافة والتجدد بالتجارب والتفرغ للتاليف المسرحى ؟

ومما يؤسف له أن الكتاب لا يضم قائمة بالمراجع ولذلك لا نعرف مثلا فى أية جريدة أو مجلة تم اللقاء الصحفى مع الرشود والمشار اليه فى صفحة ١٥ وصفحة ٦٧ . ويشير المؤلف الى مقالات «بصراحة» الاسبوعية فى جريدة الأهرام دون ذكر اسم صاحبها محمد حسنين هيكل ولا حتى اسم الجريدة نفسها (ص ٣٨ ـ ٣٩) وينسى أن هذا الكاتب قد توقف عن كتابة هذه المقالات منذ أكثر من عشر سنوات وأن هناك شباناً يعيشون معنا ولم يقرأوا هذه المقالات بل ربما لم يسمعوا بها . وبعد عشر سنوات أخرى مثلا ستكون هذه المقالات مجهولة إلا لخاصة المثقفين المهتمين بقراءة التاريخ .

بقي أن نشير الى أن صقر الرشود كان يسمع هذه المقالات من الراديو ويعتبرها صاحب الكتاب مصدراً من مصادر ثقافته . ولا يذكر الباحث قط تاريخ ولا مكان نشر أى من الكتب والمراجع التى عاد اليها ، فنحن مثلا لا نعرف ما إذا كان قد عاد الى كتاب الكسندر وين «أسس الاخراج المسرحى» بلغته الأصيلة أى الانجليزية أم مترجماً . كان على الباحث أن يعرفنا بأن هذا الكتاب ترجمة سعدية غنيم وراجعه محمد فتحى وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥ .

وبعد فان الكتاب الذى بين أيدينا حافل بالمعلومات القيمة ليس فقط عن صقر الرشود ، بل عن الحركة المسرحية والأدبية بالكويت . وهى معلومات جمعها واحد من أبرز المهتمين بالأدب الكويتى وأكثرهم له متابعة بالقراءة والبحث ، ومشاركة بالتاليف ، ونتوقع لهذا الكتاب أن يحتل مكاناً هاماً فى مراجع الدراسات النقدية عن المسرح الكويتى . فلن يستغنى عنه أى باحث يريد دراسة مسرح الكويت فى الستينات والسبعينات . ويا حبذا لو تتلو هذا الكتاب كتب أخرى تؤرخ للكتاب والفنانين المعاصرين بالكويت ومنطقة الخليج العربى .

د. أحمد عتمان

من كلمات نابليون

- الحياة التى لا فائدة فيها حمل ثقيل .
- ليس بين النصر والهزيمة إلا خطوة واحدة .
- يجب ان ننظر إلى الأمور كما هى لا كما نشتهى أن تكون .
- أسرع الناس مشياً من سار وحده .
- الكذب زائل والصدق دائم .
- الليل ناصح ا مين .
- لا يظفر المقامر بأى ثقة منى ، وإن ثقتى بأى إنسان عند أول علمى بانه مولع بالقمار .
- كنت أيام سعادتى أحسبنى أعرف الرجال ولكن لم أكن أدرى أن عرفانى بهم على حقيقتهم إنما كان فى أيام محنتى .
- ليس فى قدرتى خلق الرجال فلابد لى إذن أن أستفيد ممن أجد .
- عدو مبين خير من حليف مريب .
- كيف تقوم الفضيلة ؟ .. ألا إنه لاسبيل إلى ذلك إلا بنشر الدين .



انتظار الأهل لذويهم العائدين من رحلة الغوص

دانه القطرية

مفاجأة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس

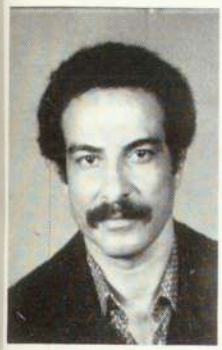
تونس : خاص بالدوحة

موسيقى وصوت الفنان الخليجى أحمد الجميرى تنساب فى شجن ورقة .. حاملة كلمات الشاعر علي عبد الله خليفة .. علي خلفية من عدد من اللوحات الرقيقة .. التى تشبه رسوم الأطفال .. تصور بيوت قرية قطرية عتيقة تواجه البحر .. ويواجهها طفل وطفلة وقنديل صغير ، ثم اسم التمثيلية التليفزيونية (دانه) التى شاركت بها قطـــر فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية الأول فى تونس .. ثم تتالى بعد ذلك اسماء الفريق الفنى المتجانس الذى انجز هذا العمل ـ جاســم صفر ، وعبد الرحمن محسن « القصة والسيناريو والحوار » .. وداد عبد اللطيف .. ســـعد بورشيد،عبد الله غيفان ، ومجموعة كبيرة من الممثلين القطريين الهواة .. وأخيراً ياتى اسم المخرج .. أو مايسترو هذا العمل الذى كان بحق مفاجاة مهرجان التمثيلية التليفزيونيـة « ابراهيم الصباغ » فرغم ان قطر كانت الدولة الوحيدة من الدول المشاركة التى تقدمت بعمل واحد .. إلا أن هذا العمل قد فاز بجدارة باهم ثلاثة جوائز من الجوائز التى منحتها لجنة تحكيم المهرجان .

ففى المدة من ٢٣ إلى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨١ نظمت الأمانة العامة لاتحاد الاذاعات العربية التابع لجامعة الدول العربية المهرجان الأول للتمثيلية التليفزيونية الذى عقد فى دار ابن خلدون للثقافة بتونس . وقد اشترك فى هذا المهرجان سبعة عشر عملا تمثل ثمانية دول هى : الأردن ، سوريا ، العراق ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقطر ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر . وتشكلت لجنة التحكيم من الفنان العراقى يوسف العانى رئيساً والطيب الصديق من المغرب وعلاء كوكش من سوريا ، ومحمد محفوظ وعلى منصور من تونس كاعضاء .. وقد حددت لائحة المهرجان الجوائز التى سيتم التنافس عليها كالآتى :



جاسم صفر ـ
احد مؤلفي العمل

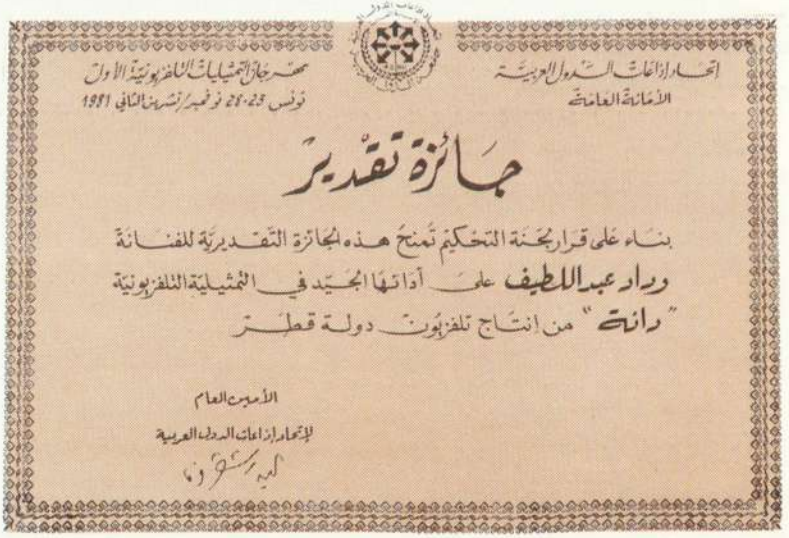


عبد الرحمن محسن ـ
كاتب السيناريو

(١) جائزة لأحسن عمل مشارك .
(٢) جائزة لأحسن إخراج .
(٣) جائزة لأحسن سيناريو .
(٤) جائزة لأحسن أداء لدى الممثلين .
(٥) جائزة لأحسن أداء لدى الممثلات .



مشهد من رحلة الغوص



الصراع بين الانسان والبحر

الأيام الأولى للمهرجان مضت دون مفاجآت .. وكما يقول بيان لجنة التحكيم : « إن اللجنة لاحظت أن مضامين بعض التمثيليات لا ترتبط بأرضية أو تربة البلد المنتج ، ولا تمت بصلة إلى واقعه أو مشاكله أو تاريخه بل كانت محلقة تبحث عن هوية وتستجدى الاصالة والصدق فى التعبير » ..

وكان من الممكن ان تحجب لجنة التحكيم الجائزة ـ الأولى لأحسن عمل مشارك ـ وظل هذا هو الاحتمال الغالب .. الى أن عرضت على اللجنة والجمهور المتواجد فى دار ابن خلدون التمثيلية التليفزيونية القطرية «دانه» فكانت مفاجاة المهرجان الكبرى بحق .

منذ اللقطة الأولى تاكد الجميع أنهم أمام عمل لا يمكن أن ينتمى لأى مكان إلا المكان الذى انتج فيه ويحمل اسمه ـ إلى قطر ـ وإلى ذلك الزمن القريب البعيد حين كانت الحياة فى هذه البقعة من الخليج العربى تعتمد أساساً على الصراع بين الانسان والبحر يعطيه عمره .. ليحصل منه على لآلئه التى تكفل استمرار الحياة .

الفجر يوشك أن يشرق على قرية قطرية عتيقة ، ببيوتها المتساندة التى تواجه البحر ، ويواجهها .. وخبز الصباح يوشك أن ينضج فى الأفران .. وقهوة الصباح المرة تدور فى الأكواب .. البعض بكر فى السعى والبعض يوشك .. وسعد « مطوع » القرية الشاب يردد حروف الأبجدية العربية فيرددها خلفه أطفال القرية « كتابها » الوحيد الصغير ..

هكذا يبدأ أول مشهد فى « دانه » . ولم تكن القرية التى صورها المخرج مصنوعة من الخشب أو النسيج المطلى . ولم تكن الأفران أو المواقد مصنعة فى أركان استديو تليفزيون قطر بل كان كل شىء فى هذا المشهد حقيقياً حياً ، قرية حقيقية .. وأدوات حقيقية وأصيلة ، ولغة تنتمى إلى ذلك العصر .

تتقدم احداث القصة لتثبت مع الوقت أنها تنتمى أيضاً الى نفس المكان .. لتعبر عن طبيعة تلك الحياة التى صنعها الصراع مع البحر وتلك العادات التى رسختها الصحراء والأمل القادم فى الخروج من هذه الدائرة ـ ـ إلى أفق أوسع وأرحب ـ وتتجسد كل هذه الحيوات فى شخصيات من لحم ودم. « النوخذا » ربان سفينة الغوص ، والمتحكم فيها وفى « دانه » ابنة أخيه مالكة السفينة الحقيقية، وسعد الشاب المتطلع للغد والذى يدفعه الأب الى التعلم أملا فى أن يجنبه المصير المؤلم لكل غواص فقير . وأخيراً « دانه » صاحبة « المحمل » ومحط الطمع والحب . ويتوقد الصراع حين نواجه بالعم يرفع سيف التقاليد .. « الذى يقضى بأن تكون « دانة » من نصيب ابن العم فهو أولى بها من الغريب » .. ولكن التقاليد أيضاً تقضى باحترام رغبة الأب الذى مات بعد أن وعد ابنته بالزواج من سعد . وهنا يحاول الحب أن يواجه الشر والطمع بنفس سلاحه .

على السطح تطفو قصة حب رومانسية رقيقة وعادية يجسدها المخرج فى لغة سينمائية شاعرية تجيد استخدام امكانيات الطبيعة .. البحر .. والشاطىء .. والنوارس .. والسفن المهجورة . ويقود مجموعة الممثلين الهواة الى حرفية جديدة تماماً تختلف كل الاختلاف عن الأسلوب المسرحى الاذاعى السائد فى الاداء التليفزيونى . التلقائية ..



الفنانة وداد عبد اللطيف وجائزة تقديرية عن التمثيل

دانه القطرية

مفاجأة المهرجان العربي الأول للتمثيلية التليفزيونية بتونس

والعضوية التى تقترب من الطفولة التى تتفق مع وعى وسن دانة وسعد .. وتاتى كلمات الحوار البسيطة الرقيقة القليلة ، فى مكانها للحدد ،، لا ثرثرة ولا احاديث معادة عن الحب

ولأن المخرج قرر منذ اللحظة الأولى ان يركب المركب الصعب وأن يصور كل لقطاته خارج الاستديو .. فقد امتلك ثروة لا تنتهى من القدرة على استخدام حركة الكاميرا وحركة للمثلين والمجاميع بحرية شديدة . فنحن لا نواجه كما تعودنا بلقطه للبطل يتحدث ثم لقطة للبطلة . بل تدور الكاميرا حول تفاصيل المشهد لتبرز جمال الحركة التلقائية ولتعطى لكل استخدام لاحجام اللقطات معناه الحقيقى .. فحين يطبق اليأس تبتعد الكاميرا وتتحول صورة دانه وسعد إلى شىء ضئيل صغير فى مواجهة البحر وهذا الفراغ الهائل ولا تقترب الكاميرا من الوجوه إلا فى لحظات الأنفعال الحارة لتبرز ما يريد أن يقوله المخرج بالخلجات وارتعاشات الشفاه والعيون . على السطح تبدو قصة الحب الرقيقة هذه .. وفى الباطن نواجه بالحياة القاسية بالواقع وتفاصيله المرة .. البحر .. والسفن الصغيرة البدائية التى يتكدس فيها عشرات الغواصين فى رحلة الغوص الشرسة التى تستغرق فصل الصيف كله .. يعيش الغواصون خلالها على التمر والقهوة المرة فقط . يغوصون ويغوصون يجلبون اللآلىء والثروة « للنوخدا » مقابل السلفة الصغيرة التى قبضوها مسبقا ليكفلوا بها قوت بيوتهم هناك على الشاطىء .

ومع ذلك فمن أبناء هؤلاء الغواصين من يطمع فى دانه – ابنة شقيق النواخدا – والمالكة الحقيقية « للمحمل » يطمع فيها وفى ما تملك . هكذا يعتقد النوخدا . ولكن القلوب الصغيرة تحلم بالحب وتفكر فى التخلى عن المحمل .. وما يجلبه من أحزان – ولكن من يصدق – لابد لدانه أن تظل فى منزل العم وصياً عليها ، ثم زوجة لابنه الذى تربى معها

وعلى عكس الصورة التقليدية لابن العم الذى ينفذ مخططات الأب أو الذى يعيش قصة حب أخرى بعيدة يبدو ابن العم هنا شخصية انسانية حية – يحب ابنة العم ويتمناها لنفسه ولكنه يرفض ان يحصل عليها غصباً .

ويموت أبو سعد الغواص الفقير على سطح « المحمل » كما مات عشرات غيره – من الغواصين المرضى لأن السفينة لابد أن تكمل رحلتها – ولكن بعد ان يجبر النوخدا على الاعتراف بالوعد الذى قطعه والد دانه بتزويجها من سعد فهو لا ينكر الوعد ولكن هناك الف طريق للخلاص منه . فدانه صاحبة المحمل لابد لها من مهر كبير . والظروف لا تتيح لسعد حتى سداد الديون التى مات الأب وخلفها وراءه . ويترك سعد حلمه فى حياة أفضل ويركب البحر .. مادام هذا هو الطريق الوحيد الى دانه ويتكفل الشر بالبقية .. ففى أول رحلة له على سطح المحمل يتهم بالسرقة .. وهذا كاف حتى يبرر النوخدا رفضه لتزويجه من دانه . وعلى الشاطىء يعلن النوخدا عن موعد زفاف ابنه على دانه

ويجمع سعد ما يملك – ويقرر الرحيل – الى للجهول – وتحلم دانه بأن تحرق « المحمل » سبب المأساة ومحط الطمع – لكنها لا تملك القدرة على الفعل – لا تملك إلا ان تعدو خلف القارب الصغير الذى يقل سعداً الى البعيد تعدو وتصرخ وتغوص فى الماء فى مشهد يصل استخدام المخرج فيه لأدواته الى ذروة تذكرنا بالأفلام الرومانسية العالمية الجديدة . تتقاطع لقطات العدو والصراخ فى الماء مع عودات سريعة قصيرة لذكريات أيام الهناء .. وتزداد سرعة اللقطات إلى أن تصل إلى ذروتها .. فتسكن وتصمت لتجول بنا الكاميرا على سطح البحر حيث يختفى القارب الصغير الذى يقل «سعداً» وترحل النوارس بعيداً عن الشاطىء ثم تزحف الكاميرا الى دانه ، مبتلة ونديه .. وقد رقدت هامدة إلى الأبد على الشاطىء .

ولم يكن نجاح المخرج مجرد نجاح تقنى فى استخدام أدوات التصوير التليفزيونى بشكل بارع – بل كان نجاحه الاساسى فى توظيف هذا الاستخدام فى خلق عمل محلى عربى يرتبط بواقع قطر ويستغل جماليات هذا الواقع – فقد استطاع المخرج أن يغلف عمله الذى يدور فى عالم البحر والغوص بالفنون الشعبية وبالموسيقى التى تعبر عن هذا الواقع وذلك العصر .. استخدم فى مشاهد الغوص والبحر سفينة غوص حقيقية قديمة كما استخدم فريقاً من الغواصين القدامى – ولم يكن استخدام المخرج لكل هذه الأدوات مجرد محاولة لاضفاء المحلية على العمل – بل استطاع بحق ان يوظف كل هذه الأدوات التوظيف الدرامى الصحيح الشعبى التقليدى البطىء فى كل مشاهد القرية والبحر والغوص – فى حين استخدم ايقاعاً أكثر سرعة وحداثة

قرار لجنة التحكيم

يقول قرار لجنة التحكيم فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية حول فوز التمثيلية القطرية (دانه) .

لقد تميزت التمثيلية بمستواها الفنى العالى وبالاخراج المتقن والتمثيل العفوى الذى بدأ ظاهراً لدى كل الشخصيات المشاركة ، الأمر الذى جعلنا نقتنع بواقع الأحداث والأجواء ويصدق التعبير ورهافته والذى أولاه المخرج عناية فائقة ، إضافة الى استغلال الأماكن الحقيقية والفن الشعبى بصيغة جمالية ومؤثره » .

لقد كانت تجربة المخرج ابراهيم الصباغ فى اخراج هذا العمل بالكامل خارج الاستديو ، وبعربات الفيديو رداً بليغاً على أسلوب الانتاج التجارى السائد ، الذى يتحجج دائماً بارتفاع تكاليف التصوير خارج الاستوديوهات والذى يتم عادة باستخدام ادوات التصوير السينمائى وخاماته – التى تضاعف التكاليف – فقد استطاع هذا المخرج ان يقدم عملا تليفزيونياً عربياً يرقى الى مستوى تلك الأعمال العالمية التى نشاهدها دوماً – ونتساءل عن السبب فى قدرتها على اقناعنا

واخيراً فقد استطاع هذا العمل والفريق الذى انجزه أن يعيد الى التمثيلية التليفزيونية بعضاً من سمعتها كفن تليفزيونى خالص .. كفن مرئى .

تونس : خاص بالدوحة

« دانه »

فازت التمثيلية التليفزيونية القطرية « دانه » بثلاث جوائز فى مهرجان التمثيلية التليفزيونية الأول فى تونس . والتمثيلية من انتاج تليفزيون قطر ..

قصة وسيناريو وحوار – جاسم صفر ، عبد الرحمن محسن .

إخراج ابراهيم الصباغ .

بطولة : وداد عبد اللطيف . سعد بورشيد ، عبد الله غيفان . عبد العزيز جاسم ، وصلاح درويش . مبارك الخميس . محمد البلم .

المخرج المساعد خليفه المناعى .

تصوير : عبد الرؤوف داود . محمد القريطى ، محمد عبد المنعم .

الديكور واللوحات .. الفنان فؤاد الشبينى .

الغناء والألحان : أحمد الجميرى .

كلمات الأغانى : الشاعر علي عبد الله خليفة . وقد فازت دانه باهم ثلاث جوائز فى المهرجان وهى جائزة احسن عمل مشارك . وجائزة أحسن اخراج مشارك . وجائزة تقديرية لأحسن أداء لدى الممثلات .

* الدانه: اللؤلؤة الكبيرة .

بقلم : فـــوزي تـــادرس

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



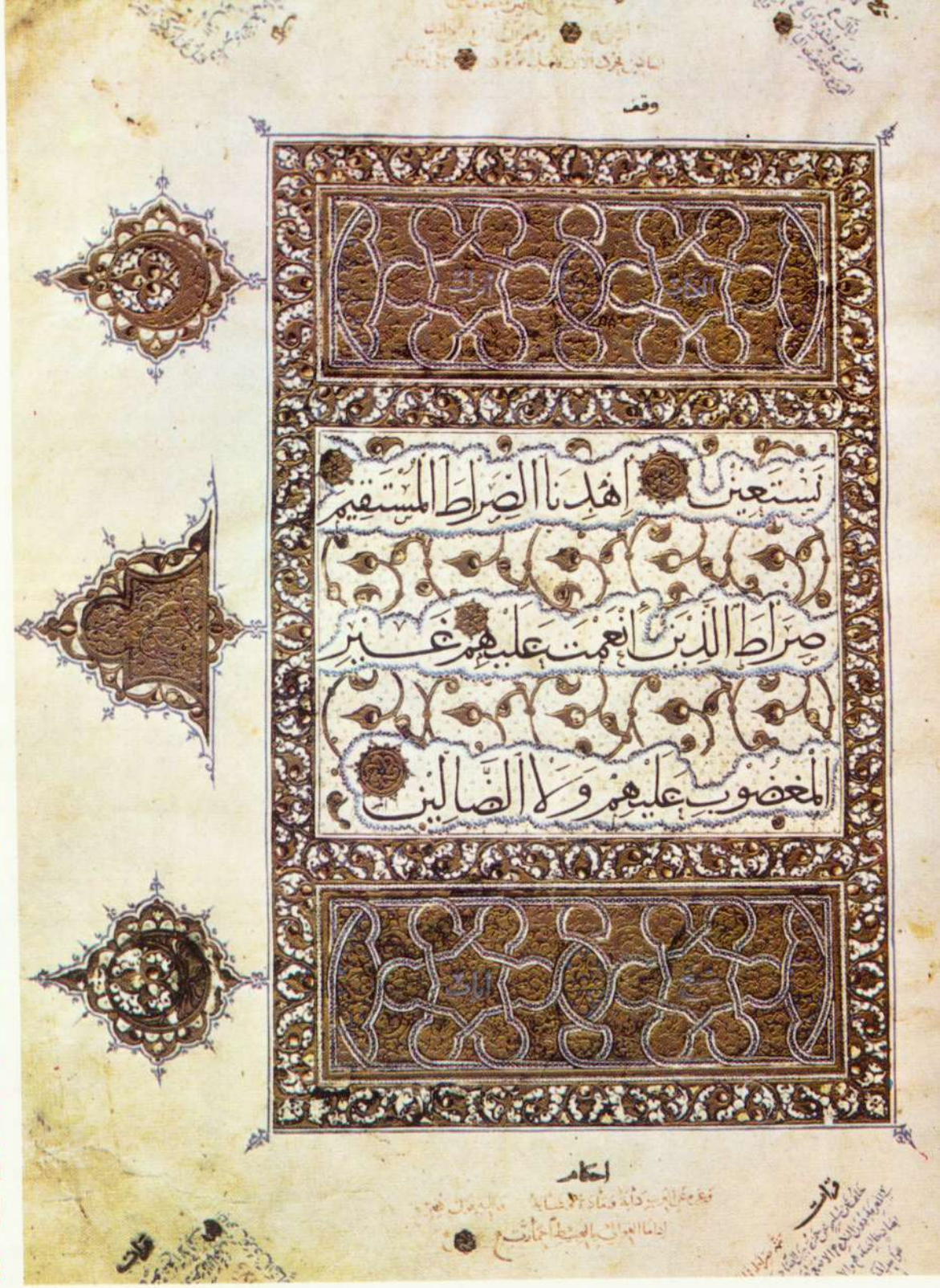
فاتحة القرآن بالخط النسخى المغربى مع رأس السورة بالخط الكوفى البديع

لقد كان استعمال اللغة العربية كواحدة من المقومات الأساسية التى وحدت بين المسلمين ، وهى فى نفس الوقت التى ميزتهم عن غيرهم كاحدى أساسيات الثقافة الاسلامية بأشكال وصفات أبجديتها حتى أصبحت على مر العصور هى المحور المركزى للفنون الاسلامية (١) .

وبينما كانت الكلمة المكتوبة فى أول انتشار الاسلام لأغراض مقدسة لكتابة القرآن الكريم ، استخدمت الكتابة أيضاً للمعاملات الدنيوية . ولقد اتخذت فى كل مرحلة طابعاً وشكلا معيناً طبقاً للفترة الزمنية التى تغطيها وتبعاً للبيئة المحلية التى ينتشر فيها ، ثم إلى مواد الكتابة التى يستعملها الخطاط (٢) .

ولقد بقى الخط العربى مديناً بتطوره التاريخى لذكاء الفنان العربى المسلم ولقدرته على الابداع الانسانى ، والتى تدين لتطورها عندما اختارها الله لتكون أداة لنشر الرؤية الدينية التى نزلت بالقرآن الكريم على الرسول محمد سيد المرسلين (٣) .

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث



روعة الخط الثلث مكتوبة باللون الأسود والأزرق

رسالة الكتابة العربية

لقد أخذ العرب المسلمون معهم لغتهم وكتاباتهم وعقيدتهم إلى كل البلاد التى فتحوها ، وبينما قبلت معظم هذه الشعوب اللغة العربية بخطها والديانة الجديدة بعقيدتها الاسلامية ، قبل الايرانيون والأتراك الديانة الاسلامية والحروف العربية ولم يقبلوا اللغة . وبقيت اللغة العربية هى التعبير الرسمى لعالمية الاسلام وطموحه .

فى مثل هذا الموقف المركزى للحضارة الاسلامية احتلت الكتابة العربية الصدارة وبدأت تظهر شخصيتها كأداة ثقافية واحدى الدعائم الأساسية للاشعاع الروحى الذى أتى به الاسلام (٤) فقد كانت الكتابة العربية الجميلة تشكل طريقاً اخلاقياً ممتازاً يقصد منها ابتغاء الغفران من الخطايا ، وعملا دينياً محبوباً بما فيها من كتابة اسماء الله الحسنى (٥) ، وأيضاً اسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا إلى جانب ان القراءة والكتابة كانتا هما حجر الزاوية والدعاية الأساسية التى قام

عليها الاسلام (٦) . وغنى عن البيان ، فكلنا يعرف أن أول آيات القرآن (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) (٧) .

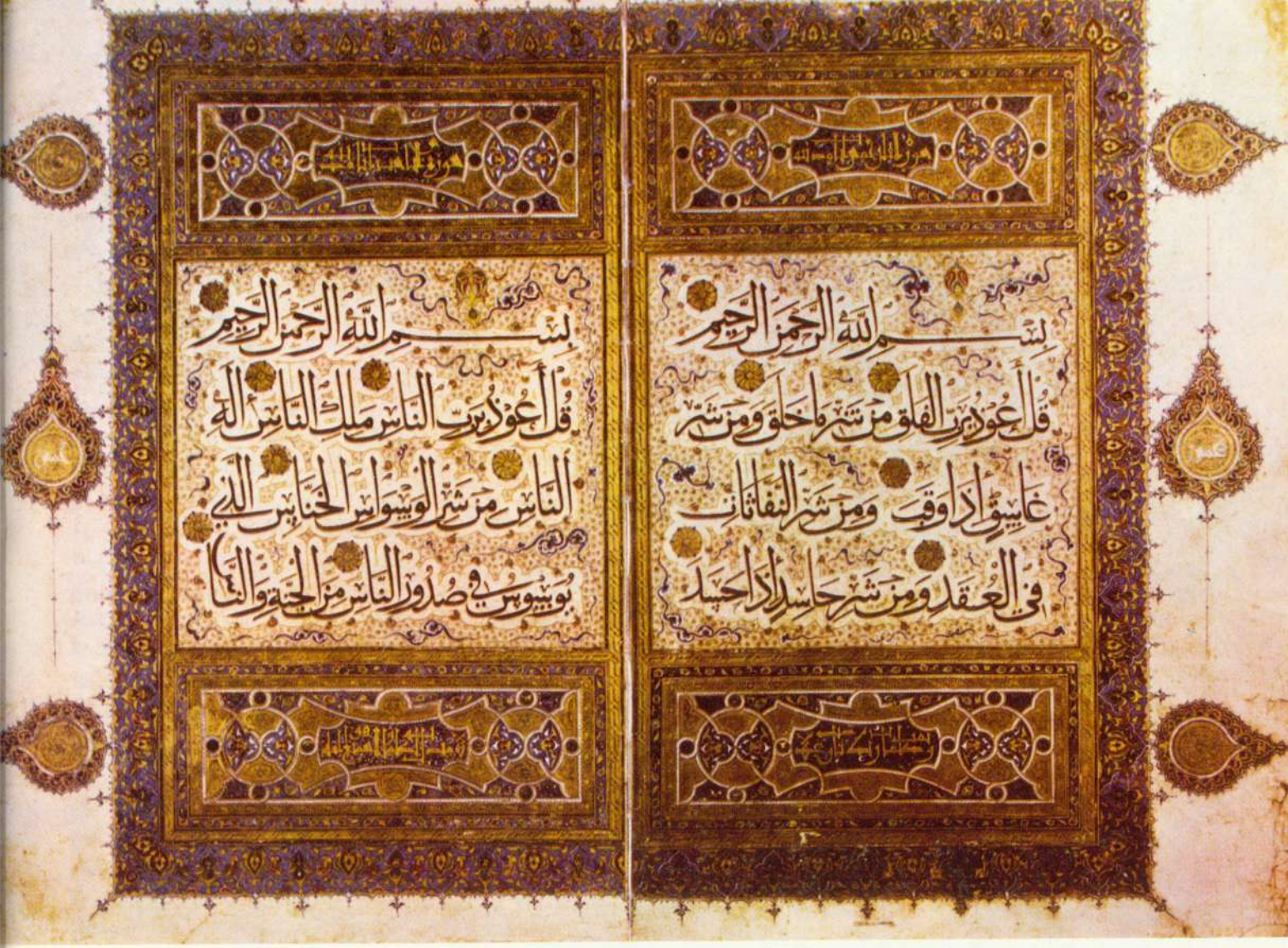
لم يكن الخطاطون المهنيون وحدهم هم الذين انشغلوا بذلك بل شاركهم فى هذه الأمور كل المسلمين والأدباء . وكما أصبحت الكتابة مظهراً دينياً رائعاً ، أصبحت مركزاً حيوياً للعقيدة الاسلامية فحملت الكتابة العربية معها تأكيداً ضمنياً للسلطة ، فكان يكتب بها الرسائل والعهود والمصالحات (٨) التى بعث بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها للاسلام ، وساهمت الكتابة العربية ، فى حفظ أحاديث الرسول وشروح رجال الفقه الاسلامى إلى العالم أجمع . واستخدمت أيضاً للمعاملات الدنيوية مثل كتابة الرسائل لمخاطبة العمال ورجال الخراج والجند والشرطة والقضاة . ثم اشتغل العرب بعد ذلك فى تدوين التاريخ وخصوصاً كتب المغازى ، وكتب التراجم ونتيجة لازدياد حركة القراءة والكتابة وانتشار التعليم ، بدأت تظهر حرفه الوراقه ، وظهرت طبقة الوراقين وبدأوا ينسخون عشرات النسخ من الرسائل وشرح كتب الوحى ، وساهم الوراقون فى حفظ التراث الاسلامى بابعاده الروحية والخلقية . وبدأت حركة الترجمة وظهور المكتبات سواء أيام الخلافة العباسية أو الأموية (٩) .

بصمات فى الفن

وتحدثنا المراجع العربية وعلى رأسها صبح الأعشى فى صناعة الانشاء (١٠) . للقلقشندى (٥٨٢ هـ) وعشرات غيره من كتب التراث العربى ، عن الكتابة وفضائلها وأنواع اقلامها وخطوطها وأشكال الحروف وطولها وعرضها وتناسقها وتناغمها . فمنها من يذكر انها هبة الله للانسان ، وانها توقيف ، ومنها من قال انها ظهرت على يد ملوك جبابرة مثل أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ، ومنها من يقول بأشياء غريبة . أما العلماء المحدثون فقد استعانوا فى دراساتهم بالنقوش العربية القديمة التى اكتشفوها مثل نقش النمارة وتاريخه ٣٢٨ م ، ونقش زبد وتاريخه ٥١٢ م ، ونقش حران وتاريخه ٥٦٨ م وغيرها من النقوش العربية القديمة (١١) .

ولقد شهدت القرون الهجرية الأولى وخاصة فى الفترة العباسية ٧٥٠ – ١٢٥٨ م انتشار الدعوة المحمدية الى الشرق والغرب لتغطى مساحة كبيرة إلى أواسط آسيا ، أزبكستان ، ايران ، أرض الفرات ، شرق تركيا ، سوريا ، شمال افريقيا ، صقلية ، جنوب ايطاليا وأسبانيا . ولقد سارت الكتابة العربية جنباً إلى جنب مع ما قدمه الاسلام إلى تلك الربوع من ذلك الاشراق الالهى الذى حملته الرسالة المحمدية من نور وايمان . فالى جانب ما تركه العرب الفاتحون فى هذه البلاد من فلسفة ودين مقدس ، فقد ترك الاسلام بصماته أيضا فى الفن .

هكذا ربط الفنان المسلم بين الوحدات الخطية والزخرفية



هذه السورة مكتوبة بالخط الرقعة وعنوانها مكتوب بالخط الكوفى

المعنى التجريدى

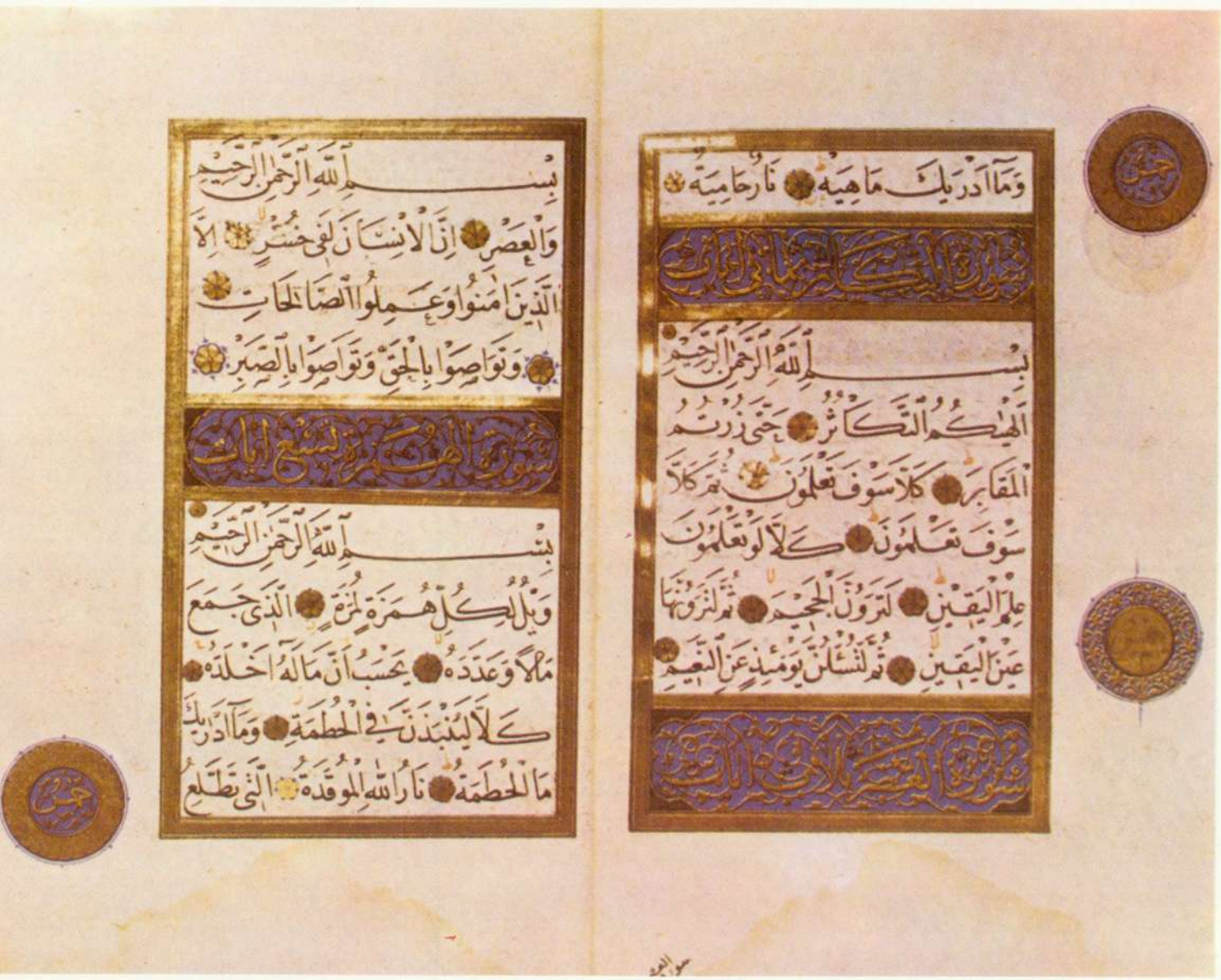
والخط العربي هو أحد الفنون الاسلامية ان لم يكن أهمها ، وهو يعتبر ذا وظيفة معينة تتضح فى النماذج الخطية والتى أثبتت براعة وذكاء الفنان المسلم وحريته فى التعبير والربط بين الوحدات الخطية والزخرفية . ومما لاشك فيه ، لقد كانت يد الفنان المسلم هى امتداد عقله ووسيلة تعبير احساساته فى فن ربطه بالدين (١٢) ، ساعد فى ذلك أن الاسلام يرفض الصور (١٣) . ومن ناحية أخرى ، طبيعة الحروف العربية وأشكالها المختلفة سواء كانت مستقيمة أو منحنية أو أفقية أو مائلة أو رأسية ، فهذه الأشكال المختلفة ومرونتها ساعدت الفنان العربى على تطويع الكتابة العربية حسب ارادته ، ووفقاً لنوع الخط الذى يكتبه ، والقلم الذى يستعمله ، والمادة التى يكتب عليها . ولذلك يمكن القول بأن الكتابة العربية تتمثل فيها صفة الحركة ، وصفة الايقاع ، بالاضافة الى ما تحمله من معنى تجريدى فى حد ذاته (١٤) .

أنواع الخط العربى

والخط العربى أنواع كثيرة منها الخط الكوفى وهو أصل الخط العربى وقد سماه البعض بخط الجزم وفسروا كلمة الجزم بأن الخط الكوفى مقتطع من الخط الحميرى أو الخط المسند (١٥). والبعض الآخر يقولون انه بالنسبة إلى أول نشأته بمدينة الكوفه . على أية حال يتميز الخط الكوفى عن غيره من الخطوط العربية لما فيه من زخرفة مضلعه ، وشدة استقامة تقوم على الزوايا والاستعمال الماهر للخطوط الهندسية (١٦) . ومن الغريب ان هذه الزوايا الهندسية التى دخلت بثقلها فى تنفيذ هذا الخط بما فيها من قواعد متميزة خاصة لم تكن تمثل عقبة فى حد ذاتها ، بل على العكس ، فانها سهلت ، بل وأعطت تأكيداً تمثلت فيه شخصية الفنان وعطاؤه الذاتى . ويتضح ذلك بصفة خاصة فى الخط الكوفى الهندسى بأنواعه المختلفة : المثلث ، والمسدس والمثمن والمستدير (١٧) .

وهناك الكوفى المورق ، اذ كان يستعمل فيه الزخرفة المستوحاة من الطبيعة ، فنجد فى هذا الخط الحروف القائمة والمستلقية على شكل سيقان تحمل وريقات نباتية مختلفة . وتعتبر النقوش الموجودة على الجامع الحاكمى أشهر الأفاريز المورقة فى مصر ، ومنها انتقلت الى فارس (١٨) .

ثم الكوفى ذو الأرضية النباتية ، وفيه تملأ الزخارف النباتية اللولبية الفراغات الموجودة حول الحروف وأحسن الأمثلة لهذا النوع من الكتابة الذى نجده فى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة (١٩) .



سورة أخرى مكتوبة بالخط النسخ وعنوانها بالخط الثلث الذى أبدع الفنان فى اتقانه

والكوفى المضفر ، وتتداخل فيه حروف الكلمة الواحدة فيما بينها أو تتداخل حروف الكلمتين المختلفتين وخاصة المتباعدتين لتكون منها اطاراً جميلا . وحروف هذا النوع من الخط صغيرة . ويوجد هذا النوع من الخط بكثرة فى جامع القيروان بالقاهرة ، وفى ضريح الخلفاء العباسيين وفى مدخل مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة .

واذا كان لابد أن نفرق بين الكتابة العربية والرسم كفن ، فان الخط الكوفى بأنواعه يمكن ان يعتبر أقرب إلى الرسم من أية نوع آخر من أنواع الكتابة العربية فهذا النوع من الخط الهندسى مليء بالسحر الخلاب .

كتابة النصوص القرآنية

لقد شهد القرن التاسع تطور الخط الكوفى أو اليابس سواء فى الشرق أو فى شمال أفريقيا . وكان كل منهم يختلف عن الآخر فى شكله ، ومن هنا اتخذت التسميات المختلفة فهناك الكوفى الفارسى ، والبغدادى ، والمغربى ، والأخيران أكثر حيوية وأكثر زخرفة من الكوفى الأصلى (٢٠) .

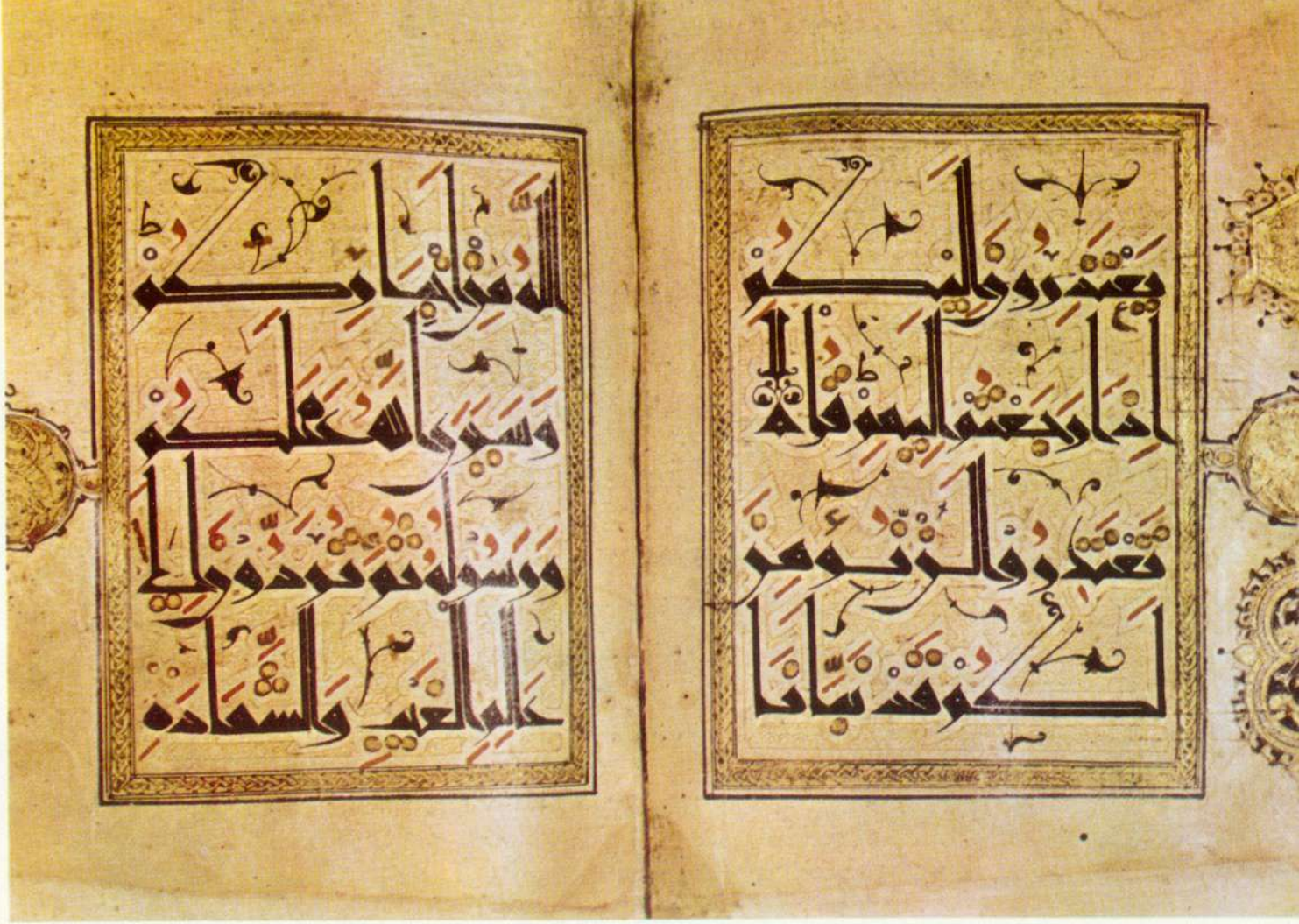
ثم حل الخط النسخى محل الخط الكوفى فى كتابة المخطوطات . والكتابة فى الخط النسخى مدورة وأقل عمودية تتماشى مع حركة اليد الطبيعية .

ولقد كثر استعمال الخط النسخى فى الفترة بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر واستعمل بصفة اكثر لكتابة نصوص القرآن الكريم ، واحتفظ بالخط الكوفى لكتابة عناوين الصور .

وهناك أنواع مختلفة من الخط النسخى انشقت منه أهمها خط الثلث وكان يستعمل أساساً فى كتابة النصوص القرآنية ، إلى جانب استعماله فى الدواوين « وفيه عدة أقلام مرجعها الى أصلين : وهما التقوير والبسط . فالمقور هو المعبر عنه الآن باللين وهو الذى تكون عرقاته وما فى معناها منخسفه منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما . والمبسوط وهو المعبر عنه الآن باليابس وهو مالا انخساف وانحطاط فيه كالمحقق » (٢١) .

لقد ظهر فى ايران فى القرن الثالث عشر خط التعليق على يد الخطاط الفارسى مير على وقدم خطاً آخر بين خط التعليق والخط النسخى سمي بخط النستعليق واستعمل بالذات فى كتابة الشاهنامه ، وفى كتابة أشعار نظامى وغيره من شعراء الفرس المشهورين . وبالرغم من أنه خط مدور ، فان خط النستعليق يمتاز بالوضوح وبالثبات ولذلك ساد أسلوبه معظم المخطوطات الفارسية الصغيرة .

لقد كان ابن مقلة (٨٨٦ ـ ٩٤٠ م) من الشخصيات الفنية التى لعبت دوراً



الخط الكوفى المورق .. كان يستعمل فيه الزخرفة المستوحاة من الطبيعة

الخط الكوفى الذى يعتبر أصل الخط العربى ، ويتميز عن غيره بما فيه من زخرفة مضلعة

كبيراً فى تطوير الخط العربى وأرسى دعائمه على أساسيات ثابته . لقد تبنى ابن مقله خصائص هذه الأساسيات الهندسية فى الخط العربى . وبالرغم من معاناة شخصية فى حياته الخاصة فانه قد خصص كل حياته لفن الكتابة العربية .

ولقد كان الخط العربى المنمق طريقاً إلى المناصب الحكومية يدفع صاحبه للمجد الوظيفى . فقد حدث هذا لابن مقلة وبدأ حياته الوظيفية فى سن مبكر وتدرج فى الوظائف الحكومية حتى شغل منصب وزير لثلاث مرات فى عهد الخلافة العباسية فى بغداد . ولكن العمل السياسى يدور فى بعض الأحيان على صراعات ، ولسوء حظه انه وقع فى هذه التيارات السياسية . وكان فى أغلب الأحيان غير ناجح أو موفق . وانتهت به الحال لأن يخلع فى سنة ٩٣٦ م وأن يسجن وأن تؤمم ممتلكاته وان تقطع يده اليمنى وسيلته الوحيدة فى فنه كعقاب صارم لتشل حركته ، وبعدها مات فى سنة ٩٤٠ م (٢٢) .

لقد أصبحت الكتابة العربية على يديه كما لو كانت قرصاً هندسياً نسج خيوطه النحل . هذا بالرغم من أن هناك من يعارض ان ابن مقلة هو الذى ابتدع الخط النسخى والأساليب الأخرى الستة فى فن الكتابة العربية . وعلى العكس ، لقد اعطى ابن مقله كل الاصلاحات ، وأدخل عليه كل التطورات الثابتة للقياس والمؤثرات الرياضية ووضع تقنينات قياسية لكل الحروف العربية ، فمثلا كانت النقطة التى تشبه العين والتى يتركها القلم الغاب على رأس حرف الألف لها قياس معين : معها فى بعض الألفات بمقدار ثلاث نقط فى الارتفاع وفى البعض الآخر بمقدار خمس نقط وأحياناً سبع . ثم انه أعطى للحروف قواعد هندسية موزونة فى تناغم السلم الموسيقى تلعبه فى براعة يد الفنان المسلم المرهف الحساسية .

مدرسة الأناقة والتناغم

وجاء بعد ذلك ابن البواب فأسس أيضاً مدرسة فى الخط العربى واستمر أثرها لمدة طويلة . ولقد نسب اليه اختراع خط المحقق والريحانى (٢٣) .

ولقد كان له تحقيقات رئيسية فى وضع وتوسيع أساسيات النظام الخطى الذى وضعه من قبل ابن مقلة وزاد فى أن مدرسته كانت مشهورة باناقة خطها وتناغم حروفها . وتوفى ابن البواب فى سنة ١٠٢٢ م .

والشخصية الفنانة الثالثة هو ياقوت المستعصمى فى القرن ١٣ (٢٤) . لقد تبنى ياقوت نظام ابن مقلة الهندسى ونظام ابن البواب الرياضى وان كان ابن البواب قد غير قليلا من النظريات الرياضية . ولقد استطاع ابن البواب ان يكتب فى حرية وفقاً لما تعطيه وتقدمه الحروف العربية التى يستعملها ، ويتضح ذلك فى براعته الفائقة فى كتابة الخط النسخى . ولعل ميزة الخط النسخى فى أنه كان يقابل احتياجات الانسان فى الحصول على احجام مختلفة كبيرة أو صغيرة تحمل النصوص القرآنية الكريمة والتى يريدها





آيات من القرآن الكريم مكتوبة بالخط النسخى المغربى وسط زخرف من الفن الاسلامى الجميل

هكذا ساهم الخط العربي في إحياء العقيدة والتراث

وفقا للحجم الذى يبتغيه .

على اية حال ، لقد كانت شخصية ابن مقلة كالشخصيات البطولية لما قدمه للخط العربى الأنيق وما أرساه من قواعد اساسية ثابتة ، ولقد تبعه ابن البواب فى تأثيراته ، ثم المستعصمى. ويعتبر هؤلاء الثلاثة ائمة الخط العربى الذين اتخذوا الدور الأسطورى الذى قامت عليه مدارس الخطوط الحديثة فى العالم العربى والاسلامى .

ولقد كان تلاميذ هؤلاء النجوم فى الخط العربى يتكسبون من أعمال أخرى فلم تكن حرفة الكتابة العربية مصدر رزقهم الوحيد الا فى حالات نادرة مثل الذين كانوا يقومون بعملية نسخ الكتب ويعملون فى الوراقة نتيجة لحركة التاليف والترجمة التى ظهرت مع اوائل العصر العباسى على أيدى العناصر الفارسية التى أثرت الأدب العربى ، ونتيجة لتصنيع الورق فى بغداد وسهولة الحصول عليه (٢٥) .

لقد لعب الخطاطون العرب دوراً كبيراً فى الفنون الاسلامية الأخرى ، فلم يكن فنهم منعكساً فقط فى المواد الكتابية التقليدية كالمخطوطات والرق والبردى والورق ، بل ظهر منه الكتابة العربية أيضاً على الأماكن المرئية للعيان فى ترحال الناس وغدواتهم . وكانت بيوت الله التى يؤمها المسلمون للصلاة أهمها . فقد أضفت الفنون الكتابية العربية المنقوشة على المساجد روعة وأناقة . وبرع الفنان المسلم فى اظهار قدراته حيث نالت الكتابات الدينية المنقوشة على هذه المساجد اعجاب الذين يؤمونها للصلاة . وقد خدمت هذه النقوش فى أن أصبح لها وظيفة رمزية تؤكد قوة الاسلام وروحانيته (٢٦) . لقد كانت تلك الوظيفة الرمزية هى الجانب الاجتماعى للفن العربى مؤكداً قدراته على اضفاء الهندسة الفنية الى جانب العطاء الروحى الذى يقدمه الاسلام لراحة النفوس والدعوة الى الشفافية الخالصة والطهر العفيف .

فوزى تادرس

المراجع

1. Alexandre Papadopoulo : **Islam and Muslim Art**/ trans by Robert Erich Wolf. London : Thames and Hudson, 1980, P. 135.

٢ ـ صلاح الدين المنجد : دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته الى نهاية العصر الأموى . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ ، ص ١٠ .

٣ ـ القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء : القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد (د.ت) جـ ٣ ص ١٩ ـ ٤٢ .

4. Anthony Welch : **Calligraphy in the Arts of the** Muslims World. Folkestone Kent : Dowson, 1979, P. 19.

5. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 25.

6. Martin Lings : **The Quranic Art of Calligraphy and Illumination**. England : World of Islam Festival Trust, 1976, P. 11-14.

٧ ـ القران الكريم : سورة الفلق ، اية ١ ـ ٥ .

٨ ـ المنجـد ، : دراسات ، ص ٢٣ .

9. Papadopoulo, A. : **Islam**, P. 48-49.

١٠ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ١٠ ـ ٧٥ .

١١ ـ سهيله الجبورى : أصل الخط العربى وتطوره حتى نهاية العصر الأموى . بغداد : مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٧ ، ص ٥٣ .

12. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 33.

13. Papadopoula, A. : **Islam**, P. 35-40.

14. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 31.

١٥ ـ الجبورى ، س : الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية فى العراق . بغداد مطبعة الأديب ، ١٩٧٨ ص ٣٨ .

16. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 60-65.

17. Lings, M. : **The Quranic Art**, P. 15-18.

18. Adolf Grohmann, "The Origin and Early Development of Floriated Kufi", **Arts Orientails** 2 (1957) : P. 183-214.

١٩ ـ محمود عباس حموده : دراسات فى علم الكتابة العربية القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨١ ، ص ٨٢ ـ ٩٢ .

20. Claude Humbert : **Islamic Ornamental Design**. New York : Hastings House Publishers, 1980, P. 33-41.

٢١ ـ القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٥ ـ ٤٠ .

22. Nabia Abbott, "The Contribution of Ibn Mukla to The North Arabic Script", **American Journal of Semitic Languages and Literatures** 56 (1939) : P. 70-84.

23. David Storm Rice : **The Unique Ibn al-Bawwab Manuscript in the Chester Beatty Library**. Dublin, 1955, P. 60-65.

24. Ibn Hassan al-Tibi Muhammad : **The Kinds of Arabic Calligraphy According to The Method of Ibn al-Bawwab**, ed. by Salah al-Din al-Munajjid. Beirut, 1962, P. 25-40.

٢٥ ـ ابن خلدون : المقدمة . بيروت : مطبعة دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٥٦ ، ص ٩٦٢ .

26. Welch, A. : **Calligraphy**, P. 31.

لقطات من الكون المثير

«حقيبة» بها وديعة حياة !



(أ)

من علقها ؟ .. هل تعرفها ؟ .. ثم ماذا تحوى بداخلها ؟

لو عشت معها فى عالمها ، فسوف تعرف الجواب بعد ١٢ يوماً بالتمام والكمال ، وعندئذ سوف تنشق هذه الحقيبة (أ) عن فراشة جميلة تراها هنا (ب) وهى تقف على زهور نوع من أنواع النبات .

والواقع ان الذى جهز هذه الحقيبة وعلقها على فرع النبات دودة أو يرقة ذات ألوان زاهية كذلك (ج) .. والحقيبة ليست فى حقيقة الأمر إلا الشرنقة التى صنعتها الدودة الملونة لتسكن بداخلها ، وكأنما هى ـ أى الدودة ـ قد تحولت إلى مومياء ، لكنها على أية حال مومياء حية ، وفى داخل الشرنقة تتحول إلى طور العذراء أو الخادرة ، وفيها تتطور العذراء إلى فراشة يافعة تختلف فى التفاصيل عن الدودة التى منها قد جاءت ، وعندما تخرج الفراشة إلى الحياة تتلقح وتضع بويضاتها ، لتفقس وتعطى ديدانا ، فخادرات ، ففراشات ، ثم تتكرر القصة الأزلية كما تكررت قبل ذلك ملايين المرات ، أو عبر مئات الملايين من السنين .

إنه عالم غريب ، يمر بأطوار أكثر غرابة ، حتى لكأنما نحن نرى فيه قصة الموت والبعث بين طور وطور ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(ب)



(ج)



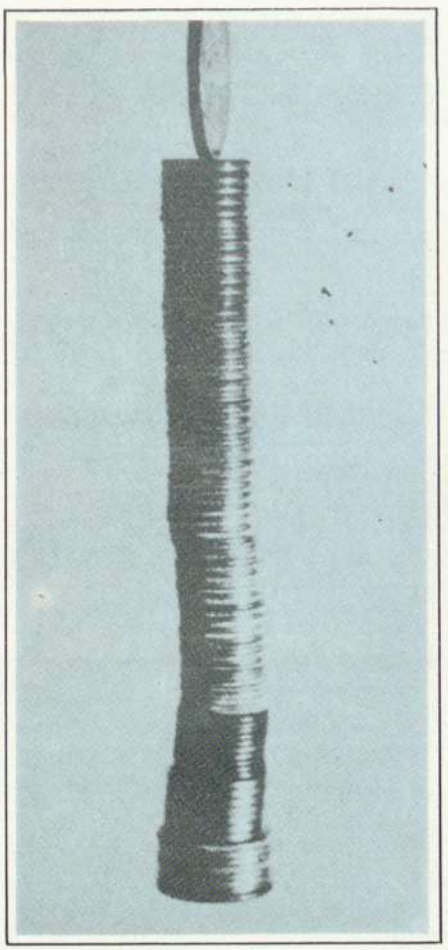
جنون .. أم فنون ؟ !

هذه الصورة الفريدة توضح « طابوراً » قائماً من عملة معدنية تراصت قطعة من فوق قطعة حتى وصل عددها إلى ١٣٠ قطعة ترتكز على حافة دولار أمريكى ، وكما تراها هنا .

ولقد استمر المدعو أليكس شيرفنسكى من لوك هافن بولاية بنسلفانيا يتدرب على هذه اللعبة ٢٦ عاماً ، علّه يحقق هذا الرقم القياسى ، فحققه فى عام ١٩٧٤ ، ورغم أن هذه التسلية الغريبة تحتاج إلى صبر ودقة وحساسية بالغة فى التوازن ، إلا أنها قد تدعونا إلى تساؤل : لماذا ضيع الرجل عمره ومجهوده فى هذا العمل الذى ليس من ورائه طائل ؟ .. والجواب عند اليكس الذى يقول :

إن أحداً فى العالم لن يستطيع تحقيق ما حققته !

على أية حال : إن بعض الفنون جنون !



تنسيق زهرى .. ولكن !

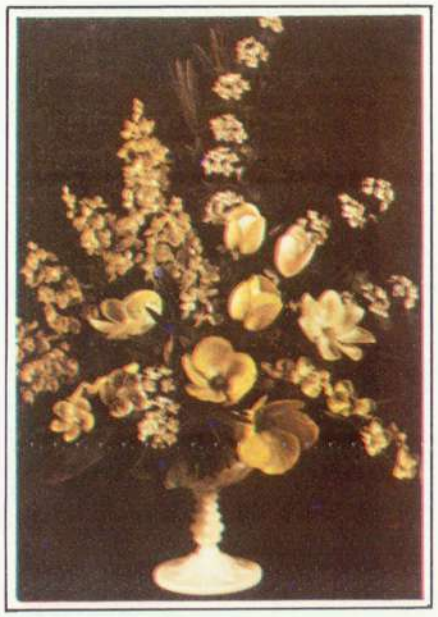
دقق النظر جيداً ، لأن هذه الزهريات المنسقة تنطوى على خدعة فالزهور التى تراها هنا ليست زهوراً طبيعية ولا صناعية ، ولا هى تمت لها بصلة تذكر ، اللهم إلا من حيث الشكل والتنسيق فقط .

هل عرفتها ؟

الواقع أننا أمام تنسيق بديع من صنع الله أولا ، ثم من صنع الانسان بعد ذلك .. فهذه الزهور ليست إلا أصدافا وقواقع طبيعية ، ولقد جذبت لجمالها أنظار الانسان الفنان ، فكان أن نسق بينها ، ووضع الصدفة بجوار الصدفة ، فجاءت على هيئة ورود وزهور متراصة بجمال وفن يجذب عقول العاشقين للفن والجمال .

ثم ألا ترى معنا أن الانسان الذى صنع ونسق هذه الزهريات الصدفية ، كان أكثر جدية وواقعية من الانسان الذى ضيع من عمره ٢٦ عاماً ليرص قطع النقود التى تراها منشورة هنا ضمن صور عالم غريب ؟

إنه على أية حال عالم عجيب يحوى من المتناقضات ما يحملنا على التأمل والتفكير فى كل ما نرى ، وما لا نرى !





رسالة لندن من
مجدي نصيف



أوديسا الفضاء

اسطورة العلماء تتحقق بسفينة تدور على كواكب المجموعة الشمسية



أربع شاشات تليفزيونية ضخمة تستقبل الصور التى بثها فويجر (١) من كوكب زحل وذلك فى مختبر اطلاق الصواريخ

وقف المشتغلون بمعمل أبحاث الفضاء بباسودينا ، يتابعون فى اعجاب الصور التى ترسل من على بعد مئات الأميال، ترسلها سفينة فضاء أوتوماتيكية لا يزيد حجمها على حجم سيارة . كانت الصور تتابع على شاشات التليفزيون العملاقة ، وسفينة الفضاء تستكمل المرحلة المرسومة لها من رحلتها الملحمية ، التى تسبق فى واقعها أفلام المسلسلات التليفزيونية لمغامرات الفضاء .

مرت سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فويجر » بجانب الكوكب « زحل » الهائل الضخامة ، ذى الحلقات المشهورة وثانى أكبر الكواكب فى المجموعة الشمسية بعد كوكب المشترى فأرسلت أفضل وأوضح صور حتى الآن لذلك العالم الغريب المليء بالأعاجيب .

صور لملكوت بعيد المنتهي فى المجموعة الشمسية ، لم تشاهد عين بشر من قبل صوراً بهذا الوضوح والبريق . لذلك علق أحد العلماء وهو يراقب شاشات التليفزيون الضخمة :

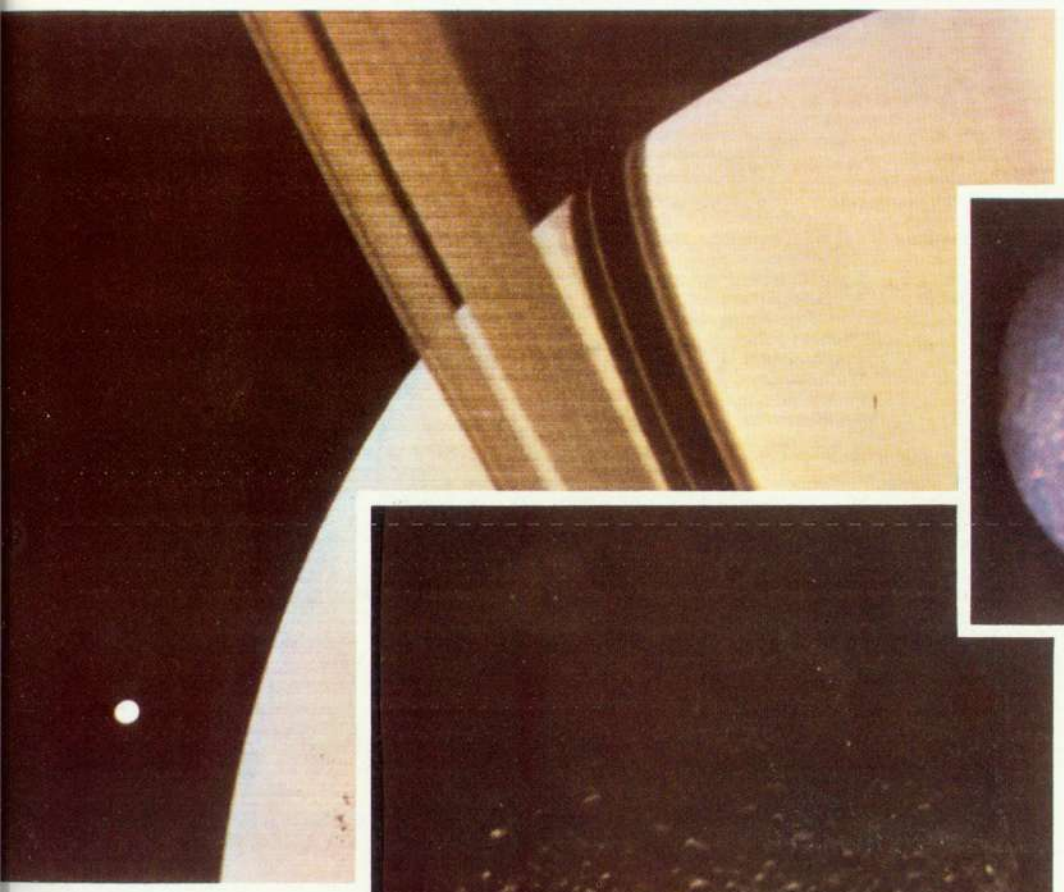
« لقد علمنا عن نظام الكوكب زحل فى أسبوع واحد ، أضعاف أضعاف ما عرف عنه فى تاريخ الانسانية المدون كله » .

وبالفعل ، لقد ازداد ما نعرفه عن الكوكب زحل خلال السنوات العشر الماضية ، قدر ما كنا نعرفه عن الكوكب منذ القرن السابع عشر الميلادى . فقد جمعت سفينتا الفضاء « فويجر الأولى » و « فويجر الثانية » اللتان مرتا بالقرب من الكوكب ، من المعلومات ما يقدر بآلاف أضعاف ما جمعته البشرية عنه طوال حياتها على الكرة الأرضية .

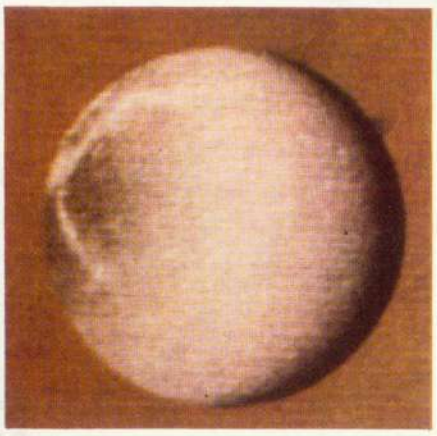
جاليليو كان الأول

مرت « فويجر الثانية » بالقرب من زحل وأخذت ترسل صوره يوم الأربعاء ٢٦ أغسطس عام ١٩٨١م ، لكن جاليليو كان أول من نظر إلى زحل من خلال المنظار الذى اخترعه عام ١٦١٠م . ثم تلاه كريستيان هوجنز عام ١٦٥٥ أول من حدد وجود « تيتان » أكبر أقمار « زحل » . ثم ج . كاسيني أول من تحقق من أن حلقات « زحل » الشهيرة ليست كتلة واحدة صماء من المادة ، وإنما بينها فراغات ، واكتشف فى نفس الوقت ثلاثة أقمار أخرى للكوكب . وكان هذا عام ١٦٧٥ .

وكان هذا التقدم الذى تحقق خلال الستين عاماً ، يرجع الى اختراع المنظار الفلكي الذى ظل يتطور ويكبر ، وتنمو معه المعرفة البشرية بالكون . لكن علماء الفلك ظلوا مع ذلك محصورين فى نفس الاطار البحثى العلمي طوال هذه القرون الثلاثة .... حتى الأسبوع الأخير من شهر أغسطس ١٩٨١م ، عندما «نظرت» سفينة الفضاء الأوتوماتيكية إلى الكوكب زحل وأقماره ، بمنظار عن قرب أكثر من أي منظار آخر نظر به العلماء إلى الكوكب ، ومن على بعد بليون من الأميال







ثلاثة من أقمار كوكب زحل الخمسة عشرة المعروفة .. وهى : انسلادوس (قطره ٣٢٠ ميلا) ، ميماس (قطره ٢٢٠ميلا) ، وديون (قطره ٧٥٠ ميلا)

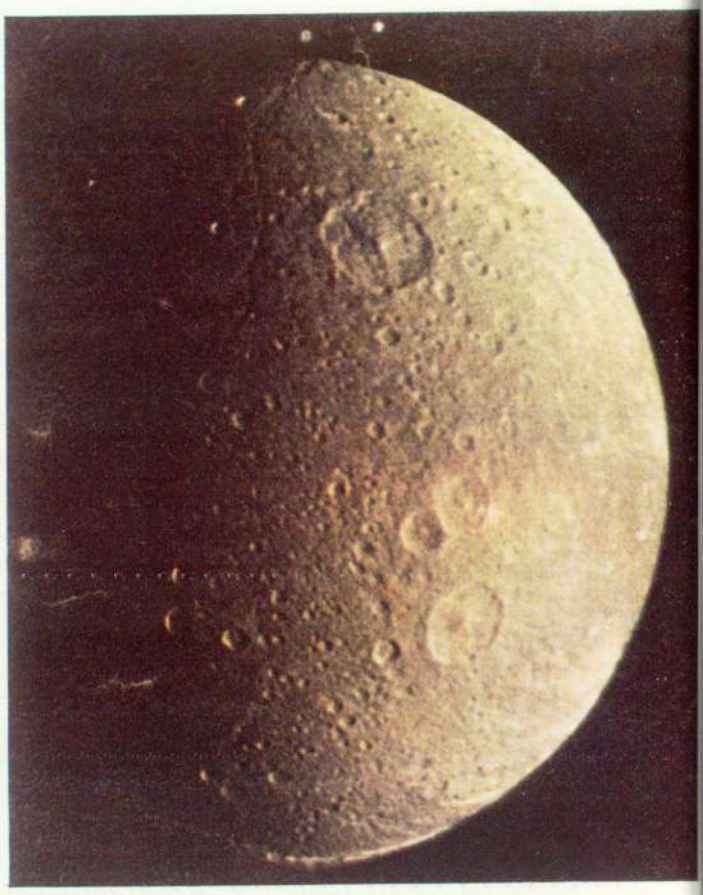
عـن الأرض ، أخذت السفينة ترسـل اشاراتها ، فالتقطتها رادارات كاليفورنيا لتحولها الى صور رائعة للكوكب وأقماره

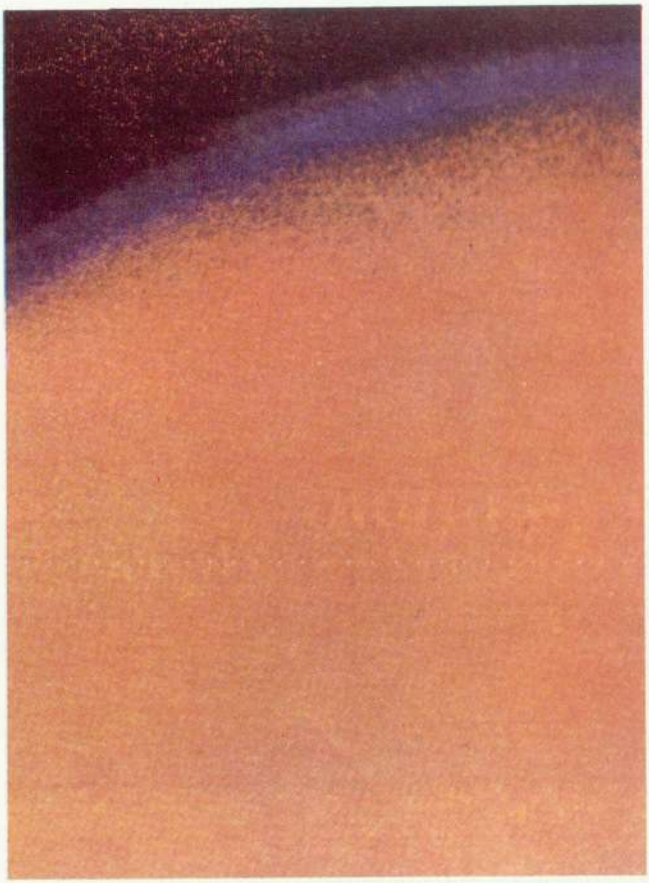
وقدمت السفينة العديد من المعلومات الجديدة التى ستجعل علماء الفلك مشغولين لعدة سنوات بالدراسة : لقد أظهرت الصور آلاف « الحلقات » التى تدور حول الكوكب ، ليست تلك الحلقات المعدودة التى يراها العلماء بالمناظير من على الأرض . وأظهرت الصور كذلك العديد من التفصيلات الفنية لتلك الحلقات ، وبشكل لم يتوقعه العلماء ، خاصة وأن التفصيلات التى أرسلت تبين كل شيء ، وكأن العلماء لا يبعدون عن الكوكب بأكثر من مائة متر .

فوياجر الأولى

وحتى نتصور رحلة الأوديسة الفضائية ، علينا أن نقدم المسافات التى تقطعها « فوياجر » خلال المجموعة الشمسية التى تتكون من الشمس أساساً ـ فى المنتصف ، وتدور حولها الكواكب التسعة ـ وربما كانت عشرة إذا ما أثبت العلم أن هناك كوكباً بعد بلوتو ـ بتوابعها الاثنين والثلاثين ، ثم هناك أجسام أخرى معروفة يصل عددها ١٧٠٠ حجمها فوق الكيلومتر ، وكان يطلق عليها من قبل اسم النجيمات ، لكن العلماء يفضلون أن يطلق عليها الآن اسم الكويكبات ، ويقدر أن هناك ٤٠ ألفاً أو يزيد من النيازك والشهب .

والكواكب التسعة نفسها تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الأرضية وتضم أربعة كواكب قريبة الشبه من الأرض حجماً وهي عطارد والزهرة والمريخ (والأرض بطبيعة الحال) وهي أيضاً الأقرب إلى الشمس . ثم هناك الكواكب العملاقة التي تضم المشتري وزحل وأورانوس ونبتون وكلها يصل حجمها إلى حجم الأرض مابين ١٥٪ إلى ٣١٨ مرة وإن كانت لا تمتلك أكثر من ٢٠٪ من كثافة الكواكب الأرضية . لذا يعتقد العلماء أنها تتكون أساساً من غازات وعناصر خفيفة مثل الأيدروجين





القمر (ديون) التابع لكوكب زحل وهو أصغر من أن يكون له جوا ، مما سهل على النيازك مهمة حفر سطحه عند سقوطها .. واللقطة الثانية لثانى أكبر الأقمار فى المجموعة الشمسية (تيتان) وقطره (٣٠٠٠ ميل)

والهليوم التى قد تتحول إلى حالة صلبة – وربما معدنية – فى عمق الكواكب العملاقة .

والكوكب زحل هو سادس كوكب فى الترتيب من ناحية المسافة إلى الشمس ، فهناك قبله الكواكب الأرضية الأربعة، ثم المشتري من الكواكب العملاقة ، وعندما يكون أقرب الى الأرض فى مداره الأهليلجي تكون المسافة ٧٤٠ مليون ميلا، ويضل كتلته إلى ٩٥,١٤ مرة قدر الأرض أما حجمه فهو ضعف حجم الأرض ٧٤٣,٧ مرة .

لكن الشيء الفريد فى المجموعة الشمسية بالنسبة لزحل هو حلقاته الغامضة والتى لم يصل العلماء منذ اكتشفها جاليليو إلى تفسير منطقي لوجودها . وزحل له عشر توابع أو أقمار أكبرها وأكثرها بريقاً القمر تيتان الذى اكتشفه هيجنيس عام ١٦٥٥ ، وآخر أقماره التى اكتشفت هو جانوس عام ١٩٦٦م .

هذا هو العالم الغامض الذى ألقى على عاتق سفينة الفضاء الأوتوماتيكية « فويلجر الأولى » و « فويلجر الثانية » اكتشافه . وتحت قيادة العقول الالكترونية مرت « فويلجر الأولى » بجانب القمر تيتان مقتربة إلى مسافة ٢٥٠٠ ميلا من سطحه المجعد . وبدأت سرعتها فى الازدياد عند وقوعها تحت تاثير جاذبية مجموعة زحل الكوكبية ، ثم مرقت إلى أسفل متجهة إلى الحافة الخارجية لحلقات الكوكب ، مثيرة دوامة من البقايا الكونية المتناثرة .

الصورة الصفراء

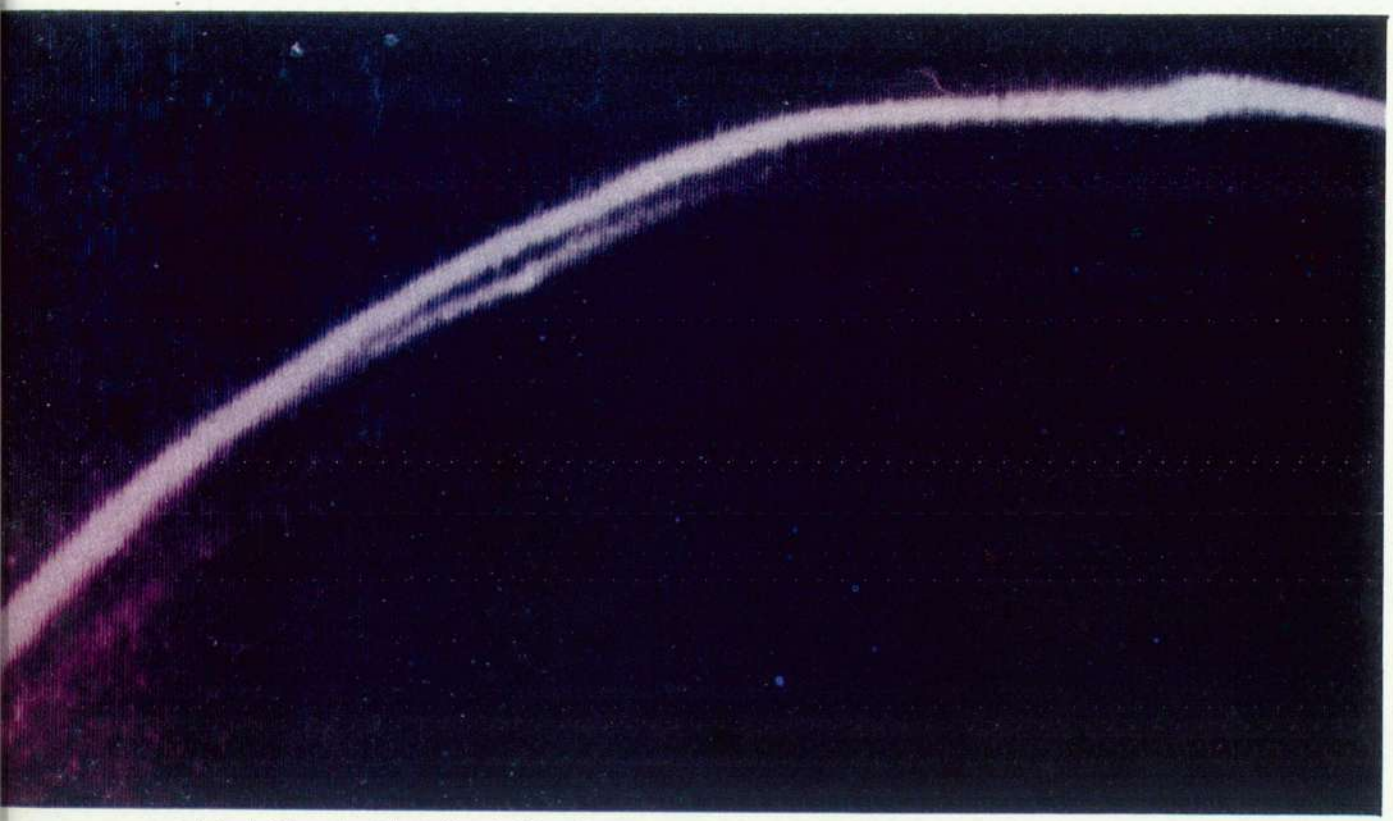
فى الأسبوع الثاني من نوفمبر ١٩٨٠م بدأت السفينة الأوتوماتيكية « فويلجر الأولى » تأخذ دورة واسعة على شكل قوس ، عندما وصلت سرعتها إلى الحد الأقصى ٥٦,٦٠٠ ميلا فى الساعة ، لتصبح على بعد ٧٧,٢٠٠ ميلا من السحب التى تغلف الكوكب زحل ، وهذه كانت أقرب نقطة إلى الكوكب فى مسار السفينة .

فى هذه الأثناء كانت كاميرات السفينة التليفزيونية تعمل وحدها ، وتومض وكأن لها حياة مستقلة .

كان الكوكب زحل يبدو ضخماً لامعاً فى أعين الآلة الالكترونية ، ولم تكن هناك فرصة للكاميرات إلا التقاط صور لأجزاء من الكوكب بسبب ضخامة الصورة . وقامت السفينة الأوتوماتيكية بتنفيذ مناوراتها بدقة بالغة ، حيث وصلت نسبة انحراف مسارها فى نهاية المطاف اثني عشر ميلا فقط .

ثم بدت « فويلجر الأولى » تصعد مرة أخرى عابرة خارج حلقات الكوكب ، ملتقطة صوراً خلفية ، متجهة خارج نظام المجموعة الشمسية ، إلى الفضاء اللانهائي بين النجوم .

وقبل أوديسا الفضاء هذه ، التى قامت بها فويلجر ، كان الكوكب زحل غير معروف نسبياً . انه كوكب يتكون من كرة غازية بالغة الضخامة ، ومعظم مكوناته من الأيدروجين والهليوم ، ويمكن أن



هذه الصورة أذهلت العلماء .. وهى تخالف ما عرفناه وفق نظرية الجاذبية .. فاللقطة هنا لا تظهر هالة ضوئية عامرة بالعقد والتعرجات ، ولكنها بيضاوية خالية من التعاريج

يحتوى ٨١٥ كوكباً ، يماثل حجم الأرض . وحتى عندما استخدم العلماء أقوى المناظير وأكثرها دقة ، لم يروا من زحل غير صورة صفراء ذات حلقات . والآن بسبب الرحلة الفضائية ، أصبح الكوكب معروفاً أكثر بغرائبه ومفاجآته وغموضه

الحلقات الشهيرة

بعد أول دراسة ـ خاطفة ـ لفيض المعلومات التى أرسلتها « فوياجر الأولى » عن زحل ، دهش العلماء لهذه الاكتشافات المتتابعة التى قدمتها السفينة . كان كثير منها خاص بحلقات زحل الشهيرة ، والتى كان يعتقد أنها فريدة من نوعها ، حتى جاءت بعض الاكتشافات المماثلة لملامح متواجدة حول الكوكب أورانوس والمشتري .

قبل زيارة « فوياجر » ، كان المعتقد وجود ست حلقات بينها فواصل . لكن عرف الآن أن هناك حوالي الألف من هذه الحلقات ، وأن ما يعرف بالفواصل أو الفراغات قد تحتوي كل منها على عشرات من الحلقات الصغيرة . أما تيتان أكبر أقمار زحل ، بل والمجموعة الشمسية ، فمن الواضح أنه مغلف بجو كثيف من الأبخرة النيتروجينية وليس الميثان ، كما كان يعتقد من قبل . وقد يكون سطحه مغموراً فى بحر بارد من النيتروجين السائل .

أما الأقمار الأخرى ، والتى لم تكن غير مجرد نقط مضيئة على المناظير الأرضية فقد زاد عددها بعد رحلة «فوياجر» لتصل إلى خمسة عشر من الكتل الأرضية والثلجية ، ربما يعود عمرها إلى نشأة المجموعة الشمسية ذاتها ، منذ ٤,٦ بليوناً من السنوات . وفوق ذلك بدت هذه الأقمار واضحة ومختلفة ، تحمل الآثار والتشويهات الناجمة عن ارتطام آلاف النيازك والشهب وربما المذنبات أيضاً ، إلى جانب الشقوق والفوالق الناجمة عن الزلازل .

وبـاي المقاييس فان هذه « الأودية الفضائية » لفوياجر الأولى والثانية ، هي انجاز تكنولوجي هائل ، وهي مثال مذهل على امكانية برمجة العقول الالكترونية كي تعمل بصورة تلقائية ، وبدون تدخل من مراقبى المعامل الأرضية عن طريق الاشارات اللاسلكية . فوصول الاشارات التى نقلت المعلومات استغرق ساعة ونصف قبل أن تصل الى الأرض . ولذا فان فوياجر صممت بحيث تتمكن من اصلاح اعطابها ، ومن تصحيح الأخطاء الملاحية التى تقع فى مسارها ، لأن انتظار الاشارات والأوامر من الأرض يستغرق وقتاً طويلا .

وباستكمال استطلاع الكوكب زحل ، يكون العلماء قد أكملوا استكشاف جميع الكواكب ، التى عرفها الأقدمون بالعين المجردة قبل اختراع المنظار ، لكن الاستكشاف هذه المرة كان عن قرب كبير .

فخلال العقد الماضى تمكنت سفن الفضاء الأوتوماتيكية من القاء أول نظرة « قريبة » على سطح الكوكب عطارد الجاف المليء بالحفر . وعطارد هو أقرب كواكب المجموعة للشمس . وتطلع العلماء باستخدام الكاميرات والرادارات إلى كوكب الزهرة المغطى بالسحب ، وجوه يشبه الجحيم حيث تصل درجة حرارته إلى ٤٨٠ درجة مئوية (أو ٩٠٠ درجة فهرنهايت) ويتكون من غازات ثاني أكسيد الكربون ، كثيفة خانقة . ثم بحث العلماء كوكب المريخ واضعين



عاصفة فوق زحل فى خط عرض ٥٥ . والصورة تبرز منطقة من الغازات المتلاطمة المتصاعدة

نهاية لأسطورة وجود القنوات المائية عليه ، وهبطت سفينتان آليتان لتحليل عينات من تربة المريخ لاقتفاء أثر أي وجود بيولوجي .

ثم وصلت سفن الفضاء الأوتوماتيكية إلى أبعد من هذا ، إلى كوكب المشتري أضخم كواكب المجموعة الشمسية ، ووصلت منه إلى الأرض صور رائعة الألوان لجوه الخلاب ، ولأقماره العديدة ومنها القمر « أيو » الصغير الذى فاجأته الكاميرات وسط ثورة بركانية .

الحل فى بطارية نووية

جاءت رحلة فويجر الاستكشافية نتيجة جهود اعداد استمرت أكثر من عشر سنوات. وجاءت الفكرة الأصلية من حدث فلكى كان العلماء ينوقعون حدوثه فى نهاية السبعينات ، وهو حدث يتكرر مرة كل ١٧٥ عاماً ، أثناء دوران الكواكب البطيء حول الشمس ؛ عندما تصطف الكواكب الدائرة فى المسارات الخارجية وهى المشتري وزحل وأورانوس وبنتون ، فى صف واحد .



سر الهالات المشعة حول زحل .. وتبدو بها النقاط السوداء التى تدور حول الكوكب

وعندما قام العلماء بعمل حساباتهم ، اكتشفوا أن هذه فرصة ذهبية لاستخدام قوة جاذبية الكواكب ، بحيث تتمكن سفينة الفضاء المنطلقة من الأرض بشكل دقيق محسوب ، من الانتقال من كوكب الى آخر من هذه الكواكب .

وفى أواخر السبعينات قرر علماء «وكالة الفضاء الأمريكية» (الناسا) استغلال هذه الظاهرة ، للبدء فى الرحلة العظيمة : «أوديسة الفضاء» وهى زيارة تقوم بها سفينة فضاء أوتوماتيكية لكل هذه الكواكب قبل نهاية الثمانينات .

وتطلب المشروع تصنيع معدات الكترونية يمكنها مقاومة الصقيع والجو القاسى لمدة اثنى عشر عاماً . وفى نفس الوقت لم يكن من الممكن الاعتماد على الطاقة الشمسية ، لأن السفينة تسير فى الاتجاه المعاكس . وجاء الحل فى بطارية نووية تحول الحرارة الناجمة عن تفتت البلوتونيوم المشع الى طاقة كهربائية .

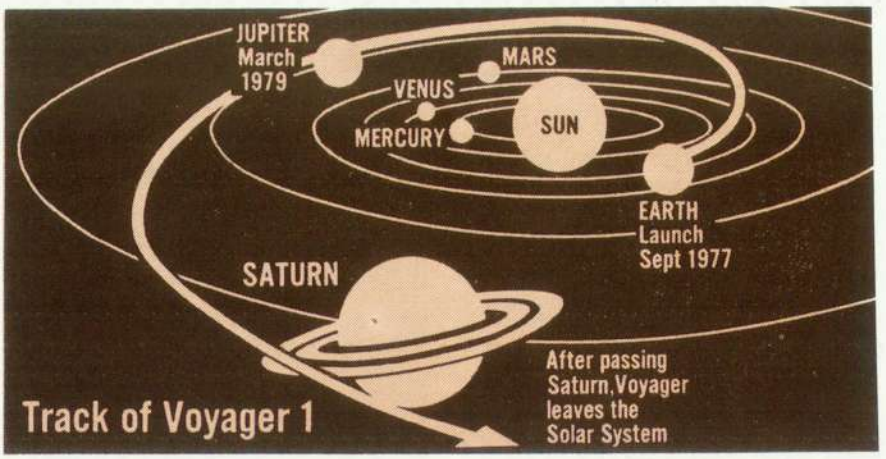
وكان لابد من تصميم السفينة بحيث يمكنها أن تصحح مسارها بنفسها بدون الاعتماد على توجيه من المراكز الأرضية لأن المسافة بعيدة لدرجة أنه اذا سارت الاشارة من الأرض بسرعة الضوء ، فهى لن تصل الى كوكب أورانوس مثلا ، حيث السفينة ، إلا بعد ساعتين . ومن ثم تم تصميم «عقل الكترونى» خاص للسفينة يمكنه مراقبة المسار وتصحيح ما يحدث فيه من أخطاء وبسبب التخفيض فى الميزانية عام ١٩٧٢ ، اقتصرت «الرحلة العظيمة» على استكشاف اثنين من الكواكب العملاقة فقط هما : المشترى وزحل .

وعندما وصلت «فويجر الأولى» الى زحل ، كانت هناك عشرة أجهزة علمية تعمل فى نفس الوقت ، ابتداء من «الأجهزة الباحثة عن الأشعة الكونية» الى «أجهزة قياس المجال المغنطيسى فى الفضاء» الى «أجهزة تحليل الطيف بالاشعاعات فوق البنفسجية وتحت الحمراء» . أما الجهاز الوحيد الذى تعطل فيها ، فهو «مقياس استقطاب التصوير» . وبتوجيه الموجات اللاسلكية خلال سحب الكواكب وأجوائها ، استطاعت السفينة استخدام أجهزة ارسالها للاستطلاع العلمى ، لمعرفة كثافة الأغلفة الجوية ، ومكوناتها . لكن لعل أكثر الأجهزة فائدة هى «كاميرتا» التليفزيون ، كانت هناك واحدة بعدسة أفقية متسعة الزاوية ، والثانية بعدسة مقربة . ويمكن توجيههما الى أى اتجاه ، ويمكنهما كذلك تصوير أجسام لا يزيد قطرها عن خمسة أميال وهى على بعد مليون ميل . ولانتاج صور ملونة ، كانت الكاميرتان تستخدمان ثلاثة فلترات (حمراء وخضراء وزرقاء) ، يتم ارسالها الى الأرض كثلاث اشارات لاسلكية مختلفة يعاد تركيبها بواسطة عقل الكترونى على فيلم ملون .

أخاديد على اسطوانات ذهبية

ورغم أن «فويجر الأولى» أطلقت من كيب كانافيرال بفلوريدا عام ١٩٧٧ بعد اطلاق «فويجر الثانية» باسبوعين ، إلا أنها وصلت الى زحل قبل «فويجر الثانية بثمانية أشهر ، لأن الثانية أخذت مساراً أطول ، وقامت باستطلاع عدد من الأقمار لم تصادفها الأولى .

ومنذ أغسطس ١٩٨٠ ، بدأت كاميرتا «فويجر الأولى» فى التقاط بقعة حمراء في النصف الجنوبي من زحل ، مما ذكر العلماء بالبقعة الحمراء على كوكب



استغرقت رحلة فويجر (١) لبلوغ زحل ٣٨ شهراً .. وكانت السرعة ٨٠ الف ميل فى الساعة

المشترى . وهى عاصفة استمرت على المشترى لما يزيد على ثلاثة قرون . أما بقعة زحل فهى أصغر حجماً ، ولا يزيد قطرها على ٧٥٠٠ ميلا ، ولا يقل جوها عنفاً عن جو المشترى .

وبمجرد اقتراب عدسات الكاميرتين المقربة من حلقات زحل ، اكتشف العلماء قمرين جديدين على مسافة ٣٧٠ ميلا فقط من حافة نظام الحلقات ، وأطلقوا عليهما إس ١٣ و إس ١٤ ، بسبب الترتيب العددى لاختشافهما . الغريب فى الأمر أن القمر إس ١٣ يدور حول الكوكب زحل خارج الحلقة «ف» التى تبعد بمقدار ٨٠ الف كيلومتراً عن قمة سحب الكوكب ، ذلك أن الكرة الغازية ليس لها سطح بالمعنى الحقيقى للكلمة . أما القمر إس ١٤ فيدور بالكاد داخل الحلقة ، فيما يبدو أن القمرين يمنعان جسيمات الحلقة من الانفراط فى الداخل على سطح زحل أو فى الخارج الى الفضاء .

وقبل رحلة «فويجر» قام علماء الفلك بعد ١٢ حلقة ، المفترض أنها كلها تحتوى بقايا ثلجية فى حجم السيارة . ورغم أن الحلقات تمتد الى مدى عشرات الآلاف من الأميال بعيداً عن الكوكب ، إلا أن سمكها على ما يبدو لا يزيد عن الميل أو الميلين .

وباقتراب كاميرات فويجر ، ازداد عدد حلقات زحل بشكل هائل . وعند التقاط الصور من أسفل الحلقات بدا عددها من بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ حلقة . وبدت الحلقات فى الصور المرسلة كأخاديد على اسطوانات ذهبية سماوية وحتى «فاصل كاسينى» وهى منطقة مظلمة لوحظت لأول مرة منذ ثلاثمائة عام ، كان يعتقد أنها فجوة فى سطح صلب ، حتى هذه المنطقة صورت الكاميرات حلقات بداخلها ، واكتشف وجود حلقتين أخريتين على الأقل ، بجوار مركز الكوكب . ومما يزيد الأمر تعقيداً ، ظهور خطوط من مواد بدا وكأنها أنثنت وإلتوت بالقرب من الحافة الخارجية للحلقة «ف» . واللغز الأكثر تعقيداً هو تلك الومضات التى يبدو أنها تتكون فى بعض مناطق الحلقات ، كلما انثنت المادة خارجة من ظل الكوكب ، ويبقى بريقها ساطعاً لساعات طويلة ، كما لو كانت تريد أن تهدم عن عمد كل النظريات العلمية حول الحلقات . وكما قال برادفورد سميث عالم الفلك المشرف على فريق الصور التى ترسلها «فويجر»: «إن بريق هذه الومضات يسبب لنا كابوساً مزعجاً» !

أقمار زحل

أما أقمار الكوكب الذهبية فقد أطلقت عليها أسماء من الأساطير المرتبطة بزحل . وكانت هناك ألغاز ومفاجآت أيضاً بالنسبة للأقمار .

وبالرغم من أن السحب الكثيفة المحيطة بالقمر « تيتان » لم تسمح ولو بلمحة واحدة خاطفة لسطحه ، إلا أن قراءات الأشعة تحت الحمراء اخترقت هذا كله ، وبينت أن درجة حرارة سطحه تصل الى ١٨٣ م تحت الصفر . ولا يمكن تفسير هذا ، الى جانب ما قدمته الأجهزة الأخرى من قراءات مختلفة ، مع التركيزات الكثيفة لغاز الميثان التى توقعها المراقبون على الأرض . وبدلا من ذلك يعتقد العلماء الآن أن النيتروجين هو الغاز السائد فى جو تيتان ، بينما لا تصل نسبة غاز الميثان فيه الى أكثر من ١٪ ، الى جانب الايدروكربونات مثل البروبين والايثان والاستيلين .

وعلى الفور دفعت هذه المعلومات بصورة أخرى الى ذاكرة العلماء : حالة الأرض منذ ثلاثة بلايين عام ، مع الفارق أن الأرض فى عمرها المبكر هذا ، كانت محفوظة فى حالة متجمدة للغاية . وبالرغم من تواجد مركبات عضوية معقدة مثل سيانيد الايدروجين ، إلا أن تيتان يبدو بارداً أكثر من اللازم لنشأة عمليات بناء الحياة ، كما كان يعتقد بعض العلماء .

أما بقية أقمار زحل التى فحصتها سفينة الفضاء ، فقد كانت أقل خضراً وخجلا من تيتان الذى غلفه جو كثيف . فالقمر «ميماس» الدقيق الحجم تغطى فوهة بركانية كبيرة وجهاً من وجهيه . واذا كان الجسم الذى تسبب فى إحداث مثل هذه الفوهة أكبر حجماً بقليل ، لكانت الصدمة قد تسببت فى انشطاره دون شك . أما وجهه الآخر فتغطيه بكثرة فوهات صغيرة كما هو الحال عند سطح قمرنا الأرضى ، مما يدل على أنه جرم سماوى قديم .

ومع ذلك فالقمر الآخر زميل «ميماس» وأسمه « أنسيلادوس » ، فيعكس طوبوغرافياً أقل إثارة . ويعتقد العلماء أن مصدراً حرارياً غامضاً ، ربما يكون قد تواجد بسبب ضغط الجاذبية ، قد قام «بتنعيم» سطحه الثلجى وكذلك الشقوق والفوهات .

أما سطح القمر «تيثيس» ، وهو أحد أقمار زحل المتوسطة الحجم ، فقد قطعه أخدود متعرج ، ربما كنتيجة لصدمة حادة تلقاها على الوجه المقابل ، الذى تغطيه الفوهات والمرتفعات .

ويشبه القمر «ديون» قمرنا الأرضى ، حيث تلاحظ عليه كل أنواع الفوهات ، الكبيرة والصغيرة ، وهى سمات قريبة الشبه من «بحار» قمرنا ، والتساقطات الثلجية والوديان الضيقة الطويلة والمرتفعات المتواجدة على سطحه .

ويظل «ايابيتوس» هو أكثر أقمار زحل مدعاة للتساؤل ، ذلك أن بريق وجهيه يبلغ خمسة أضعاف بريق الوجه الآخر . وهو لم يشاهد إلا من على بعد كبير .

وربما كان القمر «رهيا» هو أكثر مشاهد الفضاء عقداً للألسنة ، ورهيا هو اسم أخت زوجة زحل فى الأساطير . فقد اقتربت السفينة «فوياجر الأولى» الى درجة كبيرة منه حتى وصلت الى مسافة أقل من ٧٢ ألف كيلومتراً منه ، مما أدى الى مشاهدة قسماته بوضوح بللورى . وبدا أنه بدوره يشبه سطح قمرنا الأرضى لكن الفوهات كانت متجمعة بكثافة فى مكان واحد الى درجة دعت الجيولوجى «لارى سودر بلوم» من «هيئة المساحة الجيولوجية الكوكبية» لأن يقول «كأنها سقطت الواحدة فوق الأخرى» !

وبالمثل ربما كانت أكثر الصور غرابة ، هى تلك التى التقطتها سفينة الفضاء الأوتوماتيكية «فوياجر الثانية» للقمر «هيبيريون» ، إذ بينت أنه يشبه «حبة البندق» أو «قالب الطوب» ، ويصل طوله الى ٣٠٠ كيلومتراً ، بينما عرضه لا يزيد عن ٢٤٠ كيلومتراً ، ويحمل سطحه فوهة فى اتساع حوالى مائة كيلومتراً ، مما يؤكد أن تاريخه تاريخ عاصف من الناحية الجيولوجية . ومشكله هذا يجعله أغرب جرم سماوى فى الفضاء شاهدناه بوسائلنا حتى الآن .

فوياجر الثانية

وجاءت الصور التى أرسلتها سفينة الفضاء الأوتوماتيكية «فوياجر الثانية» مفيدة من الناحية العلمية ، وقد أرسلت العديد من الصور والمعلومات ، قبل أن تتعطل كاميراتها خلال دخولها نظام الحلقات ، وقد يكون هذا العطل مصادفة أن يحدث فى هذه المنطقة ، لكن الأكثر احتمالا أن يكون صدام قد حدث بين السفينة التى تسير بسرعة ٤٠ ألف ميل فى الساعة ، وقطعة من الثلج أو الصخر من تلك التى تشكل مادة الحلقات . ولحسن الحظ أن هذا العطل قد حدث بعد أن أرسلت السفينة ما يصل الى اثنى عشر ألف صورة ، بينها ست آلاف صورة مشابهة لتلك التى أرسلتها شقيقتها «فوياجر الأولى» . وأصلح العلماء العطل الذى أصابها من على بعد .

ويعتقد علماء «وكالة الفضاء الأمريكية» أن هذه الاكتشافات هى البداية لأن المعلومات المرسلة سيتم تحليلها واكتشاف المزيد ، خاصة وأنه أمكن تطوير تكنيك تحميض وطبع الصور الملونة ، مما يمكن العلماء من تكثيف أو تخفيف الألوان ، ويساعد هذا على كشف أدق التفصيلات . وخلال هذه العملية على سبيل المثال ، تم اكتشاف القمرين إس ١٣ وإس ١٤ من أقمار زحل .

وبعد أن تجاوزت السفينة «فوياجر الأولى» الكوكب زحل ، أخذت تلتقط صوره بعد أن استدارت الكاميرات ، أثناء اتجاه السفينة الى الفضاء البعيد اللامنتهى . وبعد أن تنفذ بطارياتها تسبح فى سكون أبدى . وستكون المهمة الأخيرة لهـا هى مراقبة الجسيمات الشمسية فى محاولة لتحديد «نهاية» تأثير الشمس ، و «بداية» تأثير النجوم ، وبمعنى أصح تحاول رسم الحدود الخارجية لمجموعتنا الشمسية .

أما «فوياجر الثانية» فالمفروض أن تكمل ملحمتها «أوديسة الفضاء» فى المجموعة الشمسية لمدة خمس سنوات أخرى . ويتساءل العلماء الآن عن مدى امكانية استمرارها فى ارسال صور أخرى عندما تقترب من الكوكب أورانوس عام ١٩٨٦ ؟ واذا ما أتمت رحلتها هذه فهل تستطيع أن تستكمل رحلتها الى الكوكب نبتون البعيد والمفروض أن تصل اليه عام ١٩٨٩ لترسل لنا مجموعة أخرى من صوره ؟

علماء وكالة «الناسا» الأمريكية التى أطلقت السفينتين ، يقولون أن فرص نجاح الرحلة الى أورانوس تصل الى ٦٠٪ ، أما فرص استكمال الرحلة الى نبتون فتصل ٤٠٪ وحتى بعد العطل الذى أصاب الكاميرات ، فهناك «ميكانيزم» آخر يمكن استخدامه لارسال الصور والمعلومات .

وستكون رحلة «فوياجر الثانية» الى أورانوس ونبتون فى غاية الأهمية ، ذلك أنها بكلمات العالم كارل ساجان «ذلك أن هذين الكوكبين يلفهما الجهل المطبق» فكل ما نعلمه عنهما أنهما يشبهان زحل والمشترى ، وأن أورانوس له خمسة أقمار بالاضافة إلى بعض المعلومات الفيزيائية ؟

وماذا بعد «أوديسا الفضاء» من مشروعات ؟

المشروع الوحيد الموجود الآن فى جدول الأعمال ، هو «مشروع جاليليو» . والمشروع يتلخص فى وضع مرصد بصفة شبه دائمة ليدور فى مدار حول كوكب المشترى ، ومن المقرر اطلاقه عام ١٩٨٤ ، وإن كان من المتوقع تأجيله لأن وسيلة اطلاقه هى «السفينة المكوكية» ، أما السبب فهو المشاكل الكثيرة المتعلقة بمحركاتها ، ومصاعب الدروع الواقية من الحرارة .

وينتظر العلماء الانتهاء من مشاكل «السفينة المكوكية» للبدء فى مشروع فضائى آخر ، هو وضع تلسكوب عملاق وزنه عشرة أطنان وقطر عدسته ٩٦ بوصة ليدور حول الأرض مستكشفاً الفضاء بعد أن يتجاوز الغلاف الجوى الأرضى الذى يعيق الرؤية ، ثم ارسال الصور التى يتطلع اليها باللاسلكى الى مراكز المراقبة الأرضية . وسيتمكن هذا التلسكوب الآلى من رصد العوالم والأجرام السماوية بشكل أعمق وأبعد .

وربما تمكن هذا المنظار «المدارى» من رصد أضعف آثار الكواكب التى تدور حول النجوم القريبة .

لقد أدت صناعة الفضاء الى نتائج مرضية ، خاصة فى تطوير الصناعات الالكترونية ، وأفران «الموجات الصغرى» والاذاعات المرئية المباشرة بواسطة الأقمار الصناعية . وسوف تتأتى المزيد من الثمار كلما ازداد فهم العلماء لنظام المجموعة الشمسية . فالتكنولوجيا التى استخدمت فى صناعة العقل الالكترونى للسفينة « فوياجر » وتغذيتها بالمعلومات ، يمكن اقتباسها لاستخدامها فى تشغيل روبوت (انسان آلى) يحل محل الغطاس البشرى فى المناطق العميقة الخطيرة ، وكذلك فان معرفة حالات الجو والحالات الطبيعية للعوالم البعيدة ، ستؤدى بالانسان الى أن يتعلم كيفية بذل جهد أكبر للعناية بكوكبه الأرضى .

لكن تبقى كلمة أخيرة . إن استكشاف الفضاء قد تكون له فوائد عديدة للبشرية لكن البحث عن المعرفة يظل هو الشىء الأساسى ، أو كما يقول كارل ساجان : «إن غريزة الاستكشاف متواجدة فى أعماقنا وربما تكون جزءاً هاما فيما حققناه كجنس بشرى» .

وبنجاح «فوياجر الأولى» ، وملحمة «أوديسة الفضاء» التى تقوم بها «فوياجر الثانية» تثبت البشرية أن حب المعرفة شىء سيظل فيها الى الأبد .. طالما أستمرت على وجه الأرض .

مجدى نصيف

دراسة إسلامية

أكل المال بالباطل

بقلم : د. محمد زكي عبد البر

قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم» (النساء : ٢٩) .

وقد تناول المفسرون ، جزاهم الله خيراً ، هذه الآية الكريمة بالتفسير ، كل حسب منهجه ، إجمالا وتفصيلا ، مبينين المناسبة بينها وبين ما سبقها وما لحقها من الآيات الكريمة . ولسنا نريد أن نكرر هنا كل ماقالوه ، فهو فى كتبهم ، وهى مطبوعة ، والاطلاع عليها ميسور لمن نشده ولكنا نريد عرض فهم لنا لم نره فيما قرأناه من تفسير لها ، فان يكن صواباً فمن الله تعالى ، وله المنة ، وان يكن غير ذلك فمن أنفسنا والله غفور رحيم . قال صلى الله عليه وسلم : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (متفق عليه) .

ونعرض أولا أقوال المفسرين ثم نعرض رأينا .

(١) أقوال المفسرين

(يا أيها الذين آمنوا) :

الخطاب كما هو ظاهر للمؤمنين

(لا تأكلوا) :

عبر الله سبحانه وتعالى بالأكل عن مطلق أخذ المال ، لأن الأكل من أغلب مقاصده وألزمها ، فكما أن الأكل محرم فكذلك سائر وجوه التصرفات .

ويرى ابن حزم فى الإحكام (٤ : ٩٣٦ ـ ٩٣٧) أن المحرم بهذه الآية هو الأكل فقط وما عداه حرام لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» وبآيات أخر وأحاديث أخر أو بالاجماع .

(بينكم) :



ابن حزم

معناه : فى معاملاتكم وأماناتكم فهى نصب على الظرفية أو الحالية من أموالكم . ويقول الامام محمد عبده رحمه الله : إن قوله «بينكم» للاشعار بأن المال المحرم ، لأنه باطل ، هو ما كان موضع التنازع فى التعامل بين المتعاملين كأنه واقع بين الآكل والمأكول منه ، كل منهما يريد جذبه لنفسه ، فيجب أن يكون المرجح للمال بين اثنين يتنازعان فيه هو الحق ، فلا يجوز لأحد أن يأخذه بالباطل.

(بالباطل) :

اختلف فى تفسيره :

فذهب قوم منهم ابن عباس الى أن المقصود هو أن يأكله بغير عوض ، وبهذا التقدير لا تكون الآية مجملة . وعلى هذا قال ابن عباس : هى منسوخة إذ يجوز أكل المال بغير عوض اذا كان هبة أو صدقة أو تمليكاً أو إرثاً أو نحو ذلك مما أباحت الشريعة أخذه بغير عوض . قالوا : لما نزلت هذه الآية تحرج الناس من أن يأكلوا عند أحد شيئاً ، وشق ذلك



محمد عبده

على الخلق فنسخه الله تعالى بقوله فى سورة النور (الآية ٦١) : «... ولا (أى لا حرج) على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً.. ...»

وقال آخرون منهم ابن مسعود : هو أن يأكل بالربا والقمار والبخس والظلم وغير ذلك مما لم يبح الله تعالى أكل المال به ، أى بغير طريق مشروع أو بما لم يبحه الشرع : فتكون الآية مجملة ، لأن هذه الطريق المشروعة غير مذكورة هنا على التفصيل . وتكون هذه الآية محكمة : ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة . وأدخل فيه البعض العربون وأخرج منه البعض الغبن .

(إلا) :

استدراك فى صورة الاستثناء أو استثناء منقطع ، لأن التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكانت «إلا» هنا بمعنى «لكن» . والمعنى : لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض . وهو استثناء لا يدل على الحصر .

ويرى الامام محمد عبده رحمه الله أن الاستثناء متصل ويبين ذلك بقوله : «إنما استثنى الله التجارة من عموم الأموال التى يجرى فيها الأكل بالباطل أى بدون مقابل لأن معظم أنواعها يدخل فيها الأكل بالباطل ، فان تحديد قيمة الشىء وجعل عوضه أو ثمنه على قدره بقسطاس الحق المستقيم عزيز وعسير إن لم يكن محالا . فالمراد من الاستثناء التسامح بما يكون فيه أحد العوضين أكبر من الآخر ، وما يكون سبب التعارض فيه براعة التاجر فى تزيين سلعته وترويجها بزخرف القول من غير غش ولا خداع ولا تغرير كما يقع ذلك كثيراً فان الانسان كثيراً ما يشترى الشىء من غير حاجة شديدة اليه ، وكثيراً ما يشتريه بثمن يعلم أنه يمكن ابتياعه بأقل منه من مكان آخر ولا يكون سبب ذلك إلا خلابة التاجر وزخرفه ، وقد يكون ذلك من المحافظة على الصدق واتقاء التغرير والغش فيكون من باطل التجارة الحاصلة بالتراضى ، وهو المستثنى ، والحكمة فى اباحة ذلك الترغيب فى التجارة لشدة حاجة الناس اليها وتنبيه الناس الى استعمال ما أوتوا من الذكاء والفطنة فى اختيار الأشياء والتدقيق فى المعاملة حفظاً لأموالهم التى جعلها الله لهم قياماً أن يذهب شىء منها بالباطل ، أى بدون منفعة تقابلها . فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا خرج به الربح الكثير الذى يكون بغير غش ولا تغرير بل بتراض لم تنخدع فيه ارادة المغبون ، ولو لم يبح مثل هذا لما رغب فى التجارة ولا اشتغل بها أحد من أهل الدين على شدة حاجة العمران اليها وعدم الاستغناء عنها ، إذ لا يمكن أن تتبارى الهمم فيها مع التضييق فى مثل هذا ...»

(أن تكون تجارة) :

قرىء بالنصب على أن «كان» ناقصة . وهى قراءة الكوفيين (قراءة عاصم وحمزة والكسائى) .

وقرىء بالرفع على أن «كان» تامة . وهى قراءة باقى السبعة (قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر) .

فمن قرأها بالنصب كان تقديره : «إلا أن تكون الأموال تجارة عن تراض» فتكون التجارة الواقعة عن تراض مستثناة من النهى عن أكل المال إذ أن أكل المال بالباطل قد يكون من جهة التجارة ومن غير جهة التجارة ، فاستثنى التجارة من الجملة ، وبين أنها ليست أكل المال بالباطل .

ومن قرأها بالرفع كان تقديره : «إلا أن تقع تجارة» واذا كان معناه على هذا ، كان النهى عن أكل المال بالباطل على اطلاقه لم يستثن منه شىء وكان ذلك استثناء منقطعاً بمنزلة : «ولكن ان وقعت تجارة عن تراض فهو مباح» .

قال الواحدى : والاختيار الرفع ، لأن من نصب أضمر التجارة ، فقال : تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة ، والاضمار قبل الذكر ليس بقوى وإن كان جائزاً .

وقال ابن حيان : التجارة اسم يقع على عقود المعاوضات المقصود منها طلب الأرباح .



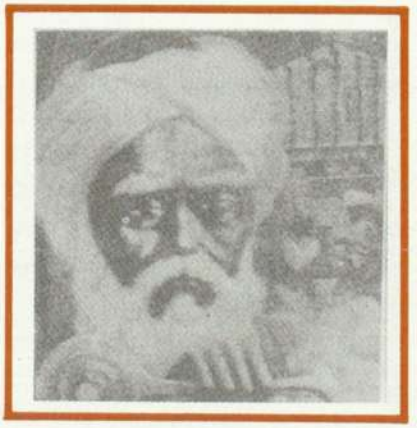
ابن حيان

وقال ابن كثير : قال مجاهد : «بيعاً أو عطاء يعطيه أحد أحدا» . ورواه ابن جرير وخصت التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها ولأنها أوفق لذوى المروءات .

وفى الألوسى والبيضاوي والفخر الرازى : انه يراد بالتجارة الانتقال مطلقاً بطريق شرعي ، سواء كان تجارة أو إرثاً أو هبة أو وصية وكذا أخذ الصدقات والمهر وأروش الجنايات ، من استعمال الخاص وارادة العام .

وفى البيضاوى انه قيل : المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله . وبالتجارة صرفه فيما يرضاه .

أكل المال بالباطل



الرازى

قال الفخر الرازى : فان قلنا : إن الاستثناء منقطع فلا اشكال فانه تعالى ذكر ههنا سبباً واحداً من أسباب الملك ولم يذكر سائرها لا بالنفى ولا باثبات . وإن قلنا الاستثناء متصل كان ذلك حكماً بأن غير التجارة لا يفيد الحل وعند هذا لابد من النسخ أو التخصيص . كما قال : وأيضاً ظاهر الآية اذا فسرنا الباطل بما ذكرناه (أى ما يؤخذ من الانسان بغير عوض) يحرم الصدقات والهبات . ويمكن أن يقال : هذا ليس بنسخ وإنما هو تخصيص .

(عن تراض) :

«عن» متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة . أى : إلا أن تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض . أو : إلا أن تكون الأموال أموال تجارة .

وفيه دلالة على أن ما كان على طريق التجارة فشرطه التراضى . وهو من اثنين الباذل للثمن ، والبائع للعين .

ولم يذكر فى الآية غير التراضى ، وفى تحققه اختلاف ، ومثاله :

ـ عند أبى حنيفة رحمه الله : التراضى رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الايجاب والقبول .

وعند الشافعى رحمه الله : تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين .

على ما هو مفصل فى كتب الفقه :

ـ عند الشافعى : لا يصح البيع إلا بالقول (الايجاب والقبول) لأن القول يدل على التراضى بخلاف المعاطاة (وهى التقابض من غير ايجاب وقبول) فانها قد لا تدل على الرضا ولذا لا ينعقد بها البيع

وخالفه الجمهور فى ذلك : مالك وأبو حنيفة وأحمد فرأوا أن الأقوال كما تدل على التراضى فكذلك الأفعال تدل على التراضى فصححوا بيع المعاطاة .

ومنهم من قال : تصح فى المحقرات وفيما يعده الناس بيعاً .

ـ لو باع ما يساوى مائة بدرهم جاز اذا تراضيا على ذلك ، سواء أعلم مقدار ما يساوى أم لم يعلم . وقالت فرقة : اذا لم يعلم قدر الغبن وتجاوز الثلث ، رد البيع .

(منكم) :

صفة «تراض» أى إلا أن تكون التجارة تجارة صادرة «عن تراض» كائن «منكم» .

(٢) رأينا

نعرض فيما يلي رأينا ثم ثمرته .

ونحن ـ فى بيان رأينا ـ نقف عند كلمات أربع هى : «تجارة» و «عن» و «تراض» وفقاً لترتيبها فى الآية الكريمة ثم نرجع الى كلمة «بالباطل» السابقة عليها ، فذلك أبين لمرادنا .

(تجارة) :

هى ، على ما فى لسان العرب ، البيع والشراء . وفى الفقه ـ قال الكاسانى (٧ : ٣٣٤ : س ٦ من أسفل) : «التجارة هى معاوضة المال بالمال» . وركنها التراضى المتمثل فى الايجاب والقبول .

(عن) :

قال علماء اللغة إن من معانى «عن» : «التعليل ـ نحو : وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة (التوبة : ١١٤) . ونحو : وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك (هود : ٥٣)» (انظر : الزمخشرى ، وابن هشام ، والسيوطى ، والصبان) .

ونحن نؤثر فهم الآية على هذا المعنى فيكون المعنى : «إلا أن تكون تجارة لأنها عن تراض» أى لأن قوام التجارة التراضى . وبذلك تفيد «عن تراض» فائدة أخرى غير تكرار شرط التراضى المضمن فى كلمة «تجارة» وهى بيان العلة . فيكون التراضى : ١ـ ركناً للتجارة لا توجد بدونه ، فما لم يوجد التراضى لا تكون تجارة . وهو ما يقرره الفقهاء بقولهم إن التراضى ركن المبادلة (أى التجارة) فلا تنعقد أى لا توجد بدونه . و ٢ ـ علة لحل مالها ، كقولنا «حرمت الخمر لشدتها» فالشدة صفة لازمة للخمر وعلة لتحريمها .

(تراض) :

صيغة «تفاعل» . وقد استعمل الله سبحانه وتعالى هذه الصيغة لأنها تحقق حصول المشاركة فى الرضا صريحاً من الجانبين على قدم المساواة . ولم يستعمل ، جل وعلا ، صيغة «المفاعلة» (المراضاة) لأنها لا تحقق ذلك كله وإنما تحقق حصول الرضا من الجانب الأول صريحاً ومن الجانب الثانى ضمناً لا صريحاً ـ ومثال ذلك : اذا قلت «تراضى زيد وعمرو» (بصيغة التفاعل) دل على وقوع المشاركة فى الرضا من الجانبين صريحاً أى على نسبة الرضا الى زيد متعلقاً بعمرو صريحاً ونسبة الرضا الى عمرو متعلقاً بزيد صريحاً أيضاً . أما اذا قلت : «راضى زيد عمراً» (بصيغة المفاعلة) فانه يدل على نسبة الرضا الى زيد متعلقاً بعمرو صريحاً ونسبة الرضا الى عمرو متعلقاً بزيد ضمناً ، والضمنى ليس فى مستوى الصريح ، لأن الصريح نص فى وقوع الفعل ممن نسب اليه بخلاف الضمنى فليس نصا فى ذلك .

وهى دقة لغوية وشرعية لا تستغرب على كلام الله سبحانه وتعالى .

(راجع فى بيان الفرق بين الصيغتين بالتفصيل : ابن الحاجب ، الشافية ، وشروحها ، ص ٨٧ وما بعدها) .

ونلاحظ أن صيغة «التفاعل» قد استعملت فى أكثر من موضع من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

● ـ «فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن

اذا تراضوا بينهم بالمعروف» (البقرة : ٢٣٢) ●

● ـ «فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما» (البقرة : ٢٣٣) . ●

● ـ «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به ، من بعد الفريضة» (النساء : ٢٤) . ●

كما نلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم ، التزم الصيغة التى استعملها القرآن الكريم فى أكثر من موضع فقال «إنما البيع عن تراض» و «البيع عن تراض» (السيوطى ، الدر المنثور ، ٢ : ١٤٣) .

وذلك ، فيما نرى ، اشارة الى اشتراط الرضا صريحاً من كل من الطرفين على قدم المساواة مع الآخر ، فذلك هو طيب النفس من كل منهما ـ قال الحطاب . (٤ : ٢٢٨) : «والمقصود من التجارة إنما هو أخذ ما فى يد غيرك بدفع عوض عن طيب نفس منكما» .

بعد ذلك يرد الخلاف فى التراضى : هل يتحقق بمجرد صدور القبول مطابقاً للايجاب ، أم لابد من انفضاض المجلس أو التخيير . وهل يشترط له اللفظ أم تكفى الاشارة أو المعاطاة . وهل يؤثر الغبن أو لا يؤثر ... الخ على الخلاف بين المفسرين والفقهاء استناداً الى أدلة خاصة بكل حالة أو أخذاً بمطلق التراضى هنا .

(بالباطل) :

ظاهر لنا من سياق الآية الكريمة التقابل بين «الباطل» وبين «التراضى» فيكون المراد بالباطل عدم التراضى أى الأخذ عن غير تراض . والقول بهذا التقابل بين «الباطل» و «التراضى» أبين للمراد فى مقام التشريع ، وهو بذلك أليق بكتاب الله .

وبهذا التفسير يتسق الحكم مع الخطاب للمؤمنين فيما بينهم ومفهومه . ذلك لأنه يحرم على المؤمنين أخذ أموال المؤمنين بدون تراض ويحل لهم أخذ أموال غير المؤمنين بدون تراض (عنوة) فى بعض الحالات كالحرب ، فيكون الخطاب خاصا بالمؤمنين والحكم خاصاً بالمؤمنين أيضاً . أما على تفسير الباطل بمطلق «غير المشروع» فلم يتسق الحكم مع الخطاب ومفهومه ، ذلك لأنه لا يحل للمؤمنين أخذ أموال المؤمنين ولا غير المؤمنين بطريق غير مشروع كالغش والخديعة والخيانة ، فيكون الخطاب خاصاً بالمؤمنين فيما بينهم والحكم عاماً بالنسبة الى المؤمنين وغير المؤمنين . واتساق الحكم مع الخطاب ومفهومه أدق وأحكم فهو أجدر بكتاب الله جل وعلا .

أما ثمرة رأينا فهو ما يأتى :

أ ـ يترتب على القول بأن «عن» للتعليل :

١ ـ أن يكون «التراضى» هو «العلة» وليس مجرد صفة (شرط) كما ذهب المفسرون فى أقوالهم التى تقدمت .

٢ ـ وأن تكون العلة «منصوصة» .

ولكل من النتيجتين ، بدورهما ، ثمرة ، سواء عند أصحاب القياس أو عند نفاة القياس .

فعند أصحاب القياس :

يترتب على القول بان التراضى «علة» ـ أن يقاس على التجارة كل أخذ وعطاء للمال بتراض ، فيحل .

ـ أن يخرج عن حكم التجارة هنا ، وهو الحل ، كل أخذ وعطاء للمال بغير تراض.

فمن الناحية الايجابية تدخل فى الحكم ، وهو الحل ، الهبة والعطية وغيرها مما يعطى بتراض ولو كان بدون مقابل ، إذ العلة هى وجود «التراضى» لا وجود «المقابل» كما ذهب البعض .

ومن الناحية السلبية يخرج عن الحكم ، وهو الحل ، ما لا يتوفر فيه التراضى ، ولو وجد المقابل ، كالمال يؤخذ بالاكراه والغش ونحوهما مع المقابل .

وعند نفاة القياس :

يترتب على القول بان العلة ، وهى التراضى ، «منصوصة» :



الغزالى

ـ الحاق كل تعامل مالى ، فيه تراض ، بالتجارة ، فى الحل ، عند بعض من لا يقول بالقياس ، قال الغزالى فى المستصفى (٢ : ٦٩) : «قال النظام : العلة المنصوصة توجب الالحاق ، لكن لا بطريق القياس ، بل بطريق اللفظ والعموم إذ لا فرق فى اللغة بين قوله : «حرمت كل مشتد» وبين قوله : «حرمت الخمر لشدتها» .

ـ جواز القياس هنا عند بعض نفاة القياس ـ قال الغزالى فى المستصفى (٢ : ٧٠) : «وذهب القاشانى والنهروانى الى الاقرار بالقياس لأجل اجماع الصحابة لكن خصصا ذلك بموضعين : أحدهما ـ أن تكون العلة منصوصة كقوله : «حرمت الخمر لشدتها» و «فانها من الطوافين عليكم والطوافات» ...»

ويترتب على كل ذلك أن يكون حكم الهبات وغيرها ، مما يؤخذ بالتراضى ، دون عوض ، الحل عند القائلين بالقياس وعند طائفتين من نفاته . فيكون أبعد عن النزاع من القول بمفهوم الصفة على القول بان التراضى «صفة» للتجارة ، إذ من المتكلمين ومن حذاق الفقهاء من يقول بألا دلالة للمفهوم (الغزالى ، المستصفى ٢ : ٤٢) .

وعلى ذلك :

ـ فليس هناك ما يدعو الى الحرج على من يأكل الهبات والصدقات الصادرة عن

رضا وطيب نفس كما ذهب اليه بعض المفسرين وقد تقدم .

ـ ونتيجة لذلك ليس هناك حاجة الى القول بالنسخ أو التخصيص كما ذهب اليه بعض السلف والخلف وقد تقدم .

وفى ذلك رد على ما قدمناه من قول الفخر الرازى : «فان قلنا ان الاستثناء منقطع فلا أشكال ، فانه تعالى ذكر هنا سبباً واحداً من أسباب الملك، ولم يذكر سائرها لا بالنفى ولا باثبات . وإن قلنا الاستثناء متصل كان ذلك حكماً بأن غير التجارة لا يفيد الحل ، وعند هذا لابد من النسخ أو التخصيص» .

وفى ذلك تأييد للنتيجة التى انتهى اليها الامام محمد عبده فى قوله : «قالوا ان الآية دليل على تحريم ما عدا ربح التجارة من أموال الناس أى كالهدية والهبة ثم نسخ ذلك بآية النور المبيحة للانسان أن يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه . وهو افتراء على الدين لا أصل له ـ أى لم تصح روايته عمن عزى اليه إذ لا يعقل أن تكون الهبة محرمة فى وقت من الأوقات ، ولا ما فى معناها كاقراء الضيف ، وإنما يكون التحريم فيما يمانع فيه صاحب المال فيؤخذ بدون رضاه أو بدون علمه مع العلم أو الظن بأنه لا يسمح به» .

ب ـ كما يوافق ما تقدم ، وهذه ميزة أخرى لما نذهب اليه من تفسير :

ـ قصر التجارة على معناها الحقيقى ، وهو معاوضة المال بالمال ، دون مده الى الانتقال مطلقاً كما قال الألوسى والبيضاوى والفخر الرازى رحمهم الله على ما تقدم دون سند إلا تبرير إباحة أكل أموال الناس هبة أو صدقة أو نحوهما .

ـ أن تحمل «عن تراض» فائدة هى بيان العلة فلا تكون تكراراً لاشتراط التراضى الذى تفترضه كلمة «تجارة» وهذا أليق بكلام الله عز وجل .

ـ ألا نذهب الى ما ذهب اليه الامام محمد عبده رحمه الله ، من مشروعية التجارة عن تراض ولو بها شىء من الباطل ترغيباً فى التجارة لشدة حاجة الناس اليها كما تقدم . لأن القول بالمشروعية يتنافى مع «الباطل» لأن الأمر اذا شرع لم يعد باطلا ، وإذا كان باطلا فلا يكون مشروعاً ، وليس لما يقوله الامام رحمه الله ، فيما نعلم ، نظير فى الشرع الاسلامى إلا أن يقال «الرخص» وهى غير ذلك .

●●●

فبالتفسير الذى نذهب اليه ننزل عند المعنى الحقيقى للتجارة ، وهو أولى . ونعمل قواعد أصول الفقه ، ونصل الى الحكم الشرعى الصحيح الموافق للقواعد .

وهكذا يكون «التراضى» هو دستور التعامل فى الاسلام مما يعلى من قدر المسلم وينشر الود والحب بين المسلمين.

والله ولي التوفيق .

د. محمد زكى عبد البر

أنـــــا ...

حـــر ومذهب كل حـــر مـــذهبى
ما كنت بالغـــاوى ولا المتعصب
إنى لأغضـــب للكـــريم ينوشـــه
من دونه وألوم من لم يغضـــب
وأحب كل مهـــذب ولـــو أنـــه
خصـــمى ، وأرحم كل غير مهـــذب
يأبى فؤادى أن يميـــل إلى الأذى
حب الأذية من طبـــاع العقـــرب
لى أن أرد مســـاءة بمســـاءة
لو أننى أرضى ببـــرق خلـــب
حســـب المسىء شـــعوره ومقاله
فى سره : يـــا ليتنى لم أذنـــب

ايليا أبو ماضى

بين أحضان الطبيعة

للشاعر : علي الفقي

انظري النهر تهادى فى صفاء وحنان
رقصت أمواجه تيهاً ، وغنى الشاطئان
وهفا الملاح للشدو وهاجته المغاني
إي وأيم الحق ما أشجاه إلا ما شجاني

* * *

وانظري البدر على الأفق تجلى وتلالا
يبعث النور إلى الدنيا فيكسوها جلالا
وانظري من حوله الأنجم تختال اختيالا
قيصر الدنيا ، وما أحراه بالملك جلالا !

* * *

وانظري الروضة غشاها مع الليل السكون
وسرت من بينها الأنسام كالطيف الحنون
فانتشى الروح وحنت لتثنيها الغصون
ياله من مشهد طافت به شتى الفنون !

* * *

وانظري الطير على الأغصان يشدو بلغانا
نحن لقنا الهوى الطير فغنى بهوانا !!
انظريه كيف يهتز مع الغصن حنانا ؟
ترى أغراه يا دنياى بالشدو لقانا ؟

* * *

وانظري الكون قد استسلم للصمت الرهيب
وخلا من أذن الواشي ومن عين الرقيب
ليت شعرى ما به غير محب وحبيب !!
وغريب فى الهوى يصغى إلى شكوى غريب

ما علينا لو أقمنا بين هاتيك المجالى
ساعة نحيا بها إن شئت فى دنيا الخيال
فتعالى بادلينى الحب والنجوى تعالى
فى سبيل الحب ما ذقناه من ظلم الليالى

* * *

هذه الدنيا كما يرضى لنا الحب فهيا ! !
زودى من سحر جفنيك وروى مقلتيا
وابعثى صوتك قدسى الصدى فى أذنيا
يا لها من ليلة عذراء لو دامت مليا !

* * *

آه من طرفك يسبينى بلحظ فاتر !
آه من خدك يغرينى بحسن باهر !
آه من ثغرك يحيينى بلفظ ساحر
آه من وجهك يبدو لى فيغضى ناظرى

* * *

آه من عطفك إن أحسنت فى العطف عليا
وابتساماتك إن لم تبسم الدنيا إليا !
وليال فى حمى الطهر قضيناها سويا
هن أشهى يا منى نفسى من الدنيا لديا !

* * *

فهلمى فى سكون الليل يحدونا القمر
واتركى الماضى بما يحويه من شتى الصور
إن يكن أحسن أو أذنب فالحب غفر
كل ذنب فى سبيل الحب يمحوه القدر

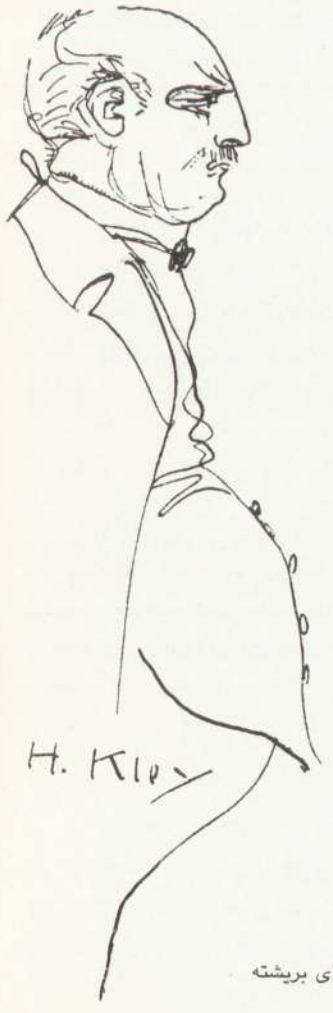
كلاي آخر .. بعيداً عن الملاكمة

فنان عالمي ساخر

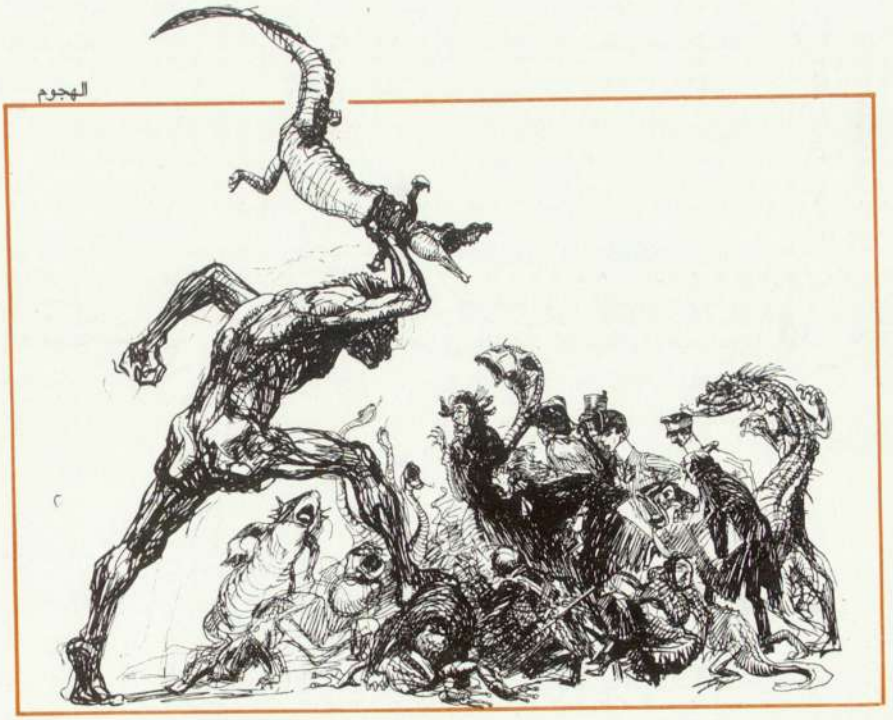
يكشف في لوحات ضاحكة مأساة الإنسان!

بقلم : جمال قطب

هنريش كلاي .. غير محمد على كلاي .. الأول فنان رسم فى لوحات ساخرة قصة الانسان ومأساته فى هذه الحياة ولم ينل حظه من الشهرة رغم اعجاب النقاد بأعماله .. أما كلاي الآخر فقصته معروفة مع النجاح والثروة والشهرة ! .



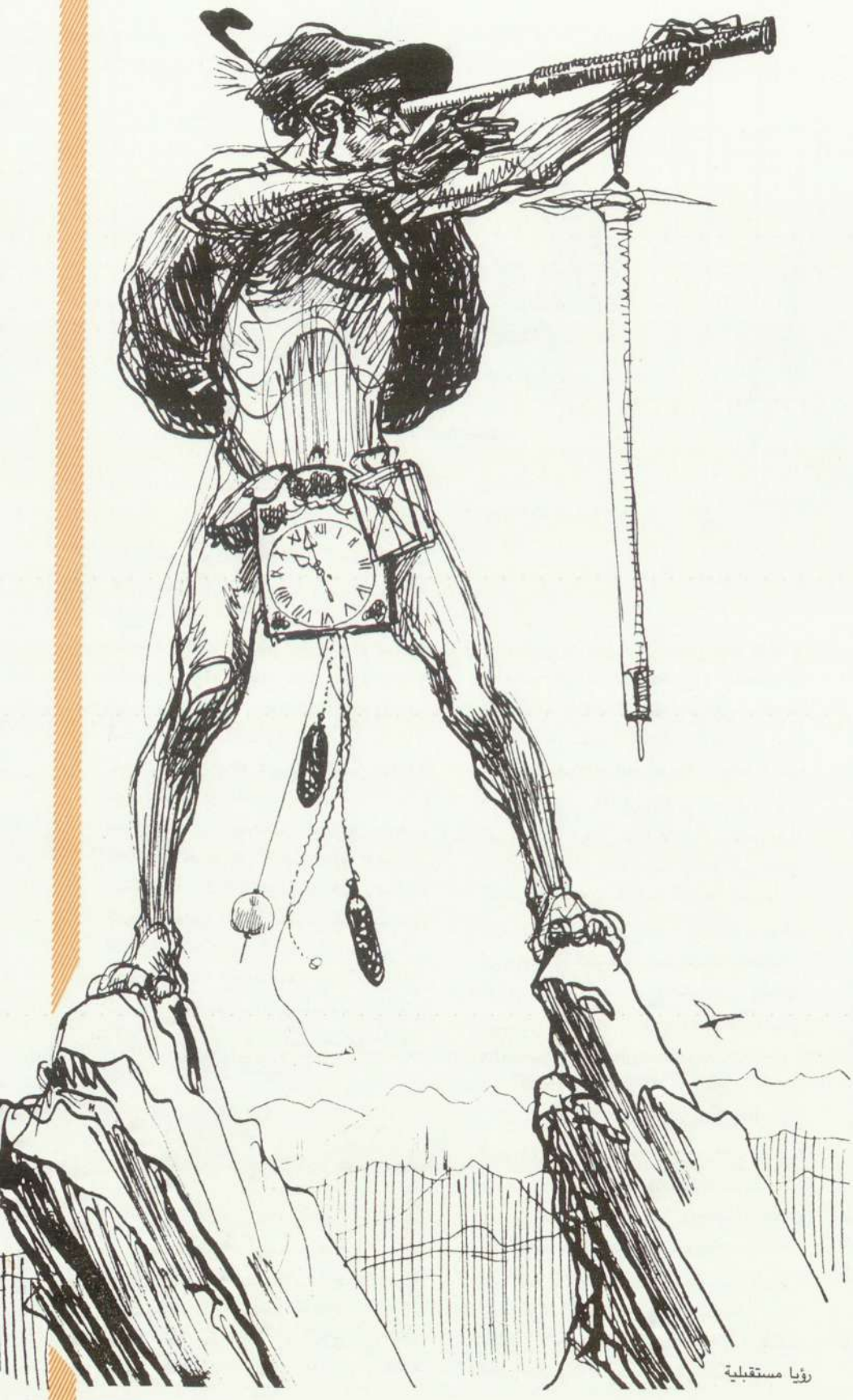
هنريش كلاى بريشته



« هنريش كلاي » فنان ألماني سمع عنه العالم بعد وفاته ، ولكنه كان انطوائيا متقوقعا في حياته لأسباب لم يعرفها احد .. ولعله كان يعاني ـ لسبب أو لآخر ـ من شعور مأساوي بالمرارة .. شكلت أحاسيسه على تلك الرؤى القاتمة التي اصطبغ بها فنه الساخر . طال به العمر حتى مشارف العقد العاشر ، فقد ولد عام ١٨٦٣ وتوفى نحو عام ١٩٥٢ . قد لا يصادفك اسمه بين المشاهير العالميين من فناني أوربا البارزين . وقد لا يكون معروفاً بالقدر الكافى خارج حدود وطنه ، مثله مثل آلاف الفنانين والمفكرين العظام ممن آثروا الانطواء والتأمل في ملهاة المأساة الانسانية ومحنة البشرية !

هذا ما فعله هنريش كلاي .. اذ تعدى واقع مجتمعه ، بل تحدى طبيعة الحياة ومنطق الأشياء .. وابتدع عالمه الخاص المفعم بالأحلام والرؤى والاطياف ، وسيطر عقله الباطن ببراعة على شخوصه الاسطورية التي عبر بها عن رغباته المكبوتة . وكما يقول داروين : ان الاحلام هي خلاصة حياة ونوازع نفسية وجسدية لا تجد متنفساً لها إلا في عالم الموت الاصغر وهو النوم ! فان الفن يقوم بنفس الدور في الحياة الواعية . ولذلك نرى أن أعمال « كلاي » ليست مجرد رسوم ساخرة لمظاهر واقعية ، ولكنها تحليل نفسى لحياة مليئة بالحركة ومفعمة بالحياة والانفعالات المتصارعة . وقد يكون هذا التعبير (عالم الفنان الخاص) تعبيراً ذاتياً ، ولكن الملايين من البشر تشارك الفنان إحساسه بتلك الرؤى الغامضة ، وتعايش عالمه وتتفاعل معه وتنفعل به ويصبح منطلقاً لأحلامهم كذلك !

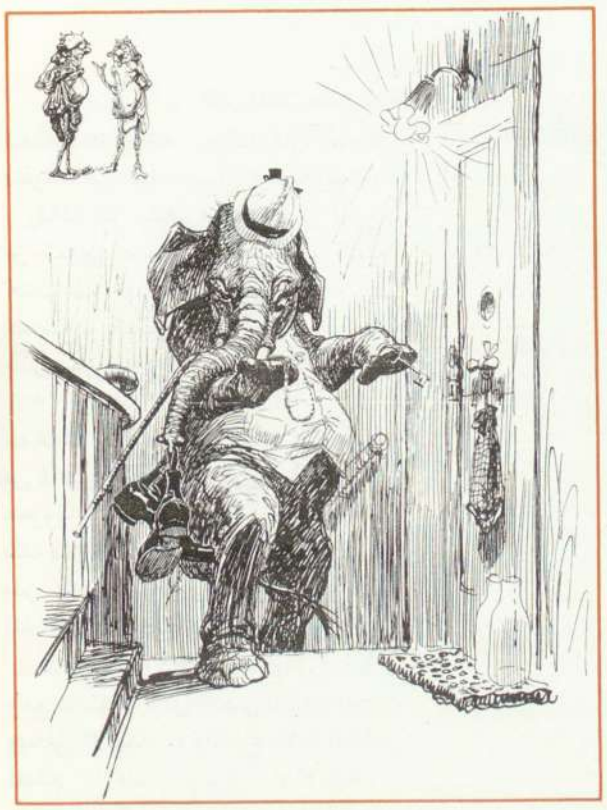
نشأ هنريش كلاي كأى فنان ذى موهبة فذة ظهرت مبكرة فى سنوات عمره الأولى ، وكان نبوغه فى الرسم حديث أهل بلدته فى وادى الراين ، والحقه والداه بأكاديمية الفنون الجميلة حيث تتلمذ على فنان ألمانيا الكبير « فرديناند كيلر » الذى عنى به عناية خاصة وأرسله على نفقة الدولة إلى ميونيخ ليتم دراسته الفنية العالية . وكما هو الحال فى جميع المناهج الأكاديمية ، أجاد



رؤيا مستقبلية



▲ الآلة تسحق البشر



قبل المعركة ◄

الأساليب الواقعية الملتزمة وتفوق فيها على رفاقه وأساتذته ، وعرفت أعماله طريقها إلى المعارض والمتاحف ، وتسابقت قاعات الفن على شراء إنتاجه أولا بأول ، وقد أجمع النقاد حينذاك على أن هذا الشاب سيكون له دور مؤثر فى الحركة الفنية الألمانية ! ولا غرو أن نرى لوحات كلاي وهو فى تلك السن المبكرة فى الفترة بين عامي (١٨٨٨ ، ١٨٩٢) معروضة فى متحف ميونيخ بجانب أعمال الخالدين من فنانى ألمانيا العظام . وذاعت شهرته ، بل وتألقت حتى صارت حديث ألمانيا كلها عندما كلف بتنفيذ اللوحات الحائطية الضخمة التى تحكى تاريخ ألمانيا ، وخصصت لهذه اللوحات الرائعة عدة مبان حكوميـــة فى (بادن بادن) ، واعتبر منذ ذلك التاريخ فنان الشعب الألمانى الشهير !

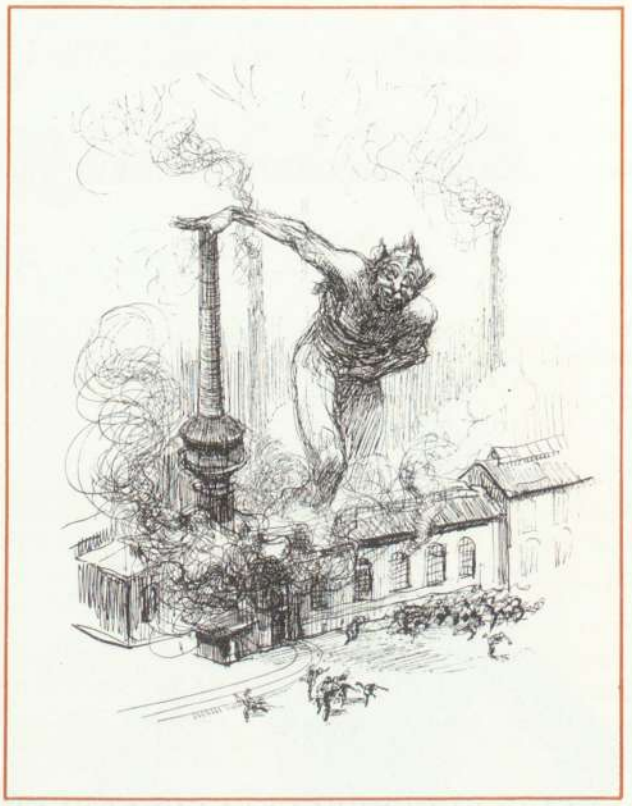
الانطلاق إلى عالم الرؤيا الخاصة

بعد هذا النصر الكبير الذى حظى به الفنان ، لجأ إلى فلسفة التحول الاجتماعى فى الشعب الأوروبى عامة والألمانى خاصة : ألم بأسرار التقدم الصناعى وتحول الطاقة من عصر البخار والفحم الى عالم الكهرباء والصناعة العصرية المتقدمة ، وأخذ يعبر بسخرية لاذعة عن تفتت الكيان الانسانى بين تروس المصانع الصاخبة .. ولجأ الى الرسوم السريعة الهازئة من سيطرة الآلة على البشر ، ومن تكالب الناس على بناء (الحضارة) الحديثة وهم فى نفس الوقت يقومون بهدم القيم والسلوك المهذب والترابط بينهم ! وكانت أعماله فى معظمها كالرسوم الصحفية النقدية ، تطبع الابتسامة على الشفاة ، ولكنها تترك فى الوقت ذاته أثراً عميقاً فى العقل والضمير والوجدان .

وما نراه على هذه الصفحات اليـوم من رسوم الفنان ، ليس « هنريش كلاى » صاحب اللوحات الحائطية الضخمة فى « بادن بادن » ، ولا هو صاحب الأعمال الخالدة فى متحف ميونيخ ومعظم المتاحف الألمانية الأخرى ، ولكنه الفنان الفيلسوف الساخر الذى ضاق ذرعاً بمظاهر الحضارة المزيفة ! إن التقييم الفنى لهذه الرسوم يصل بها الى مرتبـة اللوحات المتكاملة من الوجهة الفنية ، من حيث البناء المدروس والخط المنطلق الرشيق والموضوع الهادف والحيوية النابضة . وهى فى مجملها بحث رائع من أبحاث « الجروتيسك » التى تتســـم بالملهاة الكوميدية ذات الصبغة الانسانية .

وكثيراً ما نرى الفنان وقد لجأ الى تصوير المدينة الحديثة على هيئة غـابة أسطورية تسكنها الأشباح والشياطين والمخلوقات الممعنة فى الغرابة والسخرية ، فهى خليط بين الحيوانات والآدميين .. كما فعل الفنانون فى القرن الثالث عشر ، حيث تميزت تلك الحقبة من تاريخ الفن اليابانى بهذه الملامح الخرافية .

واذا كان هذا التعبير القاسى يبدو غريباً وشاذاً من وجهة النظر العقلانية ، الا إنه تجسيد منطقي من وجهة نظر الفنان لروح العصر الذى غلبت عليه سيطرة المادة وتداعى القيم والفضائل وشراسة آلات الحرب والدمار .. ولذلك ، انتهج كلاى نوعاً خاصاً من





▲ معزوفة لمن يفهمها

▶ الكارثة

السيريالية النقدية اللاذعة بأسلوب جماهيرى بسيط وكأنه السهل الممتنع ، فترى انفعالاته من خلال رسومه قد تثير الضحك ، ولكنها تبعث على الشفقة !

الفنان وأطياف الغموض

وكأى فنـــان درس الفن الأكاديمى وتنقل بين (الأتيليهات) الدراســية ، كانت المرأة ـ كمصدر للالهام ورمز للجمال ـ ممثلة فى أعماله كومضة نور بين تراكمات الظلام النفسى الكئيب .. فنجد أن كلاى قد أظهر جمالها ومفاتنها فى صورة تكاد أن تكون مثالية بمقاييس الجمال الفنى والبصرى على السواء .

وقد جنح الفنان الى معادلات غامضة فى رسومه ، فقد صور الحيوانات بشكل جعل المحللين والنقاد فى حيرة .. ولكنهم اتفقوا على أن الرمز هو البناء الدرامى ومحور إبداعه بصفة عامة ، وأنه نتيجة منطقية لمعاناته وفلسفته الخاصة تجاه مجتمعه الصناعى (المتقدم) !

وبالرغم من أن هنريش كلاى بخيالاته وانفعاله وثورته ونقده اللاذع قد انفرد بأسلوبه المميز ، وأصبح علامة بارزة فى مسيرة الفن الألمانى الحديث ، إلا أننا لم نعثر فى المكتبات العالمية عن ترجمة لحياته مفصلة كباقى الفنانين الكبار ! وكل ما وصل إلينا عن الفنان لا يعدو أكثر من خمســـة كتب هى أقـــرب الى (الألبومات) المصورة ، اهتمت أساساً بنشر أعماله التى كانت تطبع تباعاً فى عدة صحف أوروبية شهيرة فى أعوام ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ ـ ١٩١٢ ـ ١٩٢٣ ـ ١٩٣٩ . وبعد هذا التاريخ الأخير احتجبت أعمال الفنان ، كما انقطعت صلته بالعالم نهائياً . ويبدو أن انتاجه الفنى كان مثل حياته الخاصة .. يلفه الغموض والانطواء داخل أسوار التأمل والعزلة الموحشة ، ولاشك ان تلك العزلة قد فوتت على الفنان فرصة التألق والانتشار العالمى اللائق بمن لديه مثل تلك العبقرية النادرة !

وفى كتابه الأخير عام ١٩٣٩ كان الناشر ـ فى مقدمته ـ يتساءل عن الأسرار الغامضة التى تلف حياة الرجل .. ولم يستطع أن يورد شيئاً ذا قيمة علمية لاستجلاء بعض جوانب حياته الطويلة المثمرة ..

ومن مجموع ما كتب عن كلاى فى كتبه الخمسة ، أوردنا هذه المعلومات التى يراها القارىء على هذه الصفحات .

ومن عجـب أن تاريخ وفاة الفنان .. هو أيضاً لم يعرف على وجه التحديد ! فقد قرأت فى مقدمة آخر كتاب من الكتب الخمسة ـ وقد صدر عن مؤسسة (دوفر) بنيويورك ـ أن تاريخ وفاة هنريش كلاى لم يكن أحسن حظاً من حياته نفسها .. كل شىء ينتابه الغموض .. فقد ذكرت بعض المصادر أنه توفى فى عام ١٩٤٠ ، وذكرت مصادر أخرى أنه مات فى الثانى من أغسطس عام ١٩٤٥ ، وطبقاً لمعلومات ثالثة أن تاريخ وفاته هو ٨ فبراير عام ١٩٥٢ !

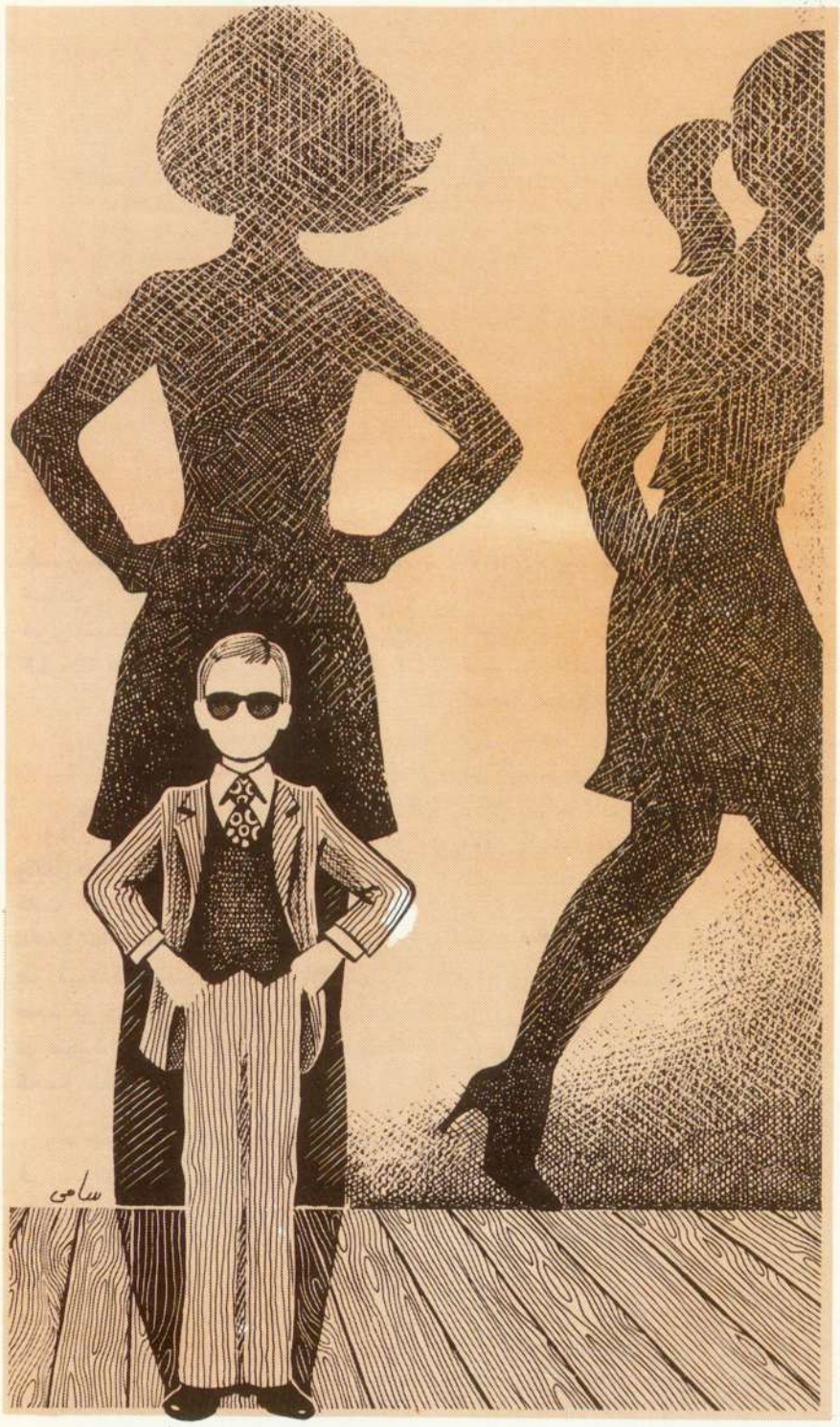
ولعل هذا التضارب لا يدع مجالا للشك فى أن الفنان لم يحفل فى حياته بأن يكون نجماً فى المجتمعات العامة ، أو أنه كان حريصاً على أن ينال أكبر قدر من التألق والشهرة ، وخاصة فى آخر أيامه ، بل آثر الانطواء والتأمل الهادىء حتى رحل عن هذا العالم ، حيث لم يخلق الانسان الا ليمتهن فيه كما عبر عن ذلك فى لوحاته الساخرة الخالدة !

جمال قطب

● قصـــة ●

الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية

بقلم : ديـزي الأمـــير



الساعة الثالثة صباحاً ، وهى مؤرقة جافاها النوم . لا تزال صورة المريضة التى فحصتها تلاحقها . تغمض عينيها فتراها أمامها وتفتحهما فتسمع حديثها .

لم تكن هذه أول مريضة تفحصها تعانى من مشاكل بيتية . ولكنها كانت تظن أن خدمتها فى الأرياف ، صورة مغايرة لما ستشاهده فى المدينة حينمـــا تنتقل إليها وترى مجتمعها الواسع المتعدد الطبقات الثقافية والمادية . ولكن الصورة تتضح أمامها اليوم ، فاذا هى واحدة . زوجة مظلومة لا تستطيع البوح بأمراضها البيتية فتلجأ إلى الطبيبة تطلب منها العلاج العضوى . والطبيبة عاجزة . يجب ان تقابل الزوج ، الأب ، الأخ ، الأم ، المجتمع .

يجب ان تعلن ان النساء المريضات لسن مريضات بالمفهوم الحقيقى انهن مريضات نفسياً . كيف تقول هذا للزوج والمريضة تتوسل إليها ألا تدع أحداً يعـرف أنهـا زارتهـا فى العيـــادة لاستشارتها .

المريضة التى تؤرقها اليوم لم تنجب بعد أطفالا والزوج يهددها بالطلاق أو الزواج من أخرى . ألا يكفي انها تخدمه كأَمَة ؟ تدلله كجارية ؟

لا .. لا لايكفى كل هذا يجب أن يصبح أباً والطبيبة واثقة ان الزوجة ليس بها ما يعيقها عن الانجاب ونصحتها ان يذهب زوجها لطبيب اخصائى ليتاكد من امكانيته هو.فارتاعت الزوجة وكاد يغمى عليها . هى تقول هذا لزوجها ؟! تطعن برجولته ؟! والمصير أيتها الطبيبة ؟ ما المصير ؟!

وسألت الطبيبة نفسها ، نعم ما المصير ؟!

لمن تقول هذا ؟ لا تستطيع التوقف عن العلاج فهذه مهنتها . لا تستطيع الصمت فالصمت لا يعالج .

وتعترف المرأة صاغرة انها هى

السبب . ولكنها بمساعدة الجارات الكتومات وغير الكتومات تصل عيادة الطبيبة تشتكى همها .

الساعة الرابعة صباحاً وعليها الاستيقاظ مبكرة للذهاب إلى المستشفى أولا ، ثم إلى عيادتها الخاصة وهى تكتشف فى كل يوم أن هناك عشرات الحالات من أمراض النساء هى امراض رجال متخلفين أو جبناء أو ادعياء أو .. أو ...

تراكمت ملفات المريضات الواجب كتمانها ، ولكن ما فائدة الكتمان ؟ هل تنتظر ان يتحضر الرجال فجاة ويتنور المجتمع ليفهم مشكلة المرأة المريضة غير المريضة ؟!

وحينما سجلت هذه النقاط أحست بعض الهم ينزاح عن كتفيها . القته على الورق ولكن المريضات الموعودات بالشفاء المنتظرات .. هل صارت مهنتها بيع الوعود ؟

وبتراكم الملفات تراكمت البحوث الطبية فنشرت الطبيبة واحداً منها تريد ان تلقى الهم على عاتق القارىء .

الطب أولا وأخيراً عطاء إنسانى قبل ان يكون مهنة . وتوالت أبحاثها فجمعتها فى كتاب نال شهرة واهتماماً من النقاد .

إنتقلت من طبيبة جسد إلى طبيبة نفوس وتساءلت إذا كان كتابها الجريء يلقى كل هذا الصدى الكبير لدى النساء والرجال ، فالمجتمع اذن ليس بهذا السوء .. فلم الخوف من البوح ؟

مرت مرحلة والطبيبة تعالج من يمكن معالجتها عضوياً ، وتعالج بابحاثها من لا تستطيع معالجتها جسدياً .

جاءتها مريضة ، الطب لا يصلح لمعالجتها جسدياً ولا بكتابة بحث . إنها قصة جديدة غريبة .

سجلت هذه الحالة على شكل رواية . نالت الرواية نجاحاً وأعيد طبعها وكذلك طبع الأبحاث .

نسي الناس أن القاصة طبيبة ولكنها هى لم تنس فلم تغلق العيادة . تحاول العلاج وتكتب . والقارىء يتلقى . والدنيا لم تتغير .

كانت الطبيبة جميلة وهذا ما أثار استغراب عارفيها .

طبيبة ذكية جميلة تتخلى بملء إرادتها عن الاستمتاع بمباهج الحياة لتعالج وتبحث وتكتب !

استقلت فى حياتها الخاصة تقلع أشواك الحياة بأهدابها وتحفر الأرض بأظافرها تزرع جذوراً . ستنبت لها شجرة تتفيأ بظلها وكتبت عن تجربتها فى الصراع مع الحياة . صراع امرأة وحيدة تريد حل مشاكل الأخريات وتأمين مستقبل واضح لهن .

حينما أعلن عن قرب افتتاح معرض الكتاب الذى اعتاد الجميع انتظاره سنوياً قررت الطبيبة المشاركة فيه .

تواصل رنين الهاتف من الصحف والمجلات يطلبون إجراء حوار صحفى تحدثهم عن كيفية تحولها إلى أديبة مع الاحتفاظ بعيادتها .

وكان اللقاء ينتهى باستغراب المحاور ان تنجح امرأة دون مساعدة رجل . وكان هذا السؤال اكثر ما يغيظها . ابعد كل هذا الكفاح مع النفس ومع الآخرين يسألونها عن دور الرجل فى حياتها .

قرأ الرجال مقابلاتها الصحفية وكذلك فعلت القارئات ، والفريقان تأملا طويلا صورتها بوجهها الجميل الصبوح .

وكذلك انقسم القراء فريقين . قسم يفخر وآخر يستغرب ويكذب ان يكون نتاجها الأدبى من صنعها حقاً . امرأة فى مثل وضعها خرجت من حائط أو هبطت من سقف تصبح لها هذه المكانة ولا يكون وراءها رجل .

أجمعوا على حسن سلوكها ولكن بعض القارئات همسن لبعضهن انها تعلن غير ما يعرف عنها القراء . وبعض القراء علق أن لا أهمية لنجاحها ما دامت لم تكون أسرة ناجحة . ومن يدرى فلعلها فشلت فى حياتها العاطفية وكان أن حولت مشاعرها لانتشال الاخريات .

صباح يوم افتتاح المعرض ذهبت إلى القاعة ووضعت سلة زهور ومساء كانت تقف بجوار كتبها ، والعاملون فى التليفزيون يثبتون أماكن آلاتهم والمصورون يتجولون .

مرت نصف ساعة على موعد الافتتاح ولم يصل المسؤول الذى سيقص الشريط

ثم .. سمعت ضجة وهرع الحضور من ادباء ومفكرين وسياسين ومصورين و .. وإلى الباب الخارجي .

لم تستطع رؤية الداخلين لشدة الازدحام .. بعد فترة تقدمت الموكب سيدة . سيدة جميلة انيقة تأملتها . لم يكن وجهها غريباً . هذا الوجه تعرفه ولكن لا تدرى اين .

خلف السيدة مشى رجل عرفته من أول نظرة . إنه المسئول الكبير الذى تملأ صورته الصحف .

اقترب وصوله من جناحها تتقدمه السيدة الجميلة الأنيقة .

كان المسؤول يتوقف قليلا أمام الكتب وحرمه تسرع فى مشيها ، فيضطر إلى اللحاق بها تستبقهما آلات المصورين ومصورى التلفزيون . كانت آلات التصوير مسلطة على العطر الفواح الذى ملأ قاعة المعرض .

ساعة وصلت إلى البيت أدارت مفتاح التلفزيون لتشاهد حفلة الافتتاح . آلة التصوير لم تنقل غير صورة العقيلة المصون ، وكشفت كم كانت تحمل السيدة جواهر براقة . ولكن التلفزيون لم يستطع نقل العطر الفواح الذى لا يزال يملأ أنفها

الصحف نشرت صورة المسؤول وزوجته الأنيقة الجميلة . أما الكتب فالحاجة إلى مجهر كانت ضرورية لاكتشاف وجودها . حدقت فى صورة السيدة الجميلة الأنيقة فتذكرت ... تذكرت أين التقت بها .

تعرف هذا الوجه تماماً مضافاً إليه بعض التجاعيد البسيطة وقليل من السمنة .

كانت السيدة الأنيقة زميلة لها فى المدرسة وكانت تجلس فى الصفوف الخلفية من غرفة الدراسة . فالترتيب يعتمد على سن التلميذات الصغيرات فى الصفوف الأمامية والكبيرات خلفهن .

تذكرت تماماً تلك الزميلة . عاصرتها لاشهر فقط كم نالت فيها تأنيباً من المدرسات على إهمالها وتغيبها وعدم تقيدها بنظام المدرسة الذى يفرض تسريحة بسيطة وفساتين موحدة الزى خاصة بالطالبات .

الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية

وتذكرت كذلك كيف اختفت تلك التلميذة فجأة وتكاد تتذكر ان الزميلات ظن انها تزوجت حامل شهادة دكتوراه وصل حديثاً من اميركا ليقنع أهله برغبته فى الزواج من زميلة أجنبية تعرف عليها هناك فكان أن أسرعوا بتزويجه من فتاة جميلة أنيقة لا تحب الاستمرار فى الدراسة .

رمت الصحف حواليها .. واستعرضت الماضى . هل ما تذكره هو الحقيقة أم أن غضبها أوحى إليها بكل هذه الأوهام ؟ قامت إلى الهاتف تسأل صديقة عن قوة ذاكرتها فاكتشفت ان ذاكرتها لم تتخيل شيئاً وما تمنت ان يكون وهماً هو حقيقة .

● ●

مرت سنة وجاء موعد إقامة معرض الكتاب السنوى ، ولكن هناك أموراً كثيرة تغيرت .

الطبيبة الأديبة انشأت داراً خاصة بها تنشر كتبها بعد أن تأكدت أن الرجال ليسوا اكثر جدارة من المرأة فى النشر والتوزيع .

القضية الأخرى الجديدة التى تناقلها المجتمع أن المسؤول الكبير انفصل عن زوجته بعد أن تعلق بسكرتيرته التى تصغره بسنوات .

حان الموعد وتجمع المصورون والصحفيون والعاملون فى التلفزيون وغطت الأضواء الساطعة الوجوه .

وقفت الأديبة الطبيبة أمام جناحها تتساءل كيف ستتصرف المسؤولة الجديدة ؟ وللعجب دخل المسؤول الكبير وحده . اين الزوجة القديمة هل تركها حقاً ؟ والجديدة هل يخجل من الاعتراف بها ؟

هذا المسؤول الذى يقرر مصير البلد الا يستطيع ان يقوى امام اغراء الصغيرات . واذا كان قد ضعف فأين هى هذه القوية الصغيرة .

ألف سؤال ازدحم فى رأسها قبل ان ترى المسؤول الكبير يقف فجأة امام جناحها ، وتتسلط الأضواء المبهرة للبصر عليهما معاً ، ويصافحها المسؤول ويهنئها على نجاحها لأن نجاحها على حد تعبيره نجاح لكل النساء . صمتت . كانت تتمنى لو تسأله : ألم يشاهد كتبها فى السنة الماضية .. والتى كانت معه ما مصيرها ؟ اهو حقاً معجب بالمرأة الذكية المبدعة ؟ واذا كان كذلك فلم اختار امرأتين لا أحد يدرى ايتهما اقل شأناً من الأخرى ؟

اذاع التلفزيون ونشرت الصحف صورها مع جناح كتبها والمسؤول الكبير يحدثها .

وتساءل البعض هل هى المرأة التالية فى حياته ؟ ولم يفكروا بسؤالها هي . ترضى أن تكون ظل هذا الرجل الذى لا يعرف أن يختار شريكة حياته ، ولا أن يحتفظ بها .

رأت غرفة الدراسة فى المدرسة الابتدائية وهى تجلس فى الصف الأمامى والمعلمة توبخ تلميذة تجلس فى الصف الخلفى على عدم حسها بالمسئولية نحو الدرس والمظهر والمواظبة .

كان موعد المعرض شهر شباط . ولما جاء آذار أقامت التجمعات النسوية على عادتها السنوية ندوات للمرأة فى شهرها يوم لها . ويوم لطفلها . ويوم لأمومتها . طلب من الأديبة الطبيبة المساهمة فى يوم المرأة .

حاولت أن تعتذر . فقد قالت فى كتبها ورواياتها وقصصها وأبحاثها ومقابلاتها الصحفية كل ما تريد قوله . فماذا يمكن ان تضيف ؟ ولكن مجرد ذكر اسمها فى ندوة كان سيضمن لها النجاح . قبلت بعد إلحاح وهى تتطلع إلى أكداس الملفات فى عيادتها وفى بيتها عن هموم المرأة وقضاياها .

جلست على المنصة مع الذين سيشاركون من نساء ورجال .

فى الصف الأمامى مع امتلاء القاعة كرسى شاغر .. كرسى فاخر مغاير لبقية الكراسى .

حان موعد البدء . ولكن مدير الندوة طلب التأجيل معتذراً من الحضور بأن ضيفة الشرف لم تصل بعد . حينذاك عرفت أن المسؤول الكبير جاءته الجرأة أخيراً ليعترف أنه تزوج سكرتيرته وأعلن هذا الزواج .

إذن فالكرسى الأنيق الشاغر ستملأه السيدة المهمة الجديدة .

وحينما بهرت عينيها أضواء آلات التصوير وتزاحم الناس يقتحمون الطريق جلست تنتظر بفضول خامل رؤية القادمة المكرمة .

تقدمت فتاة جميلة صغيرة رشيقة أنيقة ترتدي آخر صرعات أزياء الموسم لتجلس بهدوء مرتبك .

مرت دقائق طالت قبل أن يفرغ المصورون من التقاط صورة السيدة الجديدة الصغيرة الجميلة الأنيقة الجالسة على العرش . أما آلة تصوير التلفزيون فظلت مسلطة عليها .

حيا مدير الندوة السيدة ثم الحضور وأخيراً المناسبة وبدأ الكلام .

تحدث أول المفكرين ...

لم تصغ الأديبة للكلام .. مرت أمامها صور مريضاتها غير القادرات على البوح وتذكرت أكوام الملفات عما لا يمكن إعلانه .

جاء دور متكلمة ثانية ... سرحت الأديبة الطبيبة فرأت معرض الكتاب .. الأول والثانى وتوالى المتحدثون ..

سمعت مدير الندوة يلفظ اسمها لتتحدث وسمعت نفسها تقول بعد كل ما قيل : لن اضيف جديداً غير أن تعمل المرأة على ان لا تكون ظلا لرجل بل تعمل على أن تكون ..

وسكتت إذ ضجت القاعة بالتصفيق ولمع أمامها بريق حاد صادر عن العروس المرصعة بالخواتم الثمينة وهى تصفق بشدة .

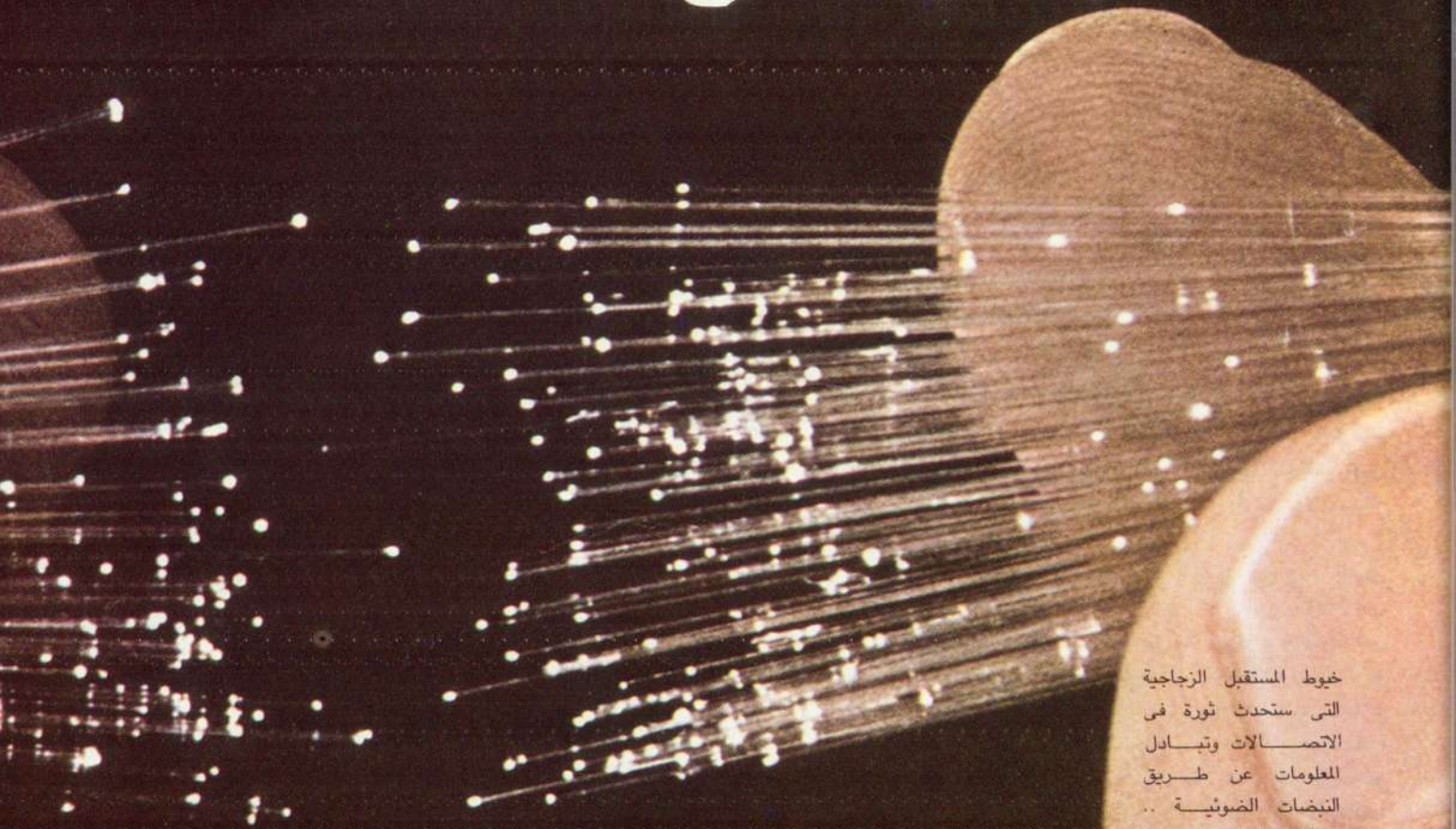
حجب بريق الجواهر المشع بالاضواء بصرها عن النظر إلى الصفوف الخلفية لترى ان كانت الزوجة السابقة للمسؤول الكبير قد عادت إلى مكانها هناك .

ديزى الأمير

د. عبد المحسن صالح

في عصر المعلومات :

كل شيء أمامك دون أن تبرح مكانك



خيوط المستقبل الزجاجية التى ستحدث ثورة فى الاتصالات وتبادل المعلومات عن طريق النبضات الضوئية .. وبهذا ستحل محل الاسلاك النحاسية .. كل خيط رفيع كشعرة الرأس ، ومع ذلك فانه سيكون بالامكان ارسال واستقبال ٤٠٠ الف مكالمة تليفونية بخيطين اثنين لا غير !

نحن ـ بلاشك ـ مقبلون على عصر فيه من انماط الحياة كل ما هو غريب ومثير ـ بل هو فى الواقع ـ أغرب مما نتصور ، لأن كل شيء يصنقل ويتطور ، وينطلق نحو آفاق واسعة قد لا تعيها عقول البشر ـ على الأقل عقولنا الحالية ـ رغم أنها تعيش فى عصر الذرة والصواريخ والحاسبات الاليكترونية ، والاتصالات والبرامج التى تنقل من الأرض والى الأرض عبر الاقمار الصناعية !

هناك ثورة علمية وتكنولوجية هائلة تنطلق كحصان جامح فى شتى مجالات المعرفة .. فى اعماق البحار ، واجواز الفضاء ، وملكوت السماء .. فى الطب والزراعة والمواصلات .. فى علوم الاتصالات والفيزياء والكيمياء والحياة ،

وكل ما يخطر لنا على بال .. لكن أى جانب من هذه الجوانب نختار ، حتى لا تتفرق بنا السبل ، ونتوه فى معمعة ليس لها من قرار ؟

دعنا نتعرض للتطور الهائل الذى حققه العلم فى خيط أرفع من شعرة الرأس ، لكنه اصبح بمثابة العين التى بها نرى ، والأذن التى بها نسمع ، والعقل الذى به نفكر ، والمعلم الذى يعلمنا ويثقفنا ، والطبيب الذى يكتشف الداء الخافى عن عيون الأطباء ، والمنقب عن الثروات الكامنة فى أعماق البحار ، والوسيط الذى يجمع بين الأصدقاء والأعداء على حد سواء .. إلى آخر هذه الانجازات الهائلة التى حققها هذا الخيط الرفيع ، والذى لا يوجد له فى الطبيعة مثيل ، لأنه ابتكار رائع لعقول نكية جاءت لتكون خليقة الله فى الأرض فتيسر حياة الناس ، وتنفعهم من حيث لا يعلمون

هذا الخيط اسمه الخيط البصرى أو الضوئى ، أو الحامل لموجات الضوء ، ولقد جاء نتيجة للتزاوج بين ابتكارين تكنولوجيين حديثين ، ظهر أولهما فى نهاية الخمسينات من هذا القرن ، وهو المعروف باسم اشعة « الليزر » .. وهذه الأشعة بدورها صورة جديدة لم تعرفها الأرض والسماوات من قبل ، لأنها لم تكتشف فى الطبيعة ، بل جاءت نتيجة لسيطرة الانسان على «ترويض» الضوء ، وتوجيهه من خلال تصميمات علمية خاصة ، ليصبح أقوى وأعنف ضوء عرفته البشرية حتى الآن ، فلو انه قد سلط على شىء ، فانه يرفع درجة حراراته الى مائة مليون درجة للحظة خاطفة .. اى اقوى بكثير من حرارة جوف الشمس (٢٠ مليون درجة) .

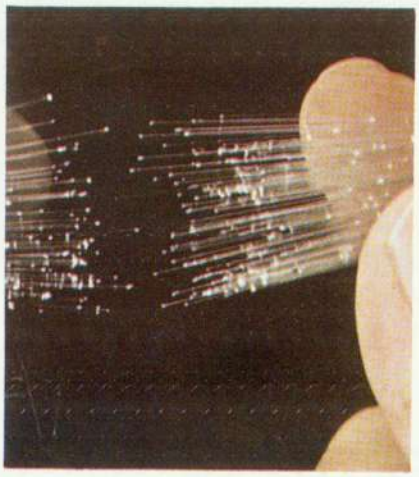
والحديث عن اكتشاف اشعة الليزر ، وما تبع ذلك من تطبيقات كثيرة ، قد يتشعب ويطول ، وقد نتعرض له فى دراسة أخرى منفصلة ، ولهذا كان لزاماً علينا أن نعود الى خيطنا الرفيع الذى يتعامل مع هذه الأشعة الرهيبة ، وينقلها من مكان لآخر بسرعة الضوء .. والخيط من زجاج ، وهو نقى وشفاف غاية الشفافية ، ولو امكن تجمع هذه الخيوط وتكديسها على هيئة جبل ارتفاعه مئات أو آلاف الأمتار ، ثم نظرت اليه من القمة فانك تستطيع ان ترى من خلاله كل ما يرتكز عليه هذا الجبل الشفاف المتكون من خيوطنا الزجاجية النقية .

وصناعة هذه الخيوط الرفيعة ليست صعبة ، اذ هى ميسرة جداً لأى فنى يتناول صناعة الادوات الزجاجية ، ومع ذلك ، فهو لا يستطيع أن يقدم لنا خيطاً زجاجياً ينفع لنقل أشعة الليزر ، لأنها ستتشتت وتضيع ، ولهذا قضى العلماء سنين طويلة من أجل تطوير هذه الفكرة ونحن لن نتعرض هنا لتفاصيلها حتى لا نتوه ، لكن يكفى ان نذكر ان « قلب » هذا الخيط العجيب يتكون من أكثر من مائة طبقة من مواد كيميائية مختلفة مترسبة فوق بعضها البعض ، وهذا يعنى ان تلك الطبقات رقيقة غاية الرقة ، وهى التى تقوم بتوجيه أشعة الليزر وصيانتها من التشتت حتى تصل الى هدفها .

الحاضر والمستقبل

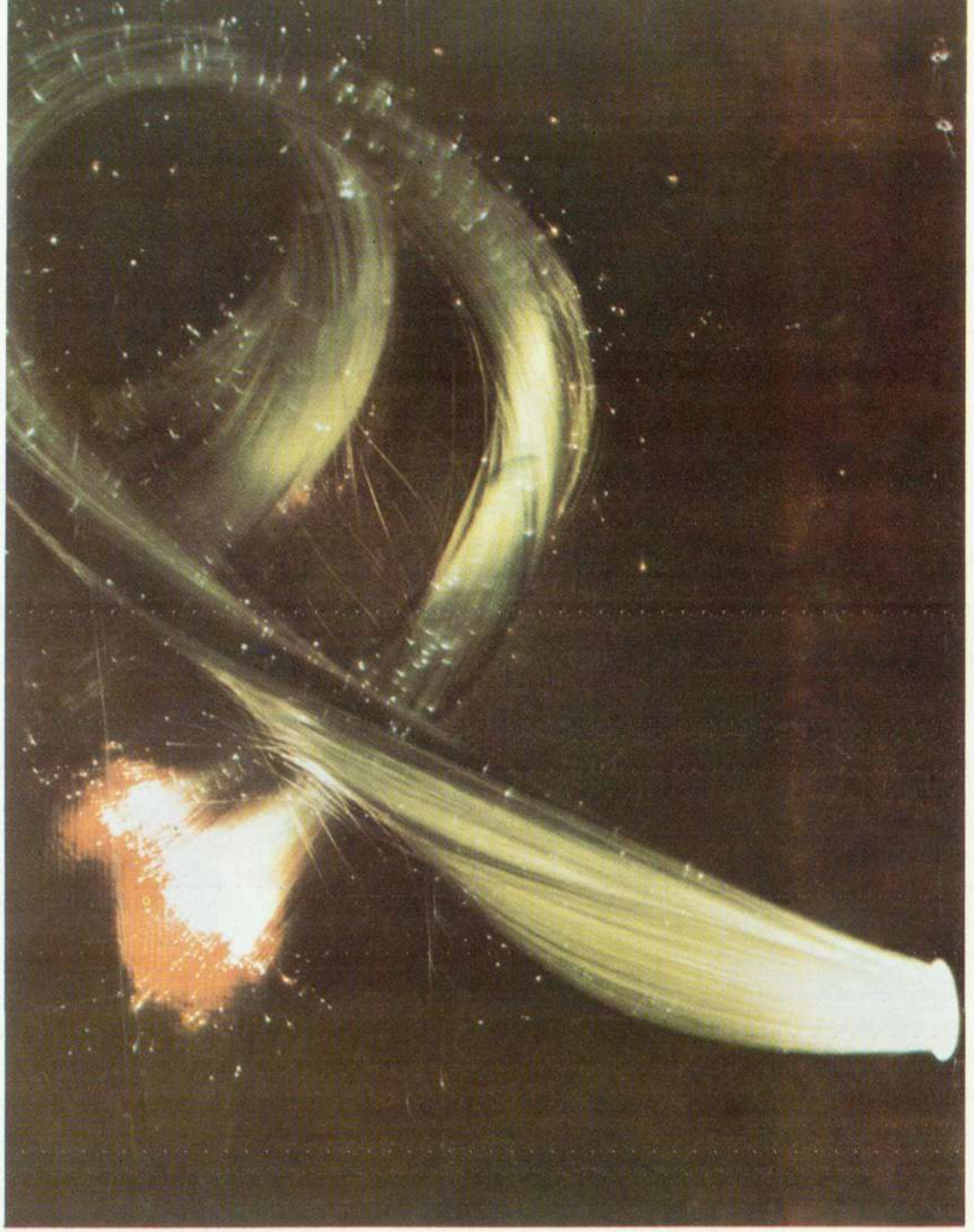
وقد يقول قائل : ان استخدام السلوك المعدنية الرفيعة المصنوعة من النحاس قد اثبتت كفاءتها فى كل التوصيلات الكهربية التى نراها فى التليفون والراديو والتليفزيون ونقل الكهرباء وتوزيعها لكل مستفيد .. بشراً كانوا أو أجهزة أو آلات .. فلماذا اذن اللجوء الى خيوط من زجاج ؟ .. اليس ذلك مغالاة ورفاهية لا مبرر لها ؟

ليس ذلك تماماً ، لأن اسلاك النحاس ـ وان كانت صالحة للتوصيلات الكهربائية ، الا انها ليست كذلك بالنسبة لأشعة الضوء المركز ـ اى الليزر .. اضف الى ذلك ان عملية التزاوج بين هذه الأشعة وبين خيوط الزجاج الموجهة والناقلة لها ، قد دفعت البشرية للدخول فى ثورة تكنولوجية اكفأ واعظم من كل ثورة سابقة ، أو كما يعبر عنها دكتور البرت بندر ـ وهو واحد من رواد هذا العلم ـ بقوله « انها سحر » !



ان سر التقدم الحقيقى والسريع للبشرية يعتمد أساساً على تبادل المعلومات ونقلها بطريقة شائعة وميسرة ونحن ـ فى الواقع ـ نعيش فى هذا العصر ، لكنه بالنسبة للأجيال القادمة قد يصبح عصراً بدائياً ، لأن مجتمعات المستقبل ستكون بحق مجتمع المعلومات التى تصب فى كل ادارة وصحيفة ومصنع وبيت .. الخ ، صحيح اننا نستقبل فى بيوتنا ما يدور حولنا فى عالمنا المعاصر ، لكن ذلك يتم عن طريق محطة ارسال واستقبال .. اى ما تختاره لنا محطات الاذاعة والتليفزيون من برامج ، أو ما تحمله لنا الصحف والمجلات والكتب التى اصبحت جزءاً من حياتنا ، لكن عالم المستقبل هو الذى سيختار ، فينتقل اليه فى بيوته كل ما يتوق الى رؤيته أو الاطلاع عليه ، دون أن يبرح مكانه ، أو يكلف نفسه مشقة النزول الى الأسواق أو المكتبات أو حتى التوجه الى المستشفيات وعيادات الأطباء ، لأن تكنولوجيا الخيوط الضوئية ستصبح ميسرة للبشرية ، تماما كما تيسر لها التليفون أو الهاتف فى اتصالات محدودة عن طريق الأسلاك المعدنية !

خذ لذلك مثالا ، حتى يتضح لنا الفرق بين عالمنا ، وعالم الغد المثير .. ولنفرض الآن ان رجلا اراد ان يقوم بجولة فى الأسواق ، لينتقى معطفاً أو ثلاجة أو سيارة أو كتاباً .. الخ ، ان ذلك يستلزم ـ بطبيعة الحال ـ ان يرتدى ملابسه ، ويترك بيته ، ويركب مواصلة عامة أو خاصة ، ثم ينزل إلى السوق ، ويلف ويدور ويستعرض ويشترى ويدفع ويعود الى بيته .. وفى هذا مضيعة للوقت والجهد والطاقة .. لكن انسان الغد لن يسلك مثل هذا السلوك البدائى ، بل عليه ان يضغط على زرار ، فيحدث اتصال فورى ، وعندئذ تنتقل اليه ـ على شاشة كبيرة فى احدى حجرات منزله ـ المعروضات التى يرغب فى شرائها .. انه يريد شراء حذاء أو سرير أو معطف ، وعندئذ يظهر على الشاشة البائع أو البائعة ، وهى تعرض عليه كل الموديلات واسعارها ، انها تراه كما يراها ، وكأنما هو قد ذهب بالفعل الى محل المعروضات



من ميزات الخيوط الزجاجية المعاملة بالمواد الكيمائية التى تترسب طبقات من فوق طبقات فى تجاويفها الداخلية .. ومن مميزاتها أنها تنثنى ـ كما تراها هنا ـ دون أن تنكسر .. لاحظ كيف تستقبل هذه الحزمة مصدراً ضوئياً (إلى اليمين) فينطلق فيها ، ثم يخرج من الناحية الأخرى .. ثم ان البقع الضوئية المبعثرة هنا وهناك تنبثق بدورها من خيوط لا تكاد ترى .

رغم انه لم يبرح مكانه ، الفضل فى ذلك يرجع الى تلك الخيوط الضوئيـــة التى تصل بين البيوت والمحلات والشركات والأفراد والمطارات والمكتبات والمدارس والجامعات .. الخ .. الخ ، المهم أن تدفع لذلك اشتراكا كما تدفع فى عصرنا الحاضر اشتراك التليفون لمصـــــلحة التليفونات ، وان تشترى طبعاً الجهـاز المتصل بمحطات الأرسال المقامـــة فى الأماكن المختلفة ، والمتصلة عن طريق هذه الخيوط الضوئية العجيبة ، لتربط الناس بالناس ، أو بأى شىء آخر !

والواقع ان عالم الغد ـ أو عـــالم المعلومات ـ سيكون أغرب من الخيال ، لكن الخيال سيتحول أن آجلا أو عاجلا الى حقيقة ملموسة ، لأن علماء العصر الحاضر قد وضعوا البذرة ، وامدوهـــا بعصارة عقولهم حتى تحولت الى نبتة صغيرة ، وبمزيد من الصقل والتطور فى الأفكار والتطبيق ، سوف تنمو النبتـة لتتحول الى شجرة باسقة تغذى عقول الناس لا بطونهم ، لأن ثمارها هى المعرفة وفرق كبير بين غذاء العقول والبطون !

ان فكرة هذا التطور الهائل ليس من السهل تقديمها فى هذا المجـــال ، لأن ادراكها يستلزم الالمام بمبادىء علـــوم الاليكترونيات والموجـــات والمـــواد والخامات الداخلة فى تكوينها ، هـــذا بالاضافة الى معرفة أساسية بتفاصيل الأجهزة التى تســـتخدم فى ارســـال واستقبال « تيارات » الضوء خلال الياقنا السحرية .. لكن ابسط تقديم لهذه الفكرة هو ما ذكره مائيوتيكولسكى فى احـدى المجلات العلمية ، وفيها يقول : تصور شعاعاً من الضوء النـــابض أو المتردد بمعدل ٤٤ر٧ مليون مرة فى الثانيـــة الواحدة (نضيف الى ذلك ان بعض العلماء قد نجحوا فى جعل هذا التردد بليون مرة فى الثانية) .. خذ الآن هـذا الشعاع ووجهه نحو خيط زجاجى لا يزيد سمكة عن ٠٠٠٢ر٠ من البوصة ـ أى بسمك الشعرة .. وعند الطرف الذى يستقبل الشعاع ، حاول ترجمة نبضات الضوء إلى معلومات مفصلة ، أى صوت بشرى (لأن الصوت بدوره ترددات صوتية خاصة) أو صورة تليفزيونية .. ان هذا يمثل لنا أساسيات الثـــورة

التكنولوجية التى نسميها الخيوط البصرية.

انتهى تقديم تيكولسكى للفكرة ببساطة شديدة ، الا أن الموضوع أعمق وأعوص من ذلك بكثير ، لكن يكفى ان نذكر ان التطور الهائل الذى ينتظر هذه الثورة الجديدة ، يرجع الى كفاءة خيوط الزجاج المعاملة بالمركبات الكيميائية . (التى اشرنا اليها) فى نقل اشعة الليزر وتحويلها الى سيل جارف من المعلومات التى تنطلق فيها كنبضات ،لتتحول فى النهاية الى صوت وصورة ، فتجعل هذا الكوكب العظيم ، كأنما هو بين ايدينا ، أو تحت سمعنا وبصرنا !

ان كفاءة الخيط الزجاجى الواحد مقدر له فى المستقبل القريب أن يستوعب حوالى ٤٠٠ ألف خط تليفونى فى وقت واحد .. اى ان الكلام الذى ينطلق من ٤٠٠ ألف انسان يجرى جيئة وذهاباً فى خيط ودون ان يتداخل حديث انسان مع حديث انسان آخر .. اى انجاز عظيم يربط بين سكان مدينة كبيرة فى خيطين زجاجيين لا يزيد سمك الواحد منهما عن سمك شعرة فى رأس انسان أو شاربه ؟

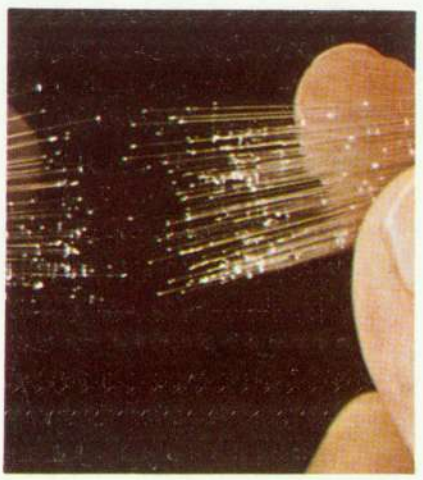
ولنا هنا وقفة تأمل .. ولنتصور فيها حجم ووزن الأسلاك النحاسية المغلفة بأنسجة عازلة ، والتى تربط بين التليفونات والسنترالات ، وما يتبع ذلك من استهلاك فى الطاقات والخامات .. ولاشك ان تكنولوجيا الخيوط الضوئية ستوفر كل ذلك ، ربما بنسبة واحد الى عدة مئات أو ربما عدة آلاف .. كل هذا يعتمد على تطور تكنولوجيا المستقبل التى خطونا نحوها الآن خطوة متواضعة .

بل أن واحداً من أشهر المفكرين بالتنبؤ العلمى هو آرثر كلارك ، الذى صدقت معظم تنبؤاته عن المستقبل ، يذكر انه بعد مائة عام من الآن ، لن يحتاج الانسان الى ادارة قرص التليفون لطلب رقم معين ، ولا كذلك الضغط على ازرار ، بل قد يكفيه ان يتحدث الى « عقل » اليكترونى طالباً منه ان يوصله بالمدعو بيل سميث ، ويضيف كلارك قائلا : أو قد تقول : اطلب لى رقم ٥٥١٢ ـ ٣٤٥ ـ ٢١٢ ، وعندئذ يجيبك العقل الاليكترونى : بكل تأكيد انت تريد ٥٥٢١ ـ ٣٤٥ ـ ٢١٢ . (لاحظ ان العقل الاليكترونى قد عرف الخطأ وصححه فى الرقم الكائن الى اليمين ـ اى ٢١ بدلا من ١٢) .

أهداف المستقبل .

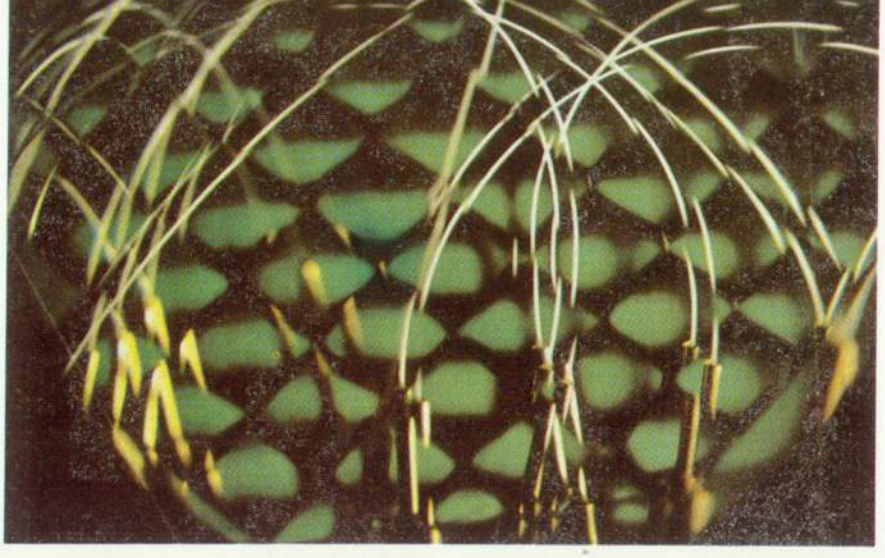
وطبيعى أن شيئاً لا يأتى من لا شىء ـ فالحاسب أو العقل الاليكترونى لا يصحح الخطأ بذاته ، ولا هو أكثر ذكاء من الانسان ، بل يرجع ذلك الى ذاكرة اليكترونية تحتفظ بطوفان من المعلومات ثم تقارنها بما يرد اليها ، وأذكر ـ فى هذا المجال ـ اننى كتبت سؤالا على آلة كاتبة متصلة بحاسب اليكترونى فى معمل الفيزياء القومى بانجلترا أثناء قيامى باجراء بعض البحوث هناك ، وقد طلبت فى سؤالى ان يدلنى على اسم اليوم الموافق لتاريخ ميلادى وهو ٣١ فبراير ، وعندئذ جاءنى الرد مكتوباً على شريط هكذا : ان هذا سؤال ساذج ..جرب سؤالا معقولا ـ اى ان الحاسب الاليكترونى ليست لديه معلومات عن وجود ٣١ يوماً فى شهر فبراير (فهو اما ٢٨ أو ٢٩ يوماً) .. ولقد اردت خداعه ، فلم تجز عليه الخدعة ، أو بمعنى ادق : لم تجز على صاحب الفكرة الذى أمده بالمعلومات الصحيحة ، ليحتفظ بها فى ذاكرته الاليكترونية .

كل هذا قد يهون بجوار الانجازات المثيرة التى ستتحقق فى هذا المجال ، فمن الممكن ان يعود الولد أو البنت الى المنزل ، وهو أو هى مستوعبة لدرس الحساب أو الهندسة أو الجغرافيا الذى تلقاه أو تلقته فى المدرسة ، ولن يحمل الوالدان لذلك هما ، لا فى درس خصوصى ولا خلافة ، اذ كل المطلوب أن يضغط احدهم على عدد من أزرار خاصة لها شفرة محددة ، ومتصلة ببنك المعلومات فى المدرسة أو الوزارة ، فيحضر اليه مدرس الجغرافيا بادواته وسبورته ونماذجه التوضيحية ، لكنه لن يحضر بذاته ، بل يراه امامه ، فى هيئة صورة مجسمة ، وكأنما هو بالفعل فى فصل دراسى ، فيعيد شرح ما فاته استيعابه ، فاذا أراد تكراراً ، كان له ما يريد .. فيضغط على الأزرار .. يحصل على المزيد !



أو قد لا يحتاج التلميذ الذهاب الى مدرسة ، خاصة فى الأماكن النائية ، وعليه ألا يحمل لذلك هما ، اذ يكفيه ان يصل بيته بهذه « الشعرة » من ناحية ، وبمركز الدروس الخصوصية من ناحية أخرى ، فيأتيه مدرسو كل المواد ، واحداً بعد الآخر ـ صوراً مجسدة ـ لا أجساداً حقيقية ، ومع ذلك فهى تحمل معها كل الوسائل التوضيحية ، فتكون الدروس دروس العمر ، لأن المدرسين الذين سيحضرون الى بيته (صوراً) سيكونون بلاشك من أكفأ المدرسين علماً وشرحاً وتوضيحاً ، وبحيث يحببون التلاميذ فى دروسهم ، ويجذبون انتباههم ، وهذا مالا يتأتى فى كثير من مدارسنا أو جامعاتنا الحالية .

انت مثلا تريد ان تقرأ كتاباً فى مكتبة عامة ، أو تطلع على محتويات متحف من المتاحف ، أو من المدمنين على قراءة الصحف والمجلات ، أو من هواة الأنشطة الرياضية .. الخ ، لكن لا تحمل لكل ذلك هما ، لأن هذه الخيوط الحاملة للحزم الضوئية ستتولى ذلك .. اذ ستكون متصلة بجميع مراكز الأنشطة الثقافية والترفيهية والتعليمية والسياحية وما شابه ذلك ، وكل مركز من هذه المراكز لديه بنك معلومات يحتوى على كل ما يخطر ومالا يخطر لك على بال ، ولكل منها شفرات خاصة مسجلة فى دليل يشبه دليل التليفونات الحالية فى الشكل ، وليس فى المضمون ، وعليك ان تنتقى الشفرة الخاصة بأية معلومة أو نشاط يهمك معرفته .. وما عليك الا ان تضغط على عدة ازرار ، (أو حتى تتحدث مع العقل الاليكترونى طالباً منه ما تريد) فاذ بعناوين الصحف الصباحية ، أو ملخصات الأنباء ، أو صور الأحداث تظهر امامك على شاشة كبيرة ومريحة ،



دوائر من الخيوط الزجاجية الناقلة للنبضات الضوئية بعد أن تم استخدامها فى بعض الأجهزة العلمية .. وهى هنا تتداخل وتنتظم فى احدى مكونات جهاز للتجسس أو الاستكشاف فى ظلام الليل

أو قد تنتقل محتويات المتحف الى منزلك كصور مجسدة ، وكأنما أنت تنتقل فى المتحف من حجرة الى أخرى ، أو من ركن الى ركن .. يحدث كل هذا وأنت مسترخ على كرسى مريح ، ودون ان تبرح مكانك ، ثم ان ذلك وفر فى الجهد والوقت والطاقة المستهلكة فى المواصلات ، اذ مما لاشك فيه ان انسان المستقبل سيكون مشغولا بأمور كثيرة ، وقد لا يجد وقتاً كافياً لذلك ولهذا يتنبأ بعض العلماء بأنه بالامكان انجاز حوالى ٩٠٪ من الأعمال المكتبية والادارية الهامة دون ان يبرح الانسان بيته ، لأن التكنولوجيا الجديدة ستضع امامه كل الملفات والبيانات والرسومات وما شابه ذلك ، وعليه ان يتخذ فيها القرارات دون ابطاء ، لأن المحادثات أو المناقشات بين الرئيس والمرؤوسين ستبدو وكأنما هى تتم فى مكتبه ، فهو يراهم ، وهم يرونه عن طريق تصميمات اليكترونية وضوئية خاصة ، ولا يهمه هنا ان كانت المسافات بين الرئيس والمرؤوسين عـــدة أميال ، أو عشرات أو مئات الأميال !

انت مثلا لا تستطيع ان تحضر مؤتمراً علمياً ، أو ندوة أدبية ، أو مجلساً من المجالس الرسمية التى تؤخذ فيها قرارات هامة ، وذلك لسبب طارىء يمنعك من المشاركة ، لكنك تستطيع ان تحقق ذاتك دون ان تبرح مكانك ، لأنه بالامكان ان تكون معهم ، ويكونوا معك ، وتناقشهم ويناقشوك ، أيضاً وجها لوجه ، لأن تكنولوجيا المعلومات سوف تنقلك اليهم صورة أو صوتاً ، أو تنقلهم اليك صوراً واصواتاً ، لتعيش ـ وأنت فى منزلك ـ فى جو المؤتمر المنعقد فى مدينتك ، أو خارجها ، أو حتى فى دولة أخرى غير التى تنتمى اليها .

الانجازات بعد ذلك كثيرة ومثيرة ـ لكن يكفى ما قدمنا فاوجزنا ، لنعرف الى أى عصر نحن مقبلون .. وفيه سوف يبدل العلم الأمور ، فيجعل العسر يسراً .. والخيال حقيقة .. ربما فى حياة هذا الجيل ، أو فى أجيال ما بعد عام ٢٠٠٠ .

والواقع أن سبل الاتصالات ، وتبادل المعلومات ، بين الأفراد والدول والجماعات ، يمكن ان تتم من خلال طريقتين أساسيتين .. ففى الأولى يتم الاتصال عن طريق نبضات كهربية تنشأ من مكان ، وتنتهى فى آخر ، مارة خلال وسط معين ، أو قنوات تتولى نقلها ، مثال ذلك فكرة التليفون ، اذ تتحول الموجات الصوتية نبضات كهربائية فى سماعة التليفون ، فتنقلها اسلاك الى الطرف الآخر ، لتتحول مرة أخرى من نبضات كهربية الى موجات صوتية ، وكذلك الحال مع التليفزيون ، اذ تتحول الاشارات الى موجات ، ثم يتم نقلها خلال كابلات خاصة الى اجهزتنا ، فتتحول فيها الى صوت وصورة .

وفى الطريقة الثانية يتم الاتصـــال عن طريق شفرات Codes أو نبضات تتفرق وتتجمع ما بين المنبع والمصب (اى يمكن تشبيهها بتفصيص الرسالة المكتوبة الى رموز من نقط وشرط) ، وطبيعى ان لهذه الشفرات اجهزة تفصصها الى ما يشبه النقط والشرط ، أو (٣ ، ٠) ـ أو أية شفرة ثنائية من ذلك النوع المســـتخدم فى الحاســـبات الاليكترونية التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من أية تكنولوجيا متقدمة فى تبادل المعلومات ، وهذه الطريقة يطلق عليها اسم التغير الشفرى النابض ، ومن الممكن هنا ادخال الضوء أو أشعة الليزر كمصدر نابض أو متردد ، لكن من خلال أجهزة خاصة تقوم بهذا العمل ، وبها يمكن تفصيص شعاع الضوء الى ترددات تصل الى ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١ فى الثانية الواحدة ، ثم ان هذه الترددات يمكن اعتبارها بمثابة الشرط والنقط التى نستخدمهـــا فى التلغراف أو الحاسبات الاليكترونية ، وكل تردد قـــد يرتفع وينخفض على حسب المؤثر الذى يأتيه من خارجه ، وليكن ذلك صوتاً بشرياً متداخلا فى هذا التردد ، لكن الصوت ذاته يمكن تفصيصه الى ٨٠٠٠ تردد أو شفرة فى كل ثانية ، وعلى حسب نبرة الصوت ، تكون الترددات أو النبضات أن ارتفاعاً أو انخفاضـــا ، وعندئذ تنتقل خلال الألياف الضوئيـــة كمعلومات أو اشارات ضوئية ، وبحيث يمكن تجميعها مرة أخرى ، لتتحول الى صوت أو صورة .. كل هذا يتوقف على الأجهزة التى تتناول هذه المؤثرات بالتحليل والنقل والتجميع .. الخ .

لكن لا علينا من كل ذلك ، حتى لا نزج بك فى متاهات .. فالعلم لديه الآن كل الامكانات .. ميكروفونات تلتقط ، وكاميرات تسجل ، واجهزة تفصص ، واشعة تتداخل وتتردد ، وخيوط زجاجية تنقل وتوزع ، وحاسبات اليكترونية تختزن وتحلل وتقرر .. الخ ، وفي النهاية شاشات كأنما هى البساط السحرى الذى يحلق بنا فى آفاق المعرفـــة الواسعة ، أو هى بمثابة مصباح علاء الدين والجنى الذى ورد فى اساطير القدماء ، وكأنما هو يقف بين ايدينا قائلا « شبيك .. لبيك .. انا عبد بين يديك » .. لكن الأساطير قد تحولت الى حقيقة واقعة ، بفضل التكنولوجيا المتطورة ، التى تقف وراءها عقول مفكرة !

ان مهمة العلماء الآن تتركز فى عمليات تزاوج بين كل الأجهزة المكتشفة لتجعل منها وحدة واحدة ، وترتبط بينها فى جهاز واحد متطور .. طبيعى اننا لانجنى ثمرة الاكتشافات العظيمة بين يوم وليلة ، لأنها غالباً ما تصطدم بعقبات يجب التغلب عليها أولا ، وهذه تحتاج الى صقل أعظم ، وتطوير اتقن ، وجهد أكبر ، وزمن أطول ، ليتحقق حلم من احلام البشر ، طال الزمان أو قصر .. وان غداً لناظره قريب .

د . عبد المحسن صالح



الدور الشاهدة على الماضي التليد المعاش في مدينة فاس والحاضر المتجدد

فاس

مدينة لا تبوح بأسرارها إلا للمحبّين!

بقلم وعدسة: إبراهيم الصلحي

كان من بين ما يحكى لنا ، ونحن صغار ، عن مدينة فاس ، عبارة تقول أن ليس وراءها ناس ، وانطبعت في أذهاننا تبعاً لذلك صورة رهيبة ظلت تنعكس على مر الأيام في مخيلتنا شبحاً مبهماً لمدينة تعبق حواشيها بالغموض ، ذات أسرار وألواح ودسر ، تربض كأبي الهول عند حافة بحر الظلمات ، نهاية الدنيا والعالمين . حيث المخاطر جمة والأهوال ، الذاهب نحوها لا محالة هالك مفقود ، والعائد منها مولود، وأي مولود تذبح له الذبائح ، وتقام لشأنه الولائم حمداً على سلامة العودة والوصول .

ومرت أيام وأعوام ودهور ، حلقت بعدها طائراً على بحر شديد الزرقة مشمس مضيء ، تلت حافته المعمورة ، حيث السهول ثم التلال فالجبال والوديان الخضر ، ثم هُبطَ بنا أرضاً يفوح منها البشر والخصوبَة ، ثرة معطاءة ذات أريج ومروج تجود بالكرْم والتمور والتين والبرتقال والزيتون .

ودلفنا الى داخل المدينة راكبين ، طالعتنا عند فاس الجديدة ، اعلام العرب ترفرف عالية كعهدها خفاقة ،



دروب مدينة فاس القديمة تواصل
الحياة والشباب المتجدد والعمل



سوق الصباغين حيث أفواه المشاغل كالكهوف التى يأتيك صوت المياه من أعماقها .. وفى اللقطة الأخرى فاس الحديثة برونقها وجمالها



والدور والأشجار والحدائق الغناء والطرقات واللافتات كلها أهل وسهل للوافدين تحية « لا بأس ـ لا بأس » وكيف البأس ونحن هنا فى جنة من جنات الله فى أرضه . تزخر بالخير والخيرات وبالرجال والنساء وبالشباب العامل والأطفال ، العمامة والبرنس والقلنسوة والجلابة والبلغة والسترة



أعمال النحاس المطروق الذى تدقه آلاف المطارق

فاس

والجينز ، بالماضى التليد المعاش ، والحاضر المتجدد ، الكل فى حركة دؤوب سلسلة من الهمة والنشاط والعمل .

الحبيب العائد

فى وسط هذا الزخم الحركى وقفت أبحث عمن يرشدنى الى الاسطورية فاس اخت مراكش ومكناس ، ولم أعدم من يتوقف لحظة ليدلنى مؤكداً أنها حية موجودة ترزق ، على مسيرة خمس كيلومترات فقط لا أكثر ، هى تقريبى السلام ، والطريق اليها سالم آمن معبد .

ولم أضع وقتاً بشروق شمس يومى الأول بالجديدة فاس . حملت الكاميرا وتزودت بما تيسر لنا من الأفلام . وتوجهت والشوق يهز جوانحى . أول الطريق اتساع ثم يضيق ، يتلوى بين التلال والزروع وافرع النهر ، يتعرج بين الجسور والقلاع والأسوار ، ثم يضيق اكثر فأكثر ، والدور شواهد تعلو على الجانبين ، ثم ينكشف الضيق فجأة عن ساحة متسعة الأرجاء نوعاً ما ، توقفت فى حدها السيارات والاتوبيسات . يقال لك ها انت وفاس التاريخ ، ولتبدأ بعدها مسيرة الأرجل !

تلفت حولى فلم أر سوى جدران ، رؤوس التلال من خلفهما تكاد تناطح السماء . لا يطالعك من الدور سوى نوافذ صغيرة بلا أبواب ، أعين وجوهها ملثمة منظر رهيب كنهه لا ولن يدرك لأول وهلة .

ينتابك الشعور الغريب بأن شيئاً ما فى هذه المدينة قد اشاح عنك بوجهه الترحاب . أولاك ظهره ولكن .. فى حياء وترقب وخفر ، تكاد تسمع الترداد بعد أن أضحت قريبة منك « هل أنت الغريب الحبيب الغائب العائد المنتظر ، هل أنت .... » والصدى فى تكرار رتيب همساً يجيب « المدن القديمة لا تبوح بأسرارها الا للمحبين ، أهل العشق والشوق والهوى » .

فاسائل نفسي ، من أين البدء وأنا بين ظهرين من فاس .

الدليل السياحى باختصار يقول ان اسمها مشتق من فأس وجد عند حفر الأساس ، وفى رواية أخرى أكثر تفصيلا يقولون انه كان من ذهب خالص ، أهداه سكان المدينة الأول إلى مؤسسها ومشيد عمرانها المولى ادريس الأول قرابة ألف ومائتى عام مضى ، ولا تزال دورها ودروبها المرصوفة وأسوارها وقنواتها قائمة تجارى الزمن على الضفة اليمنى من وادى نهر فاس ، ثم جاء عهد ابنه المولى ادريس الثانى فبنى عام ٨٠٨ م ، على الضفة اليسرى مدينة أخرى اسماها العالية ومع مرور الزمن قدم آلاف المسلمين من الأندلس واستوطنوا مدينة ادريس الأول والتى عرفت فيما بعد « بعدوة الأندلس » توالت بعدها موجات اثر موجات قدمت من القيروان واناخت رواحلها بالعالية ومن ثم تسميتها « بعدوة القرويين » وتكون من العدوتين معاً مدينة فاس ، مركز الاشعاع الثقافى والدينى فى البلاد منذ نشأتها ، الى أن هجرها المرابطون والموحدون الى مراكش حينا من الدهر ثم عاد إليها أوجها عاصمة للبلاد عام ١٢٥٠ م . إبان فترة دولة المرينيين ، وشهدت فاس توسعاً مضطرداً واشراقة كبرى بفضل مدارسها وجامعاتها الشهيرة علاوة على سمعة تجارية وصناعية ركينة ذات منتوج رفيع المستوى ، وجمال مآثر تاريخية لا تزال قائمة تحكى من المجد تليده ومن العمر مديده أو كما يرى .

صرخة الألوان

بقعة مباركة ، لله در من اختارها موقعاً ، مناخها اللطف بعينه ، خصيبة التربة سهلة الرى ، كثيرة المياه ، تنحدر إليها صافية من محابس فى أعلى الوادى نافذة عبر أنابيب قدت مراقدها فى الصخر ، تتخلل الدور والحارات والدروب والأزقة ، تغشى الأسواق والحوانيت والمشاغل والمصابغ والمدابغ رياً وطهراً .

ومع الماء دخلت الى باطن فاس ، ولجت من باب على جدار قصير القامة ، سبقتنى إليه بغال هى فى حجم الأسطورة ، ضخمة الكراديس خرافية والحمير المحملة والراجلة .



عندما دخلت إلى قلب فاس من باب على جدار قصير القامة

أول الدرب صمت وهدوء مشكل الألوان مزدحم الجنبات ، باعة ومتاجراً وبضاعة معروضة ، ويقود آخره إلى قنطرة احدودب العود منها وانحني ، تفتحت بعدها القماقم دفعة واحدة ، فورة بالحياة تنبض ، وتدق آلاف المطارق مرعدة مشقشقة ، الكير والنار لها اوار ، يطقطق منها الشرر ، ودخان يتصاعد فى كل مكان بساحة الصفارين . أعمال الفضة المجلية ، والنحاس المطروق والمباخر والأباريق والقدور ، تباين الحجم منها واللون فيها والصور .

وأخذت ميسرتى بسوق الصابغين على مهل ، الدرب فيها هابط وصاعد وهابط بلا درج ، والماء يجرى ويسيل من كل صوب وحدب ، وعلى الجنبين افواه المشاغل كالكهوف ، يرهقها ظلام ، داكنة يأتيك صوت الماء قادماً من الأعماق والأيدى عليه عاملة ، والماء يعرف كيف يجتذب السمع ، لتطل فى العتمة ، الأحمر القانى ولون البرتقال ، والأصفر الفاقع والأخضر الزرعى ، والأزرق والبنفسج ، خيوط القطن ، واصواف الغنم والنسيج والوبر ، أشعة تغمر الحارات والطرقات والدواب ، تنبع من داخل المشاغل الكهفية .

ظاهر الدور لا يحكى بواطنها ، كقشرة الرمان والثمر ، اطار القدم ما ظهر ، وما بطن .. لا يدانيه لا اللؤلؤ المنثور ولا الياقوت أو المرجان أو العنبر .

الساحات والدروب تتفرع دروباً وساحات أخر ، أجوس فيها تائهاً بين مكشوف ومفروش من الطرقات ، عرضها لا يزيد عن حمولة بغل ، واقتفى الأثر ، يقودنى الى حيث تصرخ الألوان فى أحواضها وتشتعل ، الناس فيه وجلود البقر والمعيز والغنم لونها الكركم والنيلة والحناء والكبدى ولون الدم ، تملأ الساحات بين الجدران ، على اسطح الدور شع قوس غنى لقزح . شاهداً للناس والحياة والعمل .

التراث فى أحضان الوادى

فاس تذكرنى بجدة لى عجوز معمرة ، اطال الله عمرها وابقاها ، هزم منها الجسد وشاخ ، ولكنها تواصل الحياة والشباب المتجدد والعمل ، كنا نداعبها بين حين وآخر ، بعد أن اغفلت ذاكرتها حساب السنين وعمرت ، بقولنا لها ممازحين .. كم عمرك الآن يا جدتى ؟ فتقول وكان سمعها كالفرس ، مالى وللزمان يا عيال ، حسبى انى أعيش واحيا ، حسبى وحسبكم انى حية موجودة أرزق ، واحمدوا الله على هذا يا عيال : حية موجودة أرزق !

وهكذا حال مدينة فاس القديمة «فاس البالى» كما يسمونها بالمغرب ، درة من درر تراثنا العربى الاسلامي ، ترقد آمنة مطمئنة في أحضان وادى نهر فاس شامخة تطل من بين اشجار النخيل والزيتون ، تعيد الى الأذهان مع الفارق غرناطة الاندلس المفقود ، غرناطة اليوم باسبانيا ، رغم الروعة وجمال المآثر المصانة ، قصور وحدائق ونوافير تغلب عليها برودة متحفية ، أما فاس ، حجراً هى كانت أم ذهب ، فهى التراث المعاش بعينه .

مزيج حضارى متجانس من الماضى والحاضر ، شواهد من القرون الوسطى ، وسحر اندلسي إلى جوار عصرنا الراهن !

مازالت حية

ودنت ساعة الرحيل بساحة القرويين فى وسط المدينة الأروقة المظللة ، برودة منعشة محببة تعبق بالند والبخور والبركات ، أبواب التوبة والطهر والغفران مفتوحة ممهدة ، والشمس فى كبد السماء شعاعها الدفىء ينير صحن المسجد ، والفسقية العتيقة الماء من حوالها يتناثر ، والفسيفساء المصقولة بخطى المحجلين الابرار ، والحصائر والأكاليم والزرابى مبثوثة من الحائط الى الحائط تمتد ، وأعمدة الخشب والآرابيسك والقيشاني تحتضن الحيطان ، والقرميد والسقوفات المزانة بالآيات والخطوط والرسوم الهندسية ، وبأصوات المصلين تحية ونافلة ، والأذان وقلوب المؤمنين الذاكرين العامرة .

تذكرت قولة جدتى المعمرة وحمدت الله أنها حية موجودة ترزق في الأرض والدنيا من حولها الفانية .

ابراهيم الصلحي



عملية استخراج السم من الثعبان تمهيدا لعمل المصل

أسرار عالم الثعابين!

ثعابين تذكرها الكتب السماوية

وقبائل تطلق الثعابين على أطفالها

د. محمد الغباشي ربيع

● مع مسيرة الزواحف التى استطاعت أن تزحف عبر ملايين السنين ضاربة الرقم القياسى فى الصراع من أجل البقاء ، نتحدث عن الزواحف القشرية التى تتمثل فى السحالى والثعابين أو الحيات .

وقد وضعت السحالي والثعابين فى رتبة واحدة ذلك لأن هناك بين النوعين ما يحمل صفات مشتركة ولأن الثعابين انحدرت من أصل السحالى ثم تطورت وأخذت شكلا آخر وطباعاً غير التى عليها السحالى ، وتشعبت الى عدة عائلات تمتاز كل منها بصفات خاصة !

أنواع الثعابين

والحيات أو الثعابين زاحفات قشرية أجسامها ممطوطة خالية من الأطراف وأحياناً توجد فيها الأطراف الخلفية على هيئة شوكتين على جانبى المجمع ، وليس لها جفون متحركة أو آذان ظاهرة ، وأسنانها مقوسة الى الداخل ، واللسان رفيع مشقوق له غمد فى قاعدة الفم !

وتعتبر الحيات والسحالى أكثر الزواحف المعاصرة عدداً حيث يوجد من الحيات فقط أكثر من ألفى نوع معروف ، وهى تنتشر فى جميع أنحاء العالم إلا أنها تكثر عدداً فى المناطق الاستوائية



الثعابين ذات الأجراس التى تعيش فى الصحارى والبرارى

وتقل فى الأماكن الباردة والمتجمدة !

ولقد نشأت الحيات من مجموعة من السحالى ، خاصة الحفارة التى كانت تعيش قديماً تحت سطح الأرض فى جحور من صنعها .

وعيون الحيات مستديرة وخالية من الجفون المتحركة ، ولكن يوجد عليها غشاء رامش أو الجفن الثالث ، واللسان رفيع مشقوق فى حركة شبه دائمة داخل وخارج الفم وهو عضو للحس وليس للتذوق ، ومن الحيات ما يسمى بالحيات العمى وينتشر معظمها فى المناطق الاستوائية .

وحركة الثعابين أو الحيات تنشأ عن تموجات جانبية يساعدها فى ذلك مفاصل خاصة على الأقواس العصبية للفقرات إلى جانب صفائح قشرية على السطح البطنى .

وثعابين البواء والأصلات أنواع بدائية ولها أسنان عديدة وهى غير سامة تعيش عادة فوق الأشجار وتختفى بين النباتات ومنها ما يعرف باسم (كلبرنيا) وهى تضم أكثر من ألف نوع كلها غير سامة ويرجع تاريخها الى العصر « الأليجوسينى » ومنها حنش الماء وهو واسع الانتشار .

وفصيلة أكلات البيض من الثعابين تستوطن قارتى آسيا وأفريقيا وهى تتغذى على بيض الكائنات الأخرى .

أما فصيلة الصلال فترجع الى العصر الميوسينى وهى بالغة السمومة وتضم الناشر والبخاخ والبرجيل وغيرها،ومن خواصها نشر العنق للارهاب وبث الرعب فى قلوب أعدائها ..

والحيات البحرية كانت تنتمى إلى فصيلة الصلال وأصبحت فصيلة مستقلة وهى مائية .

والأفاعى تعد من أرقى الحيات منها ذوات الأجراس ومنها الأفعى الأوربية بيروس. وذوات الأجراس تتميز بحلقات قرنية على الذنب مجوفة كالأجراس ينشأ من تداخل بعضها فى البعض الآخر رنين خاص ناتج عن احتكاك تلك الحلقات ببعضها ، ويكون هذا الرنين بمثابة الانذار والتحذير من الاقتراب منها أو محاولة النيل بها ، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه الاعتداء عليها .

والشكل الخارجى للثعابين عادة يتميز بثلاث مناطق هى الرأس والجذع والذنب وإذا تميزت الأعناق عن بعضها فهى عبارة عن الجزء الواقع بين منطقة الرأس والثلث الأول من الجذع ، وتختلف أشكال الثعابين أو الحيات اختلافا بينا ، فقد يكون الجسم اسطوانياً أو مفلطحاً بعض الشىء أو طويلا ضخماً أو رفيعاً أو سميكا قصيراً وأحياناً على درجة من الصغر يصعب معها تمييزه من دودة الأرض ..

ورأس الثعبان مستطيل رفيع أو عريض منبسط أو مستدير قد يكون فى ضخامة الجسم أو أعرض أو أصغر منه

والعيون إما صغيرة تختفى تحت حراشيف شفافة أو متوسطة الحجم أو كبيرة ..

والفم كبير تمتد فتحته إلى خلف العينين ..

والقشور التى تغطى ظهر الثعبان تسمى حراشيف أما التى تحت الذنب وعلى البطن فتسمى صفائح .

وقد يقتصر وجود الأسنان فى بعض الثعابين على أحد الفكين دون الآخر وقد تكون الأسنان ضامرة فى بعض أجناسها وغير موجودة فى البعض الآخر .. والأسنان إما مصمتة أو ذات قناة خارجية أو داخلية وهى عادة مدببة

أسرار عالم الثعابين!

ومقوسه إلى الداخل ويساعدها هذا الوضع على التحكم فى الفريسة أثناء البلع .

وكثيراً ما يفقد الثعبان أسنانه عند الدفاع عن نفسه أو أثناء البلع ذلك لأنها سهلة الانتزاع ، لكنه يستطيع أن يجدد أنيابه وربما أكثر من مرة طوال حياته .

ويتم زحف الثعبان بتقلص عضلاته القوية فى تموجات منتظمة شمالا ويميناً يساعده فى ذلك مرونة عموده الفقرى ومرونة الضلوع ، والثعبان فى الحالة العادية بطيء الحركة .

وبعد قتل الثعبان يلاحظ أن حركته قد تستمر عدة ساعات حتى ولو فصلت الرأس عن الجسد فان كلا منهما يتحرك ويرجع ذلك إلى قوة العضلات وحيويتها .

وغذاء الثعابين يتكون من الثدييات والطيور والسحالى والضفادع والأسماك وبعضها يأكل البعض الآخر .

الا أن بعض أنواع الثعابين يفضل طعاماً خاصاً، فالأفاعى تفترس صغار القوارض وصغار الطيور وبعض الحشرات . وحنش الماء يأكل الضفادع والأسماك أما الناشر والبرجيل فانهما يفضلان الفئران وأبو السيور يأكل السحالى والباح المصرى يأكل الديدان !

ابتلاع الفريسة

وعادة فان الثعبان يبتلع الفريسة مبتدءاً برأسها ، وقد يكون حجم الفريسة أكبر من حجم رأس الثعبان وقد تبلغ أحياناً أكثر منه أربع إلى خمس مرات ، لكن الفم فى استطاعته أن يتسع بزاوية قدرها ١٣٥ درجة بمساعدة الغدد اللعابية . وترجع قدرة الفم على الاتساع لعدم وجود تمفصل ثابت بين الفكين العلوى والسفلى إضافة الى أن فرعى الفك الأخير لهما قدرة كبيرة على التباعد الشديد .

والثعابين بعضها يقوم بقتل الفريسة بحقن سمومه فيها قبل بلعها والبعض الآخر يبتلعها وهى على قيد الحياة .. أما الثعابين الكبيرة الحجم فانها تلتف بعضلاتها القوية حول الفريسة وتعتصرها حتى الموت أو فقدان التوازن ثم تقوم ببلعها !

ومع أن عملية بلع الفريسة تستغرق وقتاً طويلا أحياناً إلا ان التنفس فى هذه الحالة يتم بصورة طبيعية ، وذلك بفضل امتداد القصبة الهوائية إلى الأمام ومرونة حركتها .

وقد لا يجد الثعبان طعاماً ما فيستطيع أن يصوم عدة شهور وربما أكثر من سنة فى بعض الأنواع الضخمة والثعابين التى تعيش فى الصحراء تستطيع أن لا تشرب الماء طوال حياتها أما التى تعيش فى الأماكن القريبة من الماء فانها تشربه بكميات كبيرة .

مواليد خطيرة

والثعابين بعضها يضع البيض والبعض يفقس البيض فى أجسامها وتلد الصغار ، ويتراوح عدد البيض فى الثعابين ما بين ٦ ـ ٤٠ بيضة ، وهو مستطيل نسبياً وقشرته رقيقة عن بيض الطيور ، وبعض الثعابين من فصيلة الأصلات تحتضن البيض ، أما معظم الثعابين فانها تترك البيض للظروف دون أن تبالى به حتى إذا ما فقس اعتمدت الصغار على نفسها فى طفولتها . وتنمو صغار الثعابين بسرعة فائقة فى بداية حياتها ثم يأخذ هذا النمو فى البطء رغم أن الثعبان ينمو طوال حياته !

وصغار الثعابين السامة تخرج من البيض مزودة بالسم والأنياب ، لذا فانها لا تقل خطورة عن آبائها إلا أنها تزداد خطورة كلما يفعت وبلغ بها النضج والتعقل أقصى حدوده !

أما عن صوت الثعبان فهو ليس صوتاً بالمعنى الصحيح لأن الثعبان ليس له أحبال صوتية ، بل ان الثعبان يصدر ما يسمى فحيحا لذا نقول فحيح الثعبان !

السموم القاتلة

أما سم الثعبان فهو عبارة عن سائل أصفر اللون يتكون من بروتينات سامة تختلف نسبتها باختلاف نوع الثعبان .

ولسم الثعبان تأثير فتاك على ضحاياه حيث أن هذا السم يتكون من عنصرين أساسيين أحدهما يؤثر على الجهاز الدورى فيقوم بتحليل وتدمير الكرات الدموية الحمراء والغشاء المبطن للأوعية الدموية .

والعنصر الثانى يؤثر على الجهاز العصبى وبالتالى الأعصاب الخاصة بالجهاز التنفسي مما يؤدى الى الهبوط التام والشلل وصعوبة التنفس ..

والمعروف أن سم الثعابين ليس له تأثير ضار إذا أخذ عن طريق الجهاز الهضمى ما دام الأخير خالياً من الجروح ويرجع السبب فى ذلك الى تأثير العصارات الهضمية فى ابطال تلك السموم ..



كاتب المقال يمسك الثعابين بعد انتزاع سمها



حيوان المنجوس أثناء قتله للثعبان



احد الثعابين الضخمة يتربص للفريسة بين الصخور

وسم الثعبان قابل للذوبان فى الماء المقطر أو محلول الملح الفسيولوجى ويكون مع السائل المذيب شكلا هلامياً .

وتفاعل سم الأفاعى حمضى لكن سم الثعابين إما حمضى خفيف أو متعادل وهو يتكون من خمائر ومواد زلالية ومخاطية ودهنية واملاح ، كما أن نسبة الماء به تتراوح بين ٦٥ ـ ٨٥٪ والعناصر التى يتكون منها السم هى الكربون والأزوت والكبريت والزرنيخ .

وعن صناعة مصل الثعابين فانها تتم بعملية ترشيح السم ، ويوضع فى أوان زجاجية داخل جهاز للتجفيف على درجة حرارة ٣٧ درجة ثم تذاب كميات كبيرة من السم فى جلسرين معقم ويحفظ على درجة حرارة ٣٧ درجة لاضعافه الى حد يسمح باستعماله دون خطورة .

وهناك طريقة أخرى (فيتال برازيل) وفيها يتم حقن الخيول بالسم لتوليد الأجسام المضادة والتى تؤخذ بعد ذلك من الدم ويتم معالجتها طبياً لتكون جاهزة للاستعمال !

الثعابين فى الديانات

والثعابين على الرغم من نعومة ملمسها وجمال منظرها وهى فى بيوتها الزجاجية داخل حدائق الحيوان تبعث فى النفس الاشمئزاز والكراهية ، وعلى الرغم من أنها سجينة داخل هذه البيوت إلا أن القلب يهتز لها فزعاً ، ولعل السر فى ذلك يرجع إلى الاعتقادات السائدة التى تناقلها الناس جيلا بعد جيل عن خطورتها وفتكها !

وقد يكون ذلك راجعاً إلى طبيعة شكلها وحركة ألسنتها الدائمة السريعة وإعتقاد البعض خطأ أنها أعضاء اللدغ وبث السموم .

والحقيقة أن تلك المخلوقات بعضها سام والبعض الآخر غير سام وأنها جميعاً رغم ضخامتها تفزع منا نحن البشر ولا تحاول إيذاء أحد إلا إذا اضطرتها الظروف إلى ايذائه دفاعاً عن نفسها !

ولقد وردت الثعابين والحيات فى الكتب السماوية وفى الديانات على اختلافها ، وكذلك فى الكتب العلمية والأدبية فهناك حية آدم عليه السلام ، وعصا موسى عليه السلام ، وثعبان كليوباترا ، واله الطب عند اليونان يحمل عصا ملتفة عليها أفعى ، وقد صنع عقد الآلهة مينرفا من صور الأفاعى وكذا رأس ميدوزا اله الانتقام معصوب بها ، وكان قدماء المصريين يعبدون الناشر المصرى المعروف !

ولقد حظيت الثعابين بضروب كثيرة من الخرافات والحكايات القديمة فقد روى بلوتارك المؤرخ الرومانى أن السلر وهى قبيلة من القبائل البائدة كان لرجالها مناعة طبيعية موروثة ضد سم الثعابين وكانوا يحافظون على طهارة أصلابهم فلا يسمحون لنسائهم أن يتزوجن أو يعرفن رجالا من غيرهم ، وكانوا إذا ما أرادوا أن يتأكدوا من هذه الطهارة أطلقوا الأفاعى أو الثعابين على أولادهم حين ولادتهم فاذ قتل أحد الأطفال حكموا على أمه بالخيانة !!!

أسرار عالم الثعابين!



ثعبان الكورال السام
الذى يعشق القتل !

ويعتقد بعضنا أن الحواة لديهم من السحر والقوة ما يسلطونهـا على الثعابين ، ففى الهند يمر الحواة بالناشر الهندى ومعه العصا والمزمار فيظل يداعبه بالعصا ويروضه بها إلى أن يناله التعب والارهاق وهو يطلق مزماره فيهدأ الثعبان ويسكن ويعتقد المتفرجون أن الثعبان لا يلدغ الحاوى خوفاً منه أو أنه واقع تحت السحر ولكن الحقيقة أن الثعبان قد أفرغ سمه فى العصا أثناء المداعبة، وكثيراً ما ذهب هؤلاء الحواة ضحية لهذه الرياضة القاتلة . ومثل الحواة فى الهند الحواة فى بعض البلدان العربية والذين يتخذون من الثعابين سركا متحركاً لعرض بعض الألعاب الشيقة ومعظم تلك الثعابين هى من الأنواع غير السامة والتى لا تشكل أية خطورة على حامليها .

ومن السهل جداً القبض على الثعابين وتفادى سمومها ، ولكن يستلزم ذلك شيئاً من الشجاعة والحذر مع المهارة ، بالاضافة إلى أن الثعبان كثيراً ما يعتريه الذعر والخوف المفاجىء من هجوم صياده !

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أن سلط بعض مخلوقاته على بعض حتى لا تكتظ بها الأرض .

فالثعابين برغم ما هو مشهور عنها من عداء للمخلوقات الأخرى فان لها أعداء تتربص بها وتبحث عنها من مكان إلى مكان ، واذا ما وجدتها فانها تنقض عليها لتقتلها وتفتك بها دون أن تجد لذلك مخرجاً ، ومن الغريب أن من بعضها ما سلط عليها ، فالناشر البنغالى الذى يطلق عليه فى الهند (ملك الحيات) لا يجد أشهى والذ عنده من أن يلتهم ثعباناً من الثعابين !

وثعبان المصرانا وإن كان هذا الثعبان غير سام فان غذاءه الوحيد الثعابين الأخرى التى يقتلها أولا ثم يبتلعها غذاء شهياً مريا ـ والمصرانا يعتبر من الحيات الأليفة فى البرازيل حيث يربيها بعض الناس لحراسة بيوتهم وتنظيفها من الثعابين الضارة .

وثعبان الخضارى لا يقتصر فى غذائه على القوارض بل يطيب له مبارزة الثعابين الأخرى التى تكون فى النهاية فريسته المفضلة بعد أن يشل حركتها بسمه الزعاف ، ولديه من المكر والخداع ما يؤهله إلى ذلك فهو يعيش على الأشجار مختفياً بين أوراقها ، يساعده على ذلك لونه الأخضر المشرب بصفرة ، إلى أن تحل أمامه الفريسة وهى احدى الثعابين الأخرى فتكون النهاية ، لكن القصة لا تنتهى فربما هناك من يتربص بثعبان الخضارى ليلتهمه ويكون بذلك قد فاز بالفريسة وقانصها .

أما أبو السيور الغيطى فهو ثعبان شرس جريء سريع الحركة مراوغ من الدرجة الأولى ، وإذا ما رأى حية الغريبة وهى قاتلة انقض عليها والتف حولها ليعتصرها بعضلاته حتى يقتلها ثم يلتهمها .

وأحياناً يقع أكبر الثعابين وأخطرها فريسة لجماعة من النمل تتسلق جسده وتقوم بالاعتداء عله فتشبعه لسعاً حتى الموت وتتغذى عليه ولا تبقى منه إلا عظامه !!

وهناك نوع من الطفيليات الخارجية يشبه القراد يصيب الثعابين ويعيش على أجسامها ويمتص دماءها ولا يفارقها إلا عندما تجف الدماء فى عروقها .

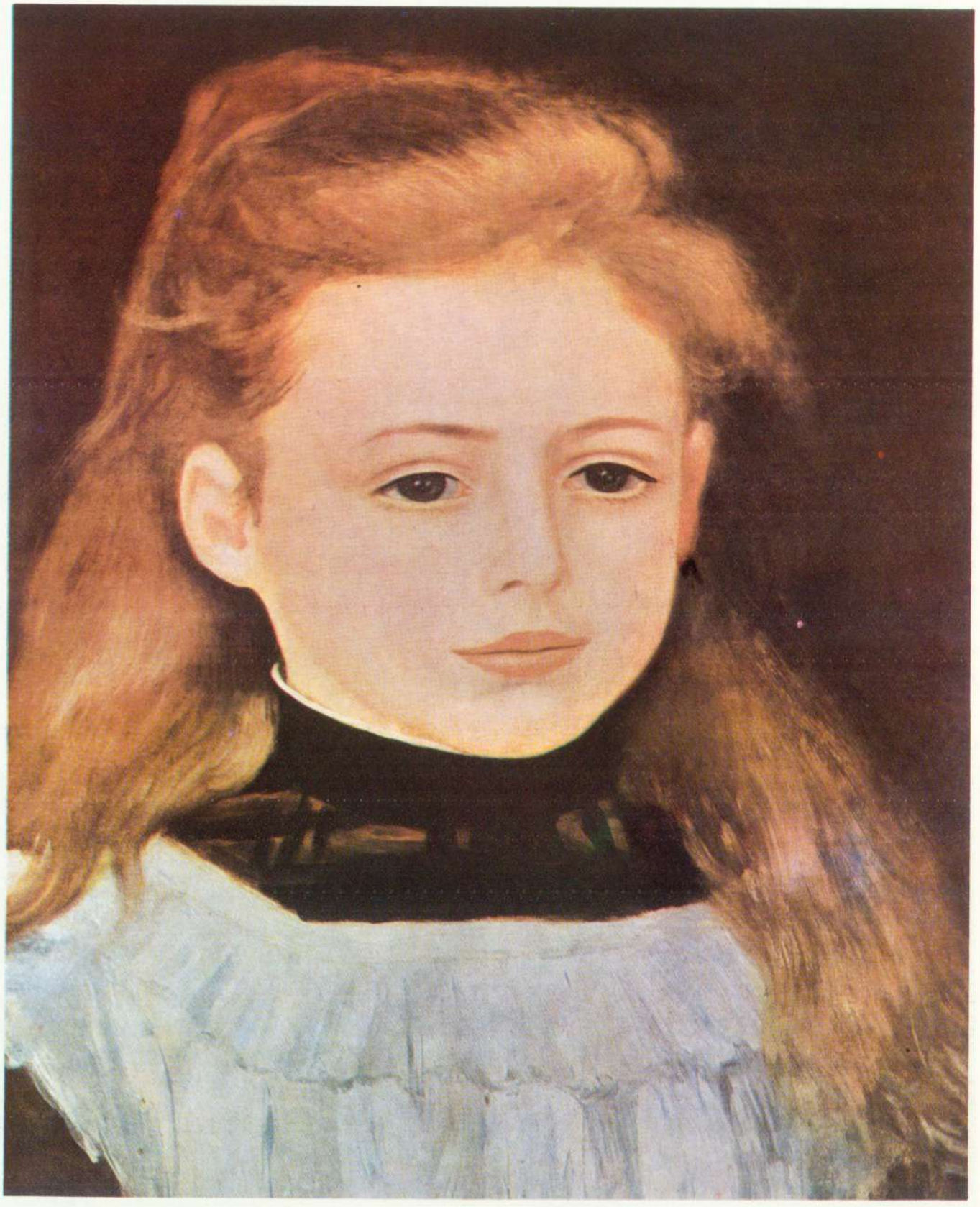
ومن أعداء الثعابين أيضاً القنفذ وابن عرس وحيوان أبو منتن والنمس المصرى والثعلب وحتى الغربان والصقور والنسور وعلى الباغى دائماً تدور الدوائر !

أما الانسان فهو يعتبر من ألد أعداء الثعابين ، فهو يستخدم عقله وعلمه وقوته فى إبادتها ، بل وتفنن فى أساليب القضاء عليها بدراسة بيئتها وأنواعها والتفريق بين الضار وغير الضار منها !

والانسان معذور فى عدائه للثعابين ، فهى كثيراً ما تقوم بالاعتداء عليه أو على حيواناته أو طيوره كلما اضطرتها الظروف إلى ذلك ، لكن الثعابين ليست مخلوقات عديمة الفائدة كما يتراءى للبعض منا ، فهى تتغذى على الفئران وتحد من انتشارها وكذا بعض الحشرات الضارة ولا ننسى ان من جلود بعض الثعابين نصنع أجود أنواع الأحذية والأحزمة وحقائب السيدات ، والغريب أن هناك أنواعاً من الثعابين الضخمة تؤكل لحومها ..

ومن كل ذلك ندرك كيف أن عالم الثعابين مليء بالخفايا والأسرار والحكايات التى ليس لها أول من آخر !

د. محمد الغباشى ربيع



من روائع الفن العالمي

● وجه « لوتشيا بيرارد » - ١٨٨٤
● من أعمال الفنان : بيير أوجست رينوار - فنان فرنسى عاش فى الفترة ما بين (١٨٤١ - ١٩١٩)

العِشرة الزوجية
في عالم الطيور والحيوان

بقلم: الدكتور عزالدين فراج





حياة قصيرة وأجيال جديدة من النحل

يعتبر الحمام من أكثر الطيور اخلاصاً لأنثاه



كل من راقب الحمام وتفهم غرائزه وطبائعه ، عده من أكثر الطيور اخلاصاً ووفاء لأنثاه ، فهو فى الغالب يحتضن انثى معينة ، ولا يسعى غالباً الى استبدالها الا إذا فقدها .. فمن حقه اذن أن يختال فخوراً بما أنعم الله عليه بنعمة الوفاء والاخلاص .. هذا فضلا عما يبديه الذكر من ضروب التعاون مع أنثاه ، فهو يتعاون معها على أعباء الحياة ، ويشتركان معاً فى بناء عشهما ، والرقاد على البيض وحضانة صغارهما حتى تكبر .

يتعاون ذكر الحمام مع أنثاه على بناء العش ، فيجمع الذكر لها العيدان ، وتتولى الأنثى نسج هذا العش واعداده وبعض الذكور أحسن همة من بعضها فى جلب أعواد هذا العش ، وبعضها يقنع بالقليل منها . سواء أقلت كمية الأعواد أم كثرت ، فهو يغتبط بما حمل بالترجيع والتودد الى صاحبته ، وكأنه يحدثها بما لقيه من جهد عند البحث عن هذه الأعواد .

وقد لا ترضى الأنثى عن هذه الأعواد ، ولكن تأبى ان تغضب أليفها وقرينها ، فتبذل جهدها فى ثني هذه الأعواد .

ويأبى ذكر الحمام ان يلقى عبء حضانة البيض والرقاد على الانثى وحدها .. لهذا وزعت فترة الحضانة بين الذكر والأنثى توزيعا دقيقاً ، فترقد الأم على البيض من الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر الى العاشرة من صباح اليوم التالى ، وفى خلال هذه الفترة نرى الذكر يختال ويهدل ليثير اهتمام زوجته .

واذا ما حلت الساعة الحادية عشر جاء دور الذكر فى الحضانة والرقاد .. وبذلك يتاح لانثاه أن تنشر جناحيها وأن تلتقط بعض الحب .

وليست ظاهرة التعاون بين الذكر والأنثى خاصة ببعض الطيور والثدييات بل تجدها أيضاً عند بعض الاسماك ، حيث نجد الذكر يبنى لانثاه عشاً تبيض فيه ، ثم يقوم هو من بعد ذلك بتعهد هذا البيض بالعناية والرعاية ، بأن يقف عند مدخل هذا العش يحرك زعانفه الصدرية محدثاً تيارات مائية لتجديد الماء المحيط بالبيض . وحركة تجديد الماء هذه عملية هامة ، من شأنها أن تزيل ما يعلق بسطح البيض من رمال وطحالب تعوق نمو الأجنة بداخلها . وفى أنواع أخرى من الأسماك لا تجد الذكر يعين أنثاه على فقس البيض وحضانته فحسب ، بل يسعى لجلب الغذاء لصغاره من بعد هذا الفقس كما فى الرسم .

والعشرة الزوجية عند الحيوان لا تخلو من غيرة الاناث على ذكورها .. فهى فى هذا الصدد كالانسان تماماً . حتى فى الحمام نفسه الذى يعد أكثر الطيور وفاء لاناثه ، لوحظت عنده بعض مظاهر هذه الغيرة . وقد وصف « ت. ماكيان داونز » أحد غواة حمام السباق بخبراته مظهراً من مظاهر هذه الغيرة عند اناث الحمام فقال :

« قد يكون بجوار ذكور الحمام حمامة أو أكثر لا أليف لها ، فتكون فتنة للازواج وقد يحدث أحياناً عند الحمام وهذا نادراً أن يخلو الذكر فى ساعات راحته باحدى هذه الحمائم العزاب التى لا أزواج لها ..



الأمومة فى الحيوان

ولكن أنثاه الغيور تترقبه وتلحظه ، فان رأت زوجها قد جاوز حدود الغزل ، انقضت كالصاعقة وراحت تنقر تلك الانثى الدخيلة ،لتبغدهاعن هذا الزوج الحبيب» .

وقد لوحظت مظاهر الغيرة الزوجية أيضاً عند حمام الزاجل ، فاستغلها المربون فى زيادة سرعة طيرانه .. وذلك بوضع ذكر غريب فى قفص الانثى قبل انطلاق زوجها برسالته ، فكان هذا الزوج الغيور يعود من مهمته فى ثلاثة أرباع المدة التى كان يعود فيها من قبل ، خشية أن يجد أنثاه فى احضان هذا الذكر الجديد .

والعشرة الزوجية قد تطول عند بعض الحيوانات الثديية ، وتقصر عند بعض الحشرات ، حتى تصل الى لحظات غاية فى القصر ، كما هو الحال بين ملكة النحل وأحد ذكور خليتها .

وتأبى ملكة النحل أن تزف بين رعيتها فى الخلية .. ولا ترضى الا بزفاف فى اجواز الفضاء . حيث تنطلق فى يوم تختاره مناسباً لها الى قبة السماء الزرقاء ، وينطلق من ورائها ذكور الخلية كل يود اللحاق بها . ولكن سرعان ما ترتد الذكور الضعيفة والمسنة والجائعة . وكلما ازدادت الملكة صعوداً فى السماء لزداد عدد المتخلفين عن ركبها ، والعاجزين عن اللحاق بها ، وأخيراً يدركها أقوى الذكور ، فيمضيان معاً ثم يدوران متشابكين .. واذا بالعشرة الزوجية التى رأيناها تطول الى سنين عند بعض الطيور ، قد استحالت الى لحظات قصيرة من نشوة ووصال وتزاوج .

ولا يكاد يتم اجتماعهما ، حتى تنزع الملكة جهاز التذكير من جسم الذكر وتجر معه ما فى احشائه ، فيتراخى جناحاه ، وكأن صاعقة أصابته فيسقط جسمه ويلاقى حتفه ، وتهبط الملكة بعد ذلك من السماء ، وترجع إلى خليتها وقد أعطاها الذكر كل ما عنده ، وكل ما تخصب به بيضها ، وكل ما يحقق البقاء ويحفظ النوع .

د . عز الدين فراج

الذكر والأنثى فى الأسماك يتعاونان على رعاية البيض والصغار



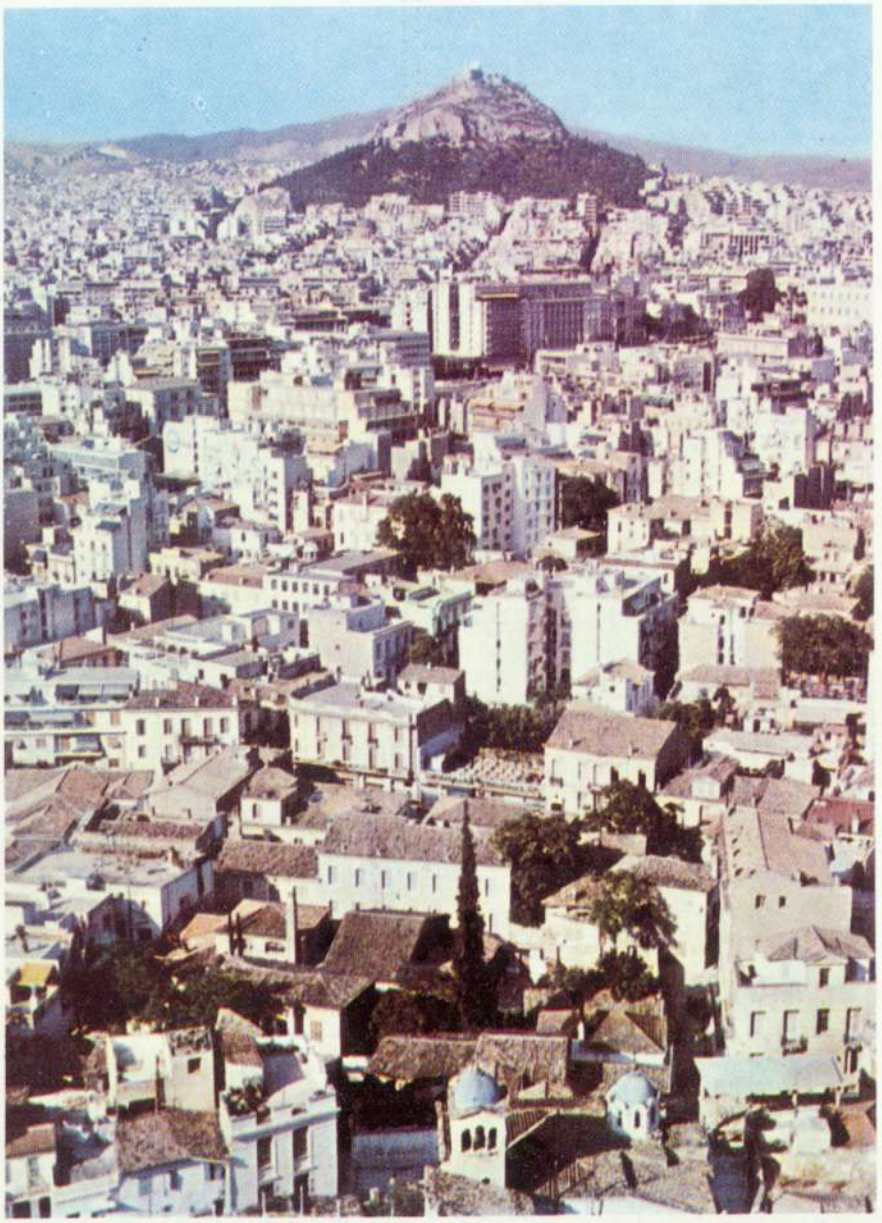


عـــزف منفـــرد في رحـــلة يونانـــية

ليلة السبت في أثينا

نزيف الحناجر فوق الأسطح !

بقلم : مفيد فوزي



منظر عام لمدينة أثينا من الأكروبول .. وقد اختارها اليونانيون كعاصمة فى عام ١٨٣٤ ميلادية

— ١ —

إما أن ترى أو .. تموت !

حكمة قديمة قالها عاشق صبابة للسفر ، ومن يدرى ، لعل قائلها مسافر ذاق متعة الترحال ولم تتعب بعد حقائبه من السفر . فالذى يسافر ، يرى ! وفى الحقيقة ، تستقبل « بصيرته » صـــور الكون ربما قبل « بصره » .

وكان الفليسوف برتراند راسل يعتقد أن «الاسفار كتب حية» .

وهذه عبارة اصابت كبد الحقيقة كما يقولون . فالسفر رؤية . وبدون رؤية ومعايشة ، يظل الكتاب شديد الجفاف !

وأنا طفل ، كنت أكره حصة الجغرافيا لانى لم أتعود أن ارسم الخرائط باتقان ، وكان نصيبى الضرب بالمسطرة فى ايام البرد الشديد .

كنت اتعذب ولكن احساساً خفيفاً يبدد عذابى ، كان حلماً من أحلام اليقظة انه يوماً ما ، سوف امسك بيدى «تعاريج» هذه الخرائط .. وتطأ قدمى ، هذه الأرض ، وأهتف كما صاح ارشميدس «وجدتها» ، يوماً ما ، سوف أحقق هذا الحلم ، لن ارسم الخرائط .. ولكنى سوف اعانقها وتحضنها عيناى !

— ٢ —

منطلقاً من هذا الايمان بأهمية الرؤية حزمت امتعتى وتخففت من كل شىء الا من «مال» يكفينى ويسلحنى ضد المجهول وركبت طائرة نيتها .. اليونان ! لماذا اليونان ؟ لانها أرض ، أجد فيها نفسى . زرت أوروبا أو معظمها ، فاكتشفت اننى فى اليونان ، أعيش طفولتى وصباى . ماذا منها على وجه التحديد ؟ لاأدرى . ربما علاقة كيميائية بين الانسان والمكان تنمو دون أن تخضع للتحليل ! ان للفليسوف المعاصر آرثر ميللر قولا دقيقاً انه يرى اية معادلة من الفهم تنشأ بين الانسان والجدران لابد أنها تعود الى طفولته البعيدة لو رغبنا فى التأصيل . ! ربما كان فى طفولتى ما يجعلنى اهفو الى هذه الجزر الموغلة فى القدم . هل هو عطر التاريخ ؟ هل هو مذاق الحكمة بوصفها أرض فلسفات ؟ هل هى حزام الزيتون ، كما كان يسميها أحد قادة حلف الاطلنطى فى الخمسينات ؟ ربما !!

ولكنى حزمت أمتعتى .. ومضيت !

— ٣ —

لقد ظل مؤرخو الغرب لفترة طويلة يعتقدون أن مهد المدنية الغربية كان أرض اليونان ، ولكنهم اكتشفوا فيما بعد أن المدنية رأت أول مارأت النور ، هناك على ضفاف النيل .. ودجلة !

إن مؤرخاً مثل جورج سارتون .. يعتقد أن الدارسين وقعوا فى خطأ كبير عندما تصوروا أن «العلم» كان مهدهِ اليونان ، و «الدين» كان مهده فلسطين . ويستطرد جورج سارتون فيقول : واقع الأمر أن العلم اليونانى لم يكن بدءا لحركة علمية ولكن كان ذروة لجهود علمية ترجع الى ما قبل ألف عام . فهناك رسائل مصرية فى الرياضيات والطب تعود الى القرن السابع عشر . لقد تعود أطباؤنا أن يسموا ابو قراط «ابو الطب» .. ولكن من الخير والانصاف أن يذكروا أن "ابو قراط" .. ليس رأس الطب ولكنه يقف فى منتصف تاريخ الطب بين امحوتب وبيننا !

كان امحوتب وزير فرعون سوسر وطبيبه ، واشتغل بالطب فى مصر من القرن الثلاثين قبل الميلاد !

ان هناك علاقة «مصاهرة» بين

ليلة السبت في أثينا

الحضارتين المصرية واليونانية . فقد زار هيرودوت مصر وكتب نشيدا بفضل الحضارة المصرية على اليونان

بعضاً من التاريخ ، وأنا أمضى الى أرض المعارف . ان الفلسفة هى خير ما ابتدعه العقل اليونانى ، وكانت الحضارة الاغريقية الخلاقة معيناً فياضاً نهلت منه الأمم من شتى مشارق الأرض ومغاربها .

ومن ينسى أن الأغريق ، كان أول شعب نادى بالحرية الفردية . من هناك خرجت للدنيا كلمة «ديمقراطية» .

— ٤ —

العاصمة اليونانية المعاصرة أثينا ، صارت كعواصم العالم ، لها وجه سياحى خلاب ! فهناك أثينا ، الفكر والذهن المشتعل ، وهناك اثينا السياحة والبحث عن الدولار بين الجيوب وحقائب السفر !

فى اثينا القديمة كان سقراط يسير فى الطرقات ويتحدث مع الناس ويجادلهم الى أن يقودهم الى الصواب ! فى اثينا اليوم يجوب الطرقات بشر يتحدثون همساً مع الناس ، يحاولون اقناعهم ليقودوهم الى الخطأ ! هؤلاء يميزون وجوه الغرباء مثلى فى ثوان وبلا أى جهد ! فالغريب يتطلع بنظرة الى كل شىء لانه لم يفقد بعد اللهفة الى رؤية الاشياء .

فى أثينا القديمة ، لم يكن التعليم مقصوراً على دور خاصة .. بل كانت في المجتمعات والاسواق .. والملاعب وفى الاجتماعات السياسية والمسارح وفى الاماكن العامة كانت تروى اشعار «هومير» لقد هيأ المناخ المعتدل استثمار «الخلاء» وربما كان هذا من أقوى عوامل الديمقراطية .. وشىء آخر ، لعله فن التمثيل !

وفى اثينا اليوم شاعر تعدى التسعين يقول «ما كانت اثينا تصل الى هذا المجد ، لو أن أهلها التصقوا بجدران بيوتهم» .

يقول ليتليسيس ، الذى حصل على جائزة نوبل منذ ٥ سنوات فى قصيدة من أشهر قصائده «نعى .. لاثينا القديمة» !

إن الشاعر اليونانى المعمر لايحب الوجه السياحى لاثينا . يقول انها تطمس ماضى هذه المدينة بالتراب والوحل !

— ٥ —

ليلة السبت فى أوروبا ، ليلة مثيرة كلها صخب .. وسمر وسهر ربما حتى الفجر ، فى لندن يسهرون فى حى سوهو . فى باريس يسهرون فى الحى اللاتينى . فى امستردام يسهرون فى حى العائلات الذى لايمت بالطبع لأى جو عائلى ! فى اليونان ، وفى اثينا بالذات يسهرون فى البلاكا . الحى القديم الضيق الحوارى !

البلاكا ، كلمة يونانية فشلت فى معرفة معناها ، لكن كل الذين سألتهم قالوا إن معناها شىء يمت بصلة للمرح ! ولست أنوى دراسة الادب اليونانى لأرهق نفسى فى التوصل لمعناها .. ولكن يكفينى أنها بالفعل لها دلاله المرح والفرح ! ففى البلاكا ، يرقص الناس فيتحررون من همومهم . قال مرة انطونى كوين «الرقص اليونانى يجعلنى افقد نصف وزنى من همومى الروحية الخاصة ....» .

لايغار من شهرة اثينا — اليوم — الا جزيرة كريت . اقدم جزر اليونان . لماذا ؟ لأن لجزيرة كريت تاريخاً لقد نشأت أول حضارة للاغريق فى جزيرة كريت ومنها انتقلت الى جزائر بحر الأرخبيل والى جنوب ووسط اليونان وسواحل آسيا الصغرى . وبين انقاض كريت ، ما يدل على هذا التاريخ . حتى أن الكريتيين القدماء كانوا يعرفون نوعاً من الكتابة لم يستدل أحد على فهم رموزها حتى الآن !

إن «مينوس» كان أول ملوك كريت وكان له اسطول كبير جعلها تهيمن على المياه الأغريقية . وهناك اسطورة تقول أن الاثينيين فى وقت سيطرتها عليهم كانوا يرسلون كل عام سبعة شباب وسبع فتيات الى ملك كريت قرباناً لوحش يسمى المينلكور .. وكان هذا الوحش فى قبو القبة بقصر الملك .. وكان القصر كثير الردهات والممرات التى يضل فيها الانسان !!!

— ٦ —

ولا تزال جزيرة كريت تحتفظ بعفافها القديم وترفض أن تهتكه للسياحة ، مهما كان الاغراء . انها كما يقول الشاعر الأردني حيدر محمود « سافرت في الحضارة وحافظت على ثوبها المطرز » !

تغار كريت من شهرة أثينا ، ولكنها ترفض أن تسير على نهجها ! .

فى البلاكا ، قابلت اسرة قادمة من كريت . جلست تستمع للغناء اليوناني باحساس الضيق والتبرم ! قال رب العائلة الكريتى .. أثينا تنزف من أجل دولار الغرباء .

وعندما يلمح مغنى البلاكا ، اسرة من كريت ، فانه يعتذر قبل الغناء لها كأنه يريد أن يقدم لهم فناً أصيلا .. ولا يستطيع . كأنه يريد أن يقول هذا الفن ليس لكم .. ولكن للسياح ! وسمعت من يقول أن الانسان الكريتى له ذوق حساس للغاية . وعندما ذهب ديميس روسوس ليغنى مرة فى جزيرة كريت ، وقف يقول .. ها أنا استعد للامتحان ..!

ويبدو أن الكرايته اعجبهم هذا الاستهلال وهذا الاعتراف بخطورة ذوقهم فصفقوا له كثيراً خصوصاً عندما غنى اغنيته الشهيرة .. زوجه من كريت تساوى كل الرجال .. !وفى الأغنية عبارة تقول .. ما أحلى انتظار الزوجة المخلصة للرجل العائد من رحلة مجد أو تعب .. هكذا تصف الأغنية المرأة فى الجزيرة القديمة !

— ٧ —

حى البلاكا .. من أغرب أحياء اليونان وأوربا عموماً . انه حى الغناء حتى الموت والرقص حتى الموت ! لاشىء معقول . لاشىء وسط . فى الصيف ، تكون عروض الرقص والغناء فوق اسطح العمارات . وفى الشتاء ، يهبطون الى الأدوار السفلى ! أحياناً يغطون الاسطح بطريقة لاتسمح للبرد أن يتسلل أو للامطار أن تقلق الزوار وتعكر صفوهم . ويمضى الليل وتستقبل أذنك زئيراً . بل نزيف

● المغني اليوناني يبكي شجرة زيتون .. كما ينتحب على حُب ضاع !

حناجر .. ويخيل اليك أن الدماء سوف تسيل بعد قليل ! فالذى يغنى يكاد يموت ! انه يغنى أحياناً من أجل شجرة زيتون .. وتتصور من فرط النجوى والشكوى والاحتراق أنه يبكى حباً قد ضاع . انه حين سمع أنهم قد ذبحوا شجرة الزيتون لانهم سيبنون فندقاً يصرخ ويشتم سكان الفندق القادمين ويقول لهم لو عرفتم أنكم جئتم مكان شجرة زيتون .. فلن تهنأوا بالاقامة !! يغنى مغنى البلاكا بحرقة شديدة ، ويصل الى قمة العذاب ، حين يرقص ألماً .. أو يتألم رقصاً ! قل ما تشاء .. لكنها تقاليد البلاكا التى تنتهى بمشهد يتكرر كل لحظة . الاطباق يكسرها السياح عند قدمى المغنى أو الراقصة . زمان ، كان الزوار يكسرون أطباق المحل وكان صاحب البلاكا يصرخ . وفيما بعد ، أصبحت هناك «أطباق جاهزة للكسر» مصنوعة من مادة معينة .. توضع عند اشارة السائح والغريب !

من الممكن وأنت جالس أن تمر سيدة عجوز تبيع لك الزهور ثم تعرض عليك أن تقرأ كفك !

بالعودة للتاريخ ، كان الأغريق يؤمنون بالنبوءات .. وما كان أحدهم يقدم على عمل هام إلا اذا قيل له أن طالعه سعيد وأنه سيكون موفقاً فيه .. وكانت أشهر مصادر الوحى فى مدينة «دلفى» حيث اقيم هناك معبد بين الصخور وكانت تقيم بالداخل ، راهبة تجيب على كل ما يوجه لها من الأسئلة بعبارات غامضة .. يفسرها الكهنة للسائلين !

ـ ٨ ـ

بعض أغانى البلاكا .. اساطير قديمة برؤية حديثة !

من هذه الحكايات القديمة .. قصة المغنى الذى كان يهيم بحب ، آلته الموسيقية « وزوجته الجميلة يوريديس » .. والذى كان اذا مر بأصابعه على أوتار جيتاره طربت عند سماعه كل الأحياء وسعت نحوه لتستمتع بالألحان ، فتطير الطيور الى الشجرة التى يغنى تحتها .. وتزحف الأفاعى من جحورها .. وتخرج الوحوش من غاباتها ، وكانت الزوجة الجميلة تطرب لموسيقى زوجها حتى قبل زواجه منها . وصحبها ذات يوم الى نزهة فى الحقول واذا بها تصرخ لأن حية لدغتها ويجرى «أوزفيس» ليستطلع الخبر فيجدها جثة هامدة . ويقضى

● جزيرة "كريت" سارت في شارع الحضارة وحافظت على ثوبها المطرز !



الزوج الحزين أيامه هائماً على وجهه ، يغنى ويرقص فى الشوارع ألماً . ويستبد الحزن به فيذهب الى كبير معبوداتهم يطلب منه أن يسمح له بدخول مملكة الأموات ليعود بزوجته وتستمر الاسطورة لتعبر عن أن الفراق فى حياة الأحياء حقيقة .. وأنه قادم ولاشك !

إن المغنى المعاصر يأخذ هذه الأسطورة وغيرها ، ليكتب شيئاً مستمداً من الفكرة الاساسية ، ثم يضع «عبارة» يرددها .. حين يستبد به الشجن . عبارة اشبه بالمذهب فى الغناء العربى !

الليل يمضى فى البلاكا . عشرات بل مئات الملاهى يختلط اصواتها وموسيقاها وتفشل أحياناً فى تميز من أين يأتى الصوت . وكل الجنسيات تسعى الى المكان .. وتكسر الاطباق ، وهى عادة قديمة جداً ولها اصل تاريخى . يقال ان الناس فى إسبرطه القديمة كانوا يكسرون الأطباق تحت اقدام الرهبان أيام الأحد كجزء من طقوس السعادة والامتنان . وظلت هذه العادة تنتقل من جيل الى جيل حتى استقرت .. فى البلاكا !!

ـ ٩ ـ

البلاكا .. ليلة السبت ، وكل ليلة هى تلخيص للمجتمع اليونانى !

إن الأغنيات والرقصات تسللت الى عاداتهم القديمة والتى مازالوا مخلصين لها بشدة !

سمعت المغنى يشدو ، والفتيات يرددن وراءه بسعادة ، فلما طلبت ترجمة ما يقول ، عرفت أنه يطلب منهن أن تحمل كل واحدة وعاء وتذهب به الى أقرب بئر . وتقول كل واحدة : ها أنا ذاهبة .. لأجرب حظى !

ما الحكاية بالضبط ؟

فى الثالث والعشرين من ديسمبر من كل عام ، تملأ فتيات القرى الأوعية من الآبار .. دون أن تنطق الفتاة بكلمة .. وعندما تنتصف ليلة عيد الميلاد تلقى كل فتاة ذلك الماء الذى جلبته من البئر على نوع خاص من الحشائش ثم يخلط ذلك بشىء من الطعام أو الشراب اعتقاداً منهن بأن من أكله أو شربه من الشبان لابد أن يتقدم ويخطبها ويهيم بحبها !

هذه العادة أو عادات أخرى ـ بالفعل ـ لازالت تحكم اليونانى الحديث . هناك قديس اسمه «باسيلى» يحتفلون به فى اليوم الأول من يناير . وقديس آخر اسمه «نيقولا» يسمونه راعى البحار . ولو انك دخلت بيت أى بحار فى هذا العيد لوجدت على مائدة الطعام مكاناً خالياً وصحناً وملعقة وسكيناً .. وتراه يقول : هذا مكان القديس نيقولا وهو لابد آت ليبارك طعامنا .. .

ـ ١٠ ـ

لم ينفصل الماضى عن الحاضر فى بلاد مثل اليونان . بل ان الماضى يدخل فى عروق الحاضر بشكل لامثيل له .. وفى جامعة أثينا العريقة دراسات هائلة عن تراث اليونان التى تحاول وزيرة الثقافة اليونانية ميلينا ماركورى الان أن تعيد صياغته .. وتغربله ..

هناك دراسات عن «البلاكا» . الحى القديم فى أثينا . الدراسة ترمى الى مرمى هام وهو «معتقدات» اليونان التى لم تهاجر من حياتها العصرية . ويقول لى استاذ جامعة : « لو هاجرت هذه المعتقدات والعادات من حياتنا فسوف نختل حقاً » !

ويبدو أن هذا حقيقى الى حد كبير .. وكذلك لا يتأفف اليونانى من «البلاكا» ولا يتنكر لها .

لماذا ؟

لأنها «الواحة القديمة» وسط مدينة عصرية شديدة التعقيد ! تذكرهم البلاكا .. بفجر الأيام ، فى اليونان . كما تتذكر أيام الحب الأولى .. اللهفة والاشواق .. واللمسات والهمسات . انها لاتضيع ابداً

مفيد فوزى



الحياة والموت في بحر ملون

بقلم:
صنع الله إبراهيم

المهرّج يبتلع صديق العمر!



لوامس واحد من الشقائق البحرية الضخمة .. وتحمل هذه اللوامس آلافا من الخلايا اللاسعة الميكروسكوبية

مضت عدة دقائق ، والسمكتان تدوران حول بعضهما فى بطء .

احداهما كانت سردينة قاتمة ، يتدرج لونها من رمادى الى أسود فاحم ، وفمها مقوس لأعلى ، كى يساعدها على التقاط ما ينتشر قرب السطح من كائنات صغيرة شهية .

والثانية كانت على العكس زاهية الألوان ، ترفل فى ثوب أحمر تعترضه شرائط بيضاء ، ولها فك قوى عريض ، يتسع لكائنات تماثلها فى الحجم .

وفيما عدا هذا لم يكن ثمة ما يفرق بينهما فى السمت . فرأساهما منخفضتان ، وزعانفهما منتصبة ، وظهراهما مقوسان كظهور القطط الغاضبة .

الهجوم الغريب

اندفعت السردينة فجأة نحو السمكة الأخرى ، لكن هذه مالت على أحد جانبيها ، وتركتها تمر من فوقها ، ثم اعتدلت بسرعة خاطفة ، وقامت بقفزة كبرى فى الماء ، وضعتها أمام السردينة بحيث اعترضتها وحالت بينها وبين الهرب .

أصابت هذه المناورة السريعة السردينة بالارتباك ، فعاودت الهجوم وهى تتذبذب مثل الشوكة الرنانة . لكنها لم تعد تدرى ما يجب عمله على وجه

التحديد .

والواقع أن سلوك السمكة الأخرى التى تعرف فى عالم الأسماك باسم «المهرج» ، كان يبعث على الحيرة .

كانت السمكتان متماثلتان فى الحجم، لكن التفوق العضلى للمهرج كان واضحاً وهو الذى اعترض طريق السردينة وناوشها بعدوانية واضحة .

ومع ذلك فانه لم يحاول مهاجمتها من الجانب كما كان منتظراً منه أن يفعل . فعن هذا الطريق وحده يمكنه أن يقلبها رأساً على عقب ، بحيث يستطيع ابتلاعها من جهة الرأس .

وبدلا من ذلك جعل يضرب ذيلها برأسه ، ويقرضه بأسنانه ، كأنما يفكر فى ابتلاعها من هذه الناحية ، وهو ما لا تفعله الأسماك عادة كى لا تقف الزعنفة الظهرية الشوكية للفريسة فى رقبتها .

وأخيراً تخلى المهرج عن مهاجمة ذيل السردينة ، واكتفى بأن يدور حولها ، وهو يرفع زعنفته الظهرية ويخفضها مرة بعد أخرى ، فى اشارة تهديدية واضحة .

لم تدرك السردينة ما يرمى اليه المهرج .

لكنها كانت تتحرك ، دون أن تشعر ، فى الاتجاه الذى يدفعها اليه تماماً ، مقتربة من احدى صخور الشعاب .

وعلى حين غرة ، غاصت فى الماء وقد خفضت زعانفها ، استعداداً للهرب . لكن المهرج كان أسرع منها . ولم يلبث أن قبض على ذيلها بأسنانه ، وقذف بها فى قوة نحو الصخرة . وقبل أن تنتبه لما حدث ، لحق بها ودفعها بمقدمة رأسه فى عنف ، بحيث أوشكت أن ترتطم بالصخرة .

شعرت السردينة بالدوار من اللطمات المتتابعة ، فكفت عن المقاومة .

لكن الأطراف العصبية المنتشرة على خطها الجانبى ، التقطت ذبذبات غريبة فى الماء . واستطاع منها أن يحدد المصدر على الفور ، فلوت رأسها فى حركة سريعة وبطرف عينها رأت الزهرة المائلة على جانب الصخرة .

استولى عليها الذعر لمرأى الزهرة ، فاستجمعت قواها ، واندفعت نحو المهرج فى هجمة يائسة .

ورأها هذا تشق الماء نحوه فى تصميم ففقد ثباته وجرأته ، والتجأ مسرعاً الى البتلات القصيرة الممتلئة للزهرة ، فاندس بينها .

ولم تجرؤ السردينة على ملاحقته بين بتلات الزهرة ، فتوقفت على مسافة آمنة منها ، ثم لوت ذيلها لتلوذ بالفرار .

لكن المهرج كان لها بالمرصاد . فقد غادر مكمنه ، مستعيداً المبادأة ، واعترضها موجهاً اليها لطمات قوية من رأسه ، صوبها بعناية ، بحيث جعلتها تقترب تدريجياً ، رغماً عنها ، من الزهرة المرعبة .

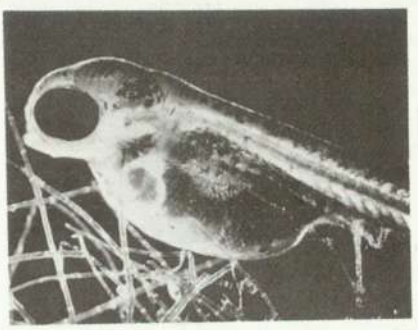
الخلايا المميتة

كانت الزهرة التى تشبه احدى زهور الداليا المعروفة ، تعلو ساقاً اسطوانية قصيرة ، لا يزيد طولها عن بضعة سنتيمترات ، استقرت قاعدتها فوق حافة الصخرة ، بالقرب من زهور أخرى متنوعة الألوان ، بين برتقالية وخضراء وأرجوانية ، تتفاوت أحجام بتلاتها ، بين عريضة كأوراق الأشجار ، ورفيعة مثل أنصال الحشائش .

أما الزهرة شبيهة الداليا فكانت لها بتلات قصيرة ممتلئة ، تلاعبت بها المياه فى حركات وادعة جميلة .

لكن شيئاً غير الشكل وحده ، لم يكن يربط هذه «الزهور» بعالم النبات فهى ليست سوى الحيوان الذى يعرف باسم الشقيق البحرى ، لمشابهته لشقائق النعمان البرية .

المهرج



هذا العصفور الجالس فوق شجرة ليس سوى سمكة خارجة لتوها من البيضة وما زالت تتغذى على كيس المح الذى يبدو ملتصقاً ببطنها

وهو ينتمى إلى نفس العائلة التى تضم البوليب المرجانى بين أفرادها . ذلك أنه يشبه البوليب المرجانى فى تركيبه ، وشهيته للافتراس ، بل ويحمل نفس الخلايا اللاسعة المميتة التى تحملها أغلب المرجانيات ، ولا تميز بين الأثنين غير فروق جد محدودة .

فبوليب الشقيق لا يفرز جيرا ، كما تفعل مرجانيات عديدة ، ولهذا يبدو جسده العضلى دائماً عارياً ، دون هياكل خارجية صلبة . كما يعيش كل بوليب ـ عادة ـ مستقلا عن غيره ، دون أن يشترك فى تكوين مستعمرات جماعية وهو فى العادة كبير الحجم بصورة واضحة .

على أن الفارق الجوهرى بين الاثنين ، يتمثل فى خاصتين ، تجعلان من الشقيق حيواناً أكثر رقياً فى سلم التطور .

فهو قادر على الحركة ، إذ أن القاعدة التى يستند إليها فوق الصخور ، تتألف من قرص عضلي لزج يتشبث الحيوان عن طريقه بالصخور فى شدة ، بحيث تؤدى أية محاولة لاجتذابه إلى تمزيقه . ويمكنه هذا القرص اللزج من تغيير موقعه بالانزلاق البطيء فوق الصخور .

ويتصل بهذا أن للحيوان شبكة عصبية متطورة تتحكم فى عدة مجموعات من العضلات المتخصصة . ووجه تطورها عن الجهاز العصبي البدائي للبوليب المرجاني ، هو قدرتها على التنسيق بين العضلات المختلفة . وهى على قدرة محدودة للغاية ، إن لم تكن معدومة تماماً ، لدى المرجان .

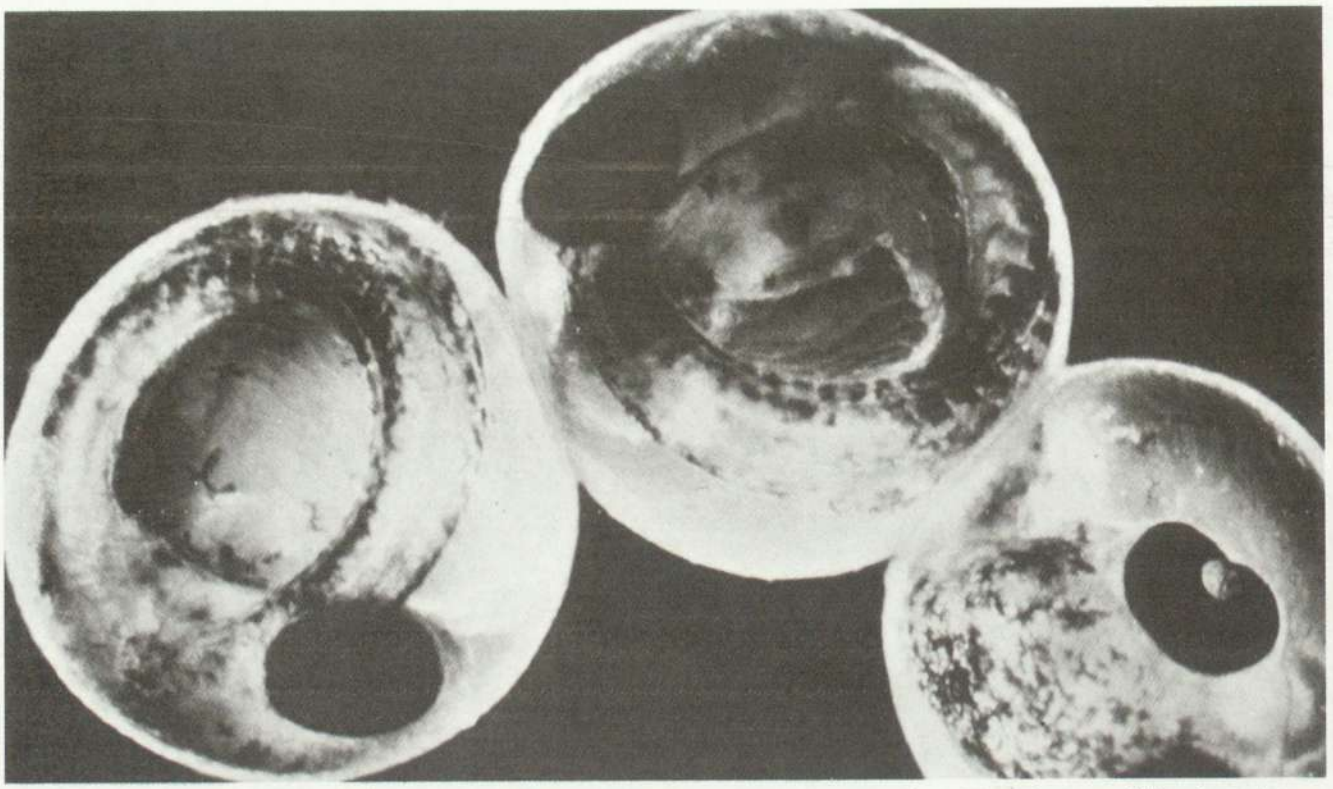
داخل جوف السمكة

أصبحت السردينة على مبعدة سنتيميترات من بتلات الزهرة المفترسة .

وكأنما شعرت البتلات أو اللوامس باقترابها ، فقد تمددت وانتفخت ، وامتدت أطرافها المدببة نحو الأمواج الخفيفة التى احدثتها السردينة فى الماء

وفي حركة تشى بنفاد الصبر ، انقض المهرج على السمكة المذعورة ، وأطبق اسنانه على ذيلها .

كان قد ازدرد زميلة لها منذ ساعتين ، ولهذا لم يمسها بأذى ، وانما حملها بين اسنانه وعام متجهاً الى لوامس الشقيق مباشرة .



صورة نادرة ومكبرة لثلاث من بيضات سمكة بعد أيام معدودة من تلقيحها .. وتبدو ملامح الأسماك القادمة داخلها .

خفقت لوامس الشقيق فى انفعال ، وقد توترت أطرافها للغاية ، وبدا كأن الحيوان الأعمى يقوم بمحاولة جاهدة لاستكشاف المياه المحيطة به .

فقد حدس بالتجربة من حجم الموجات المتتابعة التى ترتطم به ، وقوتها ودرجة ترددها ، أن ثمة فريسة تقلوم .

ولم يلبث طرف أحد لوامسه أن اصطدم بها . وعلى الفور تحركت شعيرات دقيقة فوقه ، كما يتحرك الزناد ، مما أدى الى تفجير كبسولات دقيقة مخباة أسفل كل منها ، داخل جلد اللامس ، انطلقت منها خيوط دقيقة تنتهى بأشواك مثل الخطاطيف ، انغرزت فى لحم السمكة التعسة .

وأفرزت الكبسولات سائلا سامأ انساب فى مجارى دقيقة داخل الخيوط .

حاولت السردينة عبثأ التخلص من هذه المحقنة السامة . فقد كان المهرج ما يزال قابضأ عليها بفك من حديد . ومن ناحية أخرى ، كانت الاشواك الخطافية التى يحملها كل خيط ، تمتد فى اتجاهات مختلفة ، أغلبها على عكس اتجاه الخيط نفسه ، مما يجعل انتزاعه أمرأ شبه مستحيل .

والأهم من هذين العاملين ، أن التيار العصبى الذى أطلق كبسولات أحد اللوامس ، انتقل الى اللوامس الأخرى بالتدريج ، فانهالت السهام المسممة على السردينة . وفى ثوان معدودة كان الشلل قد اصابها ، فتوقفت عن الحركة تمامأ .

واذ شعر الشقيق بما طرأ على جسد السمكة من ارتخاء شامل ، امتنع عن اطلاق السهام . وهنا تقدم المهرج بحمله بين اللوامس ، نحو القرص الدائرى الذى يعلو جسد البوليب ، تتوسطه فتحة واضحة تقوم بدور الفم والشرج فى آن واحد ، فالقى بالسمكة المخدرة فوقها ، واستدار منصرفأ .

واتسعت الفتحة لتبتلع الفريسة ، لكنها عجزت عن ذلك .

فقد كانت السمكة كبيرة الحجم .

كف الشقيق عن كل حركة لحظات ، وما لبثت العضلات الطولية التى تمتد على جسده فى أحزمة بارزة من أعلى الفم الى أسفل ، أن ضاعفت تمددها ، واتسعت فتحة الفم بالتدريج نتيجة لذلك ، حتى تجاوز قطرها الخمسة سنتيمترات .

وانزلقت السردينة من فتحة الفم الى المرىء .

وفى الحال نشطت حركة الأهداب الطويلة المثبتة فى شقوق بمدخل المرىء والتى تعمل طول الوقت فى اجتذاب الماء داخل بطن البوليب ، ليزوده بحاجته من الاوكسجين .

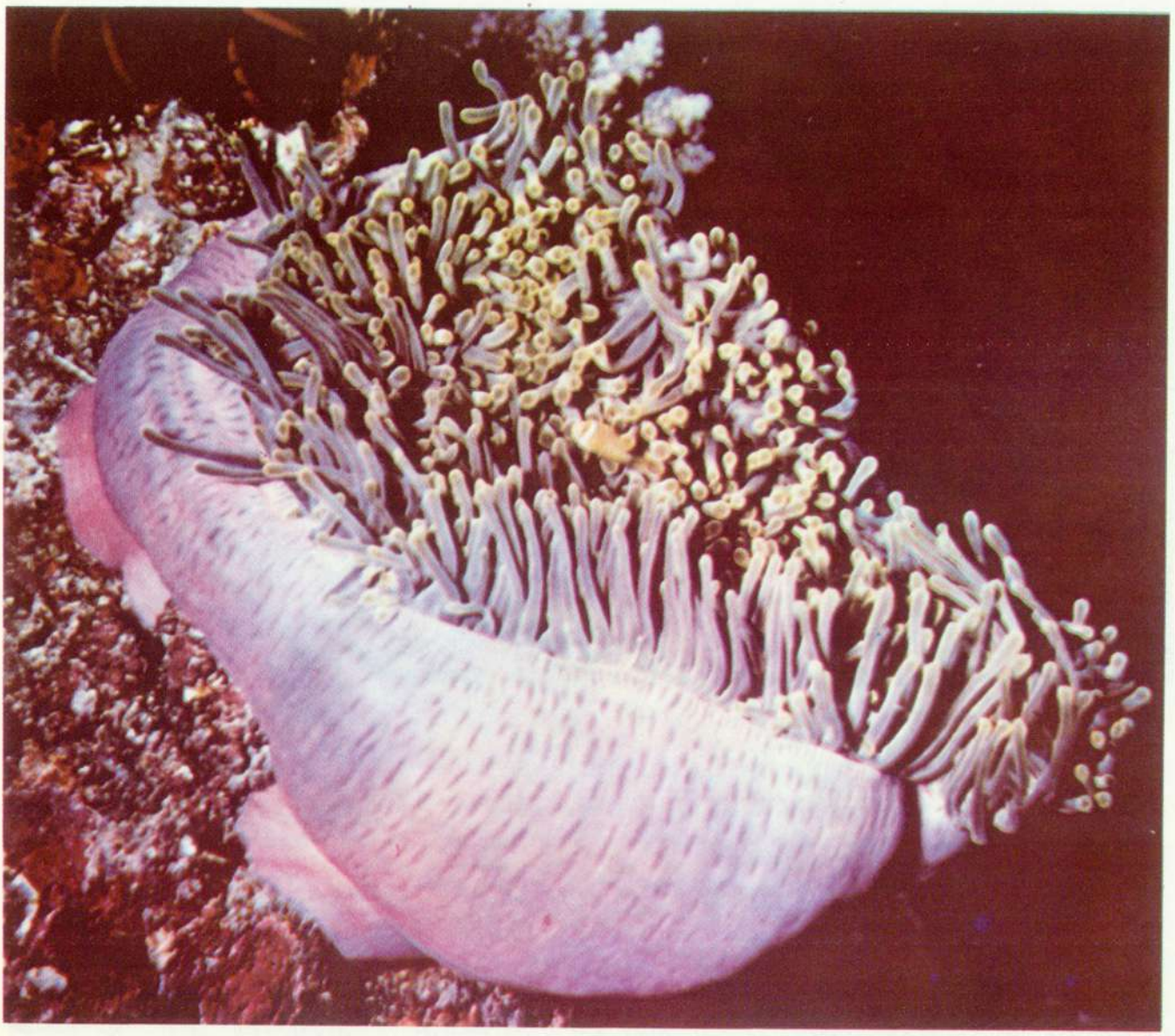
وكان ثم مجموعة أخرى من الأهداب عند اتصال الفم بالمرىء ، تتحرك فى الاتجاه المعاكس ، كى تدفع إلى الخارج بفضلات البطن والمياه المحملة بثانى أكسيد الكربون . وقد عكست هذه الأهداب الان اتجاهها ، وتعاونت مع المجموعة الأخرى فى اجتذاب السمكة داخل المرىء ، ومنه الى الكهف الهضمى أو البطن .

وسرعان ما تدفقت العصارات الهضمية من جدران الكهف الداخلية ، بينما عرتها تقلصات حادة ، طحنت السمكة بين طياتها ، وحولتها الى عجينة لينة ، يسهل اذابتها وامتصاصها

حيرة العلماء

فى هذه الأثناء كان المهرج يمرح راضيأ بين لوامس الشقيق .

فهذا ما توحي به الحركات البهلوانية التى تصدر عن عضلاته وزعانفه (والتى ربما جلبت له ـ بالاضافة إلى ألوانه ـ



بعض الشقائق البحرية التى تتميز بأحجام ضخمة

الاسم الذى اشتهر به بين الأسماك) بينما هو يتنقل بين اللوامس فى خفة ورشاقة ، غير هياب ولا وجل .

لم يكن هناك ما يدعوه إلى الخوف . فاللوامس التى تطلق سهامها الفتاكة على من يغامر بالاقتراب منها ، تتعرف على المهرج بسهولة من حركاته البهلوانية المميزة ، فتتحاشى إيذاءه .

وهي ظاهرة حيرت العلماء زمناً طويلا وذهبوا فى تفسيرها مذاهب شتى . فقال البعض إن جسم المهرج تكسوه مادة معينة تجعله آمناً من سم الشقيق . لكن هؤلاء فشلوا فى تعليل امتناع الشقيق عن إطلاق سهامه على المهرج . فاذا كانت البوليبات المرجانية تطلق سهامها بمجرد أن يحتك جسم ما بلوامسها ، فان الشقيق

المهرّج

لا يفعل هذا إلا بعد أن يتخذ جهازه العصبى المركزى قراراً فى الأمر .

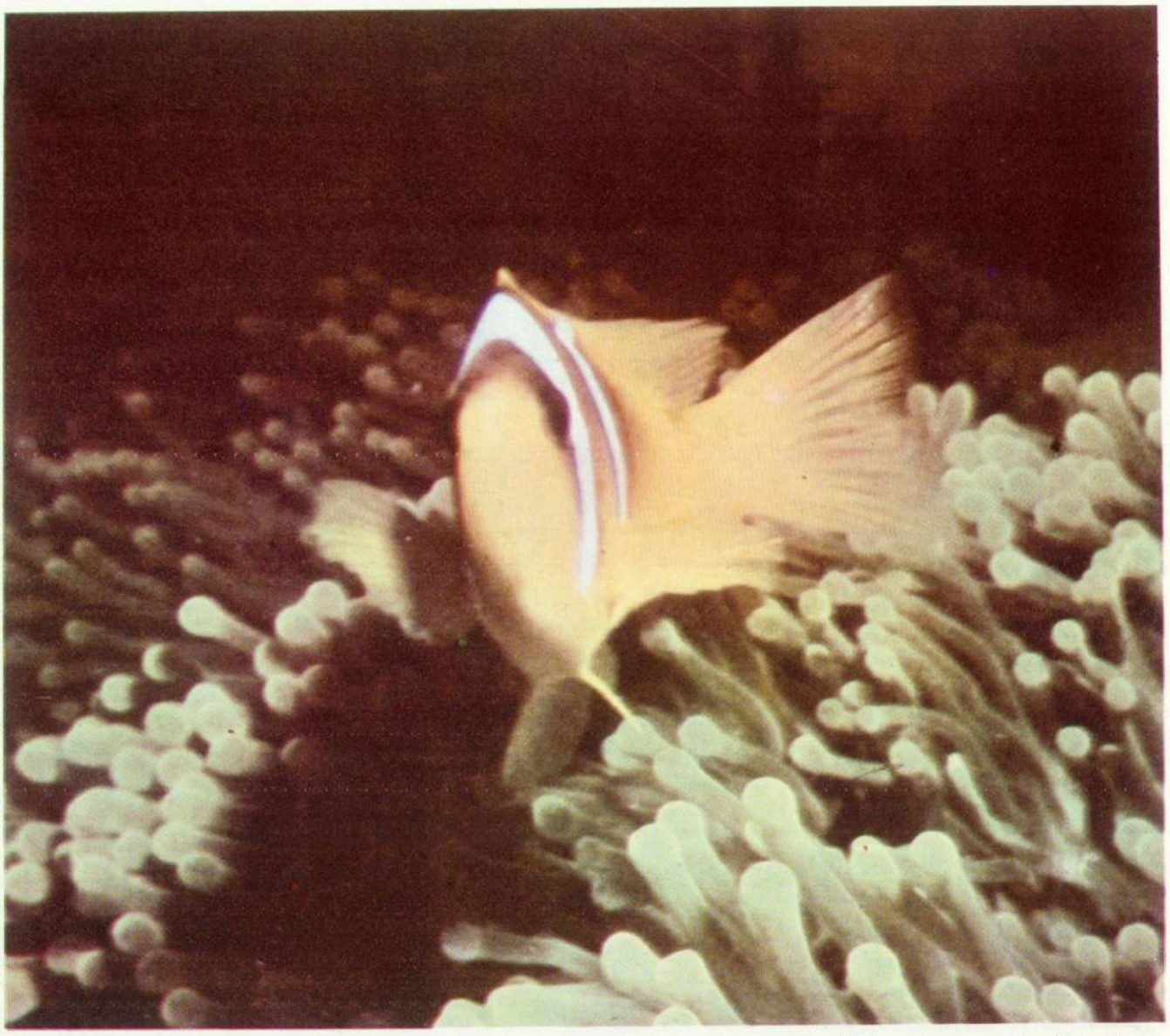
ويميل أغلب العلماء إلى الافتراض بأن الحيوانين قد توصلا ، عبر ملايين السنين ، إلى نوع من الاتفاق الضمني يقوم على أساس تبادل المنافع ، وهي ظاهرة شائعة بين مختلف أنواع الكائنات الحية .

فالطبيعة لم تزود المهرج بوسائل دفاع أو هجوم يعتد بها ، وأمدته فى الوقت نفسه بشهية بالغة للحوم ، ولحوم الأسماك الأخرى بالذات .

وهي قد أمدت الشقيق بشهية سماثلة ، وقدرة على ابتلاع أجسام تفوقه فى الحجم ، وحرمته من نعمة الأبصار وسهولة الحركة ، بعد أن عوضته عنها بخلايا لاسعة فوق لوامسه .

ولابد أن المهرج اكتشف فى وقت من الأوقات ، ملجأ أميناً بين هذه اللوامس يحميه من الأسماك التى تبزه فى القوة ووسائل الافتراس ، ومنصة جيدة التحصين ، يعمل من فوقها .

ومن المحتمل أنه كان يحمل فائضاً من الطعام ، عندما اقترب من الشقيق للمرة الأولى ، فأتاح للأخير أن يشبع جوعه ، فهدأت مشاعره العدوانية ، وامتنع عن



مهرج البحر الأحمر الشهير بين لوامس شقيقة !

استخدام أسلحته الدفاعية . وما لبثت الحركات البهلوانية للمهرج أن وجدت هوى فى نفس الشقيق ، لما أحدثته من تدليك لطيف للوامسه ، وهي إحدى النتائج الهامة التى توصل إليها رائد علوم البحار المصري د. حامد جوهر عام ١٩٤٥ ، فى أعقاب أبحاث طويلة بدأها فى عام ١٩٣٢ .

ولم يكن من العسير بعد ذلك ، أن يتحول الاكتشاف المتبادل إلى عادة فعلاقة متوارثة بين الحيوانين ، يحرصان عليها ، ويستمتعان بثمارها .

شعر المهرج بالجوع فجأة ، فتسلل بين اللوامس حتى أشرف على فم الشقيق .

كان هذا قد انتهى من هضم جسد السردينة ، وعجز عن هضم رأسها فلفظها ، ثم انقبضت عضلاته ،وضاقت فتحة الفم تدريجياً تبعاً لذلك حتى انغلقت تماماً ، وبقي رأس السمكة بجوار الفتحة المغلقة .

التقط المهرج رأس السردينة بفمه ، وابتلعه ثم استانف تجواله بين اللوامس فى قلق ، فقد كان مايزال جائعاً

والواقع أن شهيته تفتحت فى الأيام الأخيرة بصورة لم تحدث من قبل . ورافق ذلك ظاهرة أخرى ، إذ اكتسبت ألوانه لمعاناً خاصاً . أما السبب فى كلا الأمرين فهو النشاط الهرمونى الذى يسبق التكاثر .

التقطت أعصابه الجانبية حركة غريبة فى المياه ، فأبرز رأسه من بين اللوامس .

كان ثمة نشاط غير عادى بين الأسماك يوحي على الفور بالطعام . واستحث الجوع فضوله ، فانطلق الى الخارج .

لمح عدة ذكور من سمك «أبو شريطة» الذى يتميز بشرائط عريضة داكنة حول جسده ، تطارد أنثى ممتلئة من نفس النوع . وتبع المهرج الذكور على مهل ، فرأى الأنثى تتجه الى أكثر الزوايا ازدحاماً بالكائنات الدقيقة ، وتشق طريقها كالزجزاج بين التكوينات المرجانية ، والأسماك الأخرى فى أعقابها.

ولحظ المهرج أن الأنثى تزداد انتفاخاً باطراد ، وما لبث أن برز من تحت زعنفتها الشرجية شريط أبيض .

أثار هذا المشهد الذكور ، فاقبلوا

يحتكون بالانثى ، ويدفعونها هنا وهناك ، بينما الشريط يزداد طولا ، ويتكوم فى ثنيات متلاصقة فوق بعض الطحالب ، الى أن انفصل عن جسد الانثى .

تزاحمت الذكور على الشريط ، وانقض البعض على اجزاء منه يلتهمها بينما انزلق آخرون فوق مادته الرغوية الناعمة ، وهم يطلقون غددهم التناسلية فى الماء . وحمل التيار شيئاً من هذه الغدد الى الفتحات الأنفية وبراعم التذوق لدى المهرج ، فالهبت شهيته .. للأكل .

لكن المهرج غالب رغبته فى التقاط البيض خوفاً من عدوان الذكور . وتحول يلتمس بغيته فى «سيبيا» صغيرة ، من اقارب الحبارات والأخطبوطات ، لمحها بركن عينه فوق كتلة من الاسفنج الأحمر.

وما إن بلغ مكانها حتى ألفاها قد اختفت داخل احدى الفتحات الدائرية التى تنتشر على سطح الاسفنج ، تتخللها المياه ، لتزود الحيوان الغريب ـ المجرد من أية أعضاء أو حواس ـ بحاجته من الأوكسجين والطعام .

كان المهرج يعرف بالتجربة أن هذه الفتحات هى مداخل لممرات متفرعة تصب فى قناة رئيسية ، تفتح بدورها على الخارج . ولهذا أسرع يدور حول كتلة الاسفنج متلمساً الفتحة التى قد تخرج منها السيبيا ، ليواجه بمفاجأة غير متوقعة .

فقد أوشك أن يصطدم بسمكة فاتنة تحمل نفس ألوانه ، مع ظلال زاهية بعض الشيء ، تنطق بالاضافة الى تضخم صدرها وبطنها ، بأنها من اناث النوع .

نسي السيبيا وتجاهل ما يشعر به من جوع ، وأقبل يمتص الافراز الرغوى فوق ذيل المهرجة التى أخذتها المفاجأة فجمدت فى مكانها . لكنها سرعان ما اندفعت تشق الماء مبتعدة ، والمهرج من خلفها .

كانت المهرجة على معرفة جيدة بممرات الشعاب ومخابئها ، فقادته الى شبكة معقدة منها ثم اختفت فجأة .

ظل يبحث عنها بين فروع المرجان ، وتحت مظلاته ، وخلف الصخور والاسفنجيات ، دون جدوى . وأخيراً شعر بالتعب ، وتبين أن الضوء يتلاشى بسرعة ، منذراً بحلول الليل ، فقرر العودة .

انقاذ الصغار

عام وهو يتطلع حوله بحثاً عما يؤكل . وتجنب الاقتراب من مجموعة من الشقائق المختلفة الألوان ، بين برتقالية وخضراء ، وان اشتركت فى دقة اللوامس كثافتها .

اشرف على جحر بين الصخور استقرت فى مدخله استاكوزا ضخمة ، اكتسبت مظهراً مخيفاً من ألوانها وزخارفها العجيبة ، والكلابين الضخمين اللذين مدتهما أمامها بصورة تهديدية .

أوشك المهرج أن يستأنف طريقه لولا أن لمح حشداً من الصغار أسفل الشعر الكثيف الذى يغطى أطراف سيقان الحيوان الغريب ، فأثارت شهيته للصيد .

دار حولها متلمسا طريقة لالتقاط الصغار لا تعرضه للكلابين ذوى الاسنان الحادة . ودارت الاستاكوزا معه ببطء ، لتبقيه فى مجال رؤية عينيها ، المستقرتين فوق عصاتين طويلتين بارزتين من رأسها .

وأدت حركة الأم الى تدحرج بعض الصغار ، وسقوطهم فى الماء ، ورآهم المهرج يتلوون فى عجز ، فأدرك أنها الفرصة التى ينتظرها واندفع نحوهم .

قامت الاستاكوزا بحركة خاطفة من ذيلها ، وقفزت فى الماء وهى تمد كلابيها أمامها . ورأى المهرج الكلابين يستطيلان ويقتربان منه ، فحاول تجنبهما ، لكن أحدهما لم يلبث أن انطبق على زعنفته الصدرية فى قبضة حديدية لا فكاك منها.

جذفت الاستاكوزا باطراف سيقانها الخلفية عائدة الى جحرها . وما أن لمست الصخر حتى انزلت الأزواج الخمسة من سيقانها فوقه . ثم زحفت الى مكمنها ، ممسكة بأسيرها ، تنتظر موته غرقاً . ولم يكن لديها شك فى هذا المصير ، لأن وضع المهرج بين طرفى كلابها كان يحول بينه وبين التنفس .

وفجأة أدركت الاستاكوزا ما لحق بصغارها .

ففى أثناء ملاحقتها للمهرج ، تبعثر هؤلاء فى الماء ، فاجتذبوا جماعات من السمك ، تدافعت لالتهام القشريات الصغيرة اللذيذة .

تخلت عن فريستها كارهة ، وهرعت تجمع بكلابيها أكبر عدد ممكن من الصغار ، قبل أن تأتى عليهم الأسماك .

وانتهز المهرج هذه الفرصة لينجو بجلده .

لكنه لم يتمكن من الابتعاد كثيراً .

فقد كانت خياشيمه تعمل بصعوبة بالغة ، كما تسببت الزعنفة التى احتوتها قبضة الاستاكوزا الحديدية ، وأصبح عاجزاً عن حفظ توازنه فى الماء .

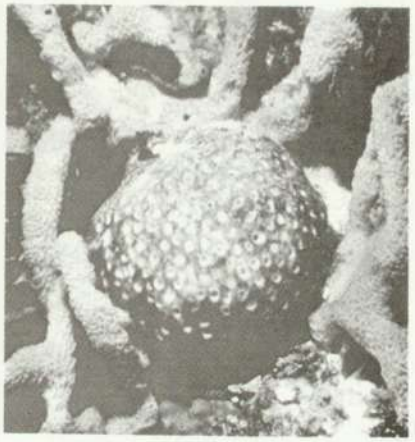
التجا الى أول سطح ممهد قابله فارتمى فوقه ، وبعد أن استجمع قوته قليلا ، بحث عن شق آمن بين الصخور ، فانزوى فيه .

هدأ تنفسه بعد قليل ، واستعادت خياشيمه حركتها الطبيعية ، لكن انتشار الظلام لم يشجعه على الخروج ، وقرر أن يبقى فى مكانه الى الصباح .

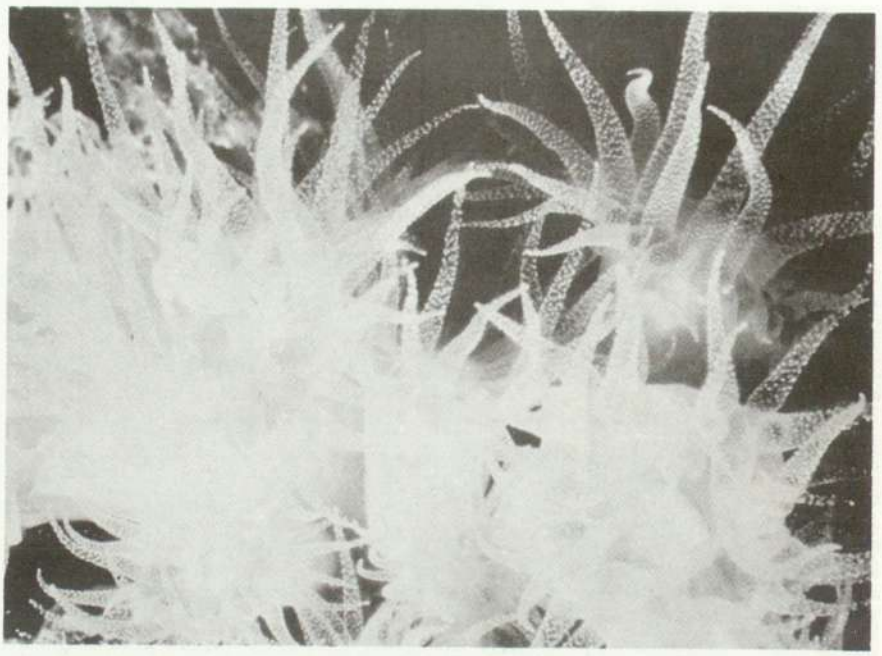
الحلم والواقع

قضى المهرج «ليلة مضطربة» ، حسب التعبير الذى يستخدمه أبناء البشر .

كان يعاني من الجوع والارهاق ، فما لبث أن غفا . لكن حواسه ظلت مستنفرة لالتقاط الروائح والأطعمة والذبذبات المنتظمة ، التماساً لأى بادرة توحي بالخطر ، ينتفض عندها من إغفاءته وقد انتصبت زعانفه ، فيزداد انكماشاً فى حفرته . ثم يستأنف النوم بعد أن يزول



أنواع مختلفة من الأسفنج



لقطة فريدة لعدد من الشقائق المتجاورة .. ويمكن بسهولة تبين الخلايا اللاسعة الدقيقة

الخطر .

وتجسدت مشاعره ومخاوفه فى صور مختلفة عبرت مخه . فرأى ، فيما يرى النائم ، أنه يلتهم سمكة شهية ، ذات جسد رخص يخلو من الزعانف والأشواك بل والسلسلة العظمية الداخلية . ثم ألقى نفسه ملاحقاً من جانب سمكة عقرب مفترسة ، أوشكت أن تلحق به .

انتبه من إغفاءته وهو يرتعش من الرعب ، فوجد نفسه آمناً فى حفرته . وظل فترة طويلة عاجزاً عن النوم الى أن هدأ روعه ، وعندئذ عاوده الحلم . لكن السمكة التى طاردته هذه المرة ، وتمكنت من القبض على ذيله بفكيها ، لم تكن سوى الأنثى التى تسببت مطاردته لها فى كل هذه المتاعب . والأهم من ذلك أنها لم تكن تبغى إلحاق الأذى به ، واكتفت بامتصاص الافراز الرغوى الذى يغطى جسده .

وكما حدث مع السمكة العقرب ، لم يجد أثراً للمهرجة عندما أفاق .

لكنه عندما استعاد عافيته فى الصباح ، وانطلق مسرعاً بقدر ما يستطيع ، عائداً الى شقيقه ، شعر بمن يتبعه عن كثب . واكتشف بعد لحظة أن المهرجة هى التى تعوم فى أعقابه .

أشرف المهرج على الصخرة التى يعيش الشقيق فوقها ، والأنثى تتبعه على مسافة بوصة .

كان ثمة عدد من الشقائق المتشابهة المتقاربة ، تنتمى كلها الى نفس النوع ذى اللوامس القصيرة الممتلئة ، الذى يشبه زهور الداليا البرية . لكن المهرج تعرف على شقيقه بسهولة فاتجه اليه مباشرة ، بينما تشاغلت المهرجة بمطاردة احدى القشريات .

وقبل أن يبلغه بعدة بوصات ، أدرك المهرج أن شيئاً ما قد حدث .

كان الشقيق منكمشاً على نفسه وقد تراجع قرصه الفمى باللوامس التى يحملها ، واختفى كلية داخل الساق الاسطوانية العمودية . وبدا الحيوان كله أقرب الى كتلة هلامية متجمدة ، ذات مظهر ذابل .

هرع المهرج الى صديقه وحاميه وأويه فاستقر فوق قرصه الفمى ، وجعل يتحرك فوقه بخفة ورشاقة ، كما لو كان يربت عليه فى عطف ، أو كأنما يعتذر عن غيبته الطويلة .

وحدثت المعجزة :

دبت الحياة فى كتلة الهلام الذابلة ، وتمددت الساق ببطء ، كاشفة عن الملامس وفتحة الفم ، وسرعان ما انبسطت الملامس الى أقصاها ، وخفقت فى حيوية ومرح .

وسواء كان السبب فيما أصاب الشقيق من اكتئاب نتيجة غياب صديقه هو تضاؤل فرص الطعام الذى يشبع شراهته ، أو حرمانه من التدليك اللطيف للوامسه الحساسة ، الذى يقوم به المهرج طوال مرافقته له ، فانه استرد عافيته على الفور .

وبعد دقائق ، كان يبتلع فى حماس خيارة بحر صغيرة ، التقطها له صديقه من بين المرجانيات المجاورة .

الزائرة الخائفة

راقبت المهرجة ما جرى باهتمام بالغ .

وكان المهرج قد غادر اللوامس عدة مرات ثم عاد اليها على الفور ، كأنما يستحثها على الانضمام اليه بينها ، ويريها أنها لا تؤذى ولا تضر ، بل حاول أن يدفعها بفمه نحو الشقيق ، دون فائدة . فلم تستطع التغلب على خوفها الغريزى من الحيوان الغريب ذى اللوامس الخطرة .

لكنها لم تنصرف ، وظلت تحوم حول الصخرة ، وعينها على الطريقة التى يداعب بها المهرج اللوامس ، والكيفية التى يثنى بها جسده أثناء انتقاله بينها .

وبحلول الظلام ، استجمعت شجاعتها ، وتقدمت من اللوامس .

مرت بها لحظة عصيبة للغاية ، وهى تلمس احداها بطرف زعنفتها الصدرية .

توتر لامس الشقيق ، وتوقف لحظة عن الحركة ، وبدا كان الحيوان المفترس ، المجرد من الحواس المألوفة ، يقوم بتحليل الأثر الذى تركته اللمسة المفاجئة .

كان ثمة شيء مألوف فى هذه اللمسة ، جعله يمتنع عن اطلاق صواريخه ، ويترقب اللمسة التالية فى اهتمام .

وساعده على ذلك أن معدته كانت ممتلئة ، فقد أطعمه المهرج سمكة كبيرة منذ هنيهة ، كأنما يستبق هذا الموقف .

ثم ان المهرج نفسه كان يقبع هادئاً مطمئناً بين اللوامس ، مما يوحي بأن كل شيء على ما يرام ، وأن الزائر الغريب ليس عدواً ، ولا فريسة .

تشجعت المهرجة فمالت بزعنفتها الصدرية الثانية على لامس آخر ، وجاءت درجة ميلها ، والقدر الذى استقر منها على اللامس ، والمدة التى استغرقها احتكاكها به قبل أن تنتقل الى غيره ، مماثلا لما يصدر عن المهرج من حركات .

واذ لم تصدر عن الشقيق بادرة

المهرج



نوع آخر من سمكة المهرج ، يتميز بلونه الأسود وشرائطه البيضاء .



لقطة مكبرة لراس المهرج بين لوامس الشقيق

عدوان ، سمحت المهرجة لبقية جسدها أن يلمس أجزاء أخرى منه .

وشيئاً فشيئاً ، تلاشى التوتر الذى استولى على لوامس الشقيق .

وتم قبول الزائرة .

ضحايا اليوم الموعود

قضت المهرجة الأيام التالية فى استكشاف امكانيات المأوى الجديد .

فالتنقل بين اللوامس مصدر لعب لا يبارى ، يتيح الاشتراك مع المهرج فى لعبة مطاردة واستخفاء لا تنتهى .

وفى حماية قذائفها الصاروخية ، يمكن اعتراض فرائس كبيرة الحجم بجرأة ، والقيام بمغامرات عديدة كانت مستحيلة أيام الحياة فى العراء .

إلا أن الانتفاخ المتزايد فوق زعنفتها الشرجية ، جعلها تعزف تدريجياً عن اللعب والصيد ، وصارت تقضى أغلب وقتها فى استكشاف المنطقة المحيطة بمأواها الجديد .

فقد كانت تختار المكان الملائم لوضع البيض .

بحثت فى عناية عن الأماكن التى لا يكون التيار فيها قوياً بحيث يجرف البيض ، ولا يكون ضعيفاً بحيث يحرمه من التهوية المناسبة . والتمست أكثرها دفئاً ، وأقربها الى ضوء الشمس ، وأبعدها عن طريق الأنواع المختلفة من الأعداء .

وكان المهرج يلاحظها فى اهتمام ، يتزايد يوماً بعد آخر ، كأنما يدرك ما هى بسبيله .

وجاء اليوم الموعود أخيراً .

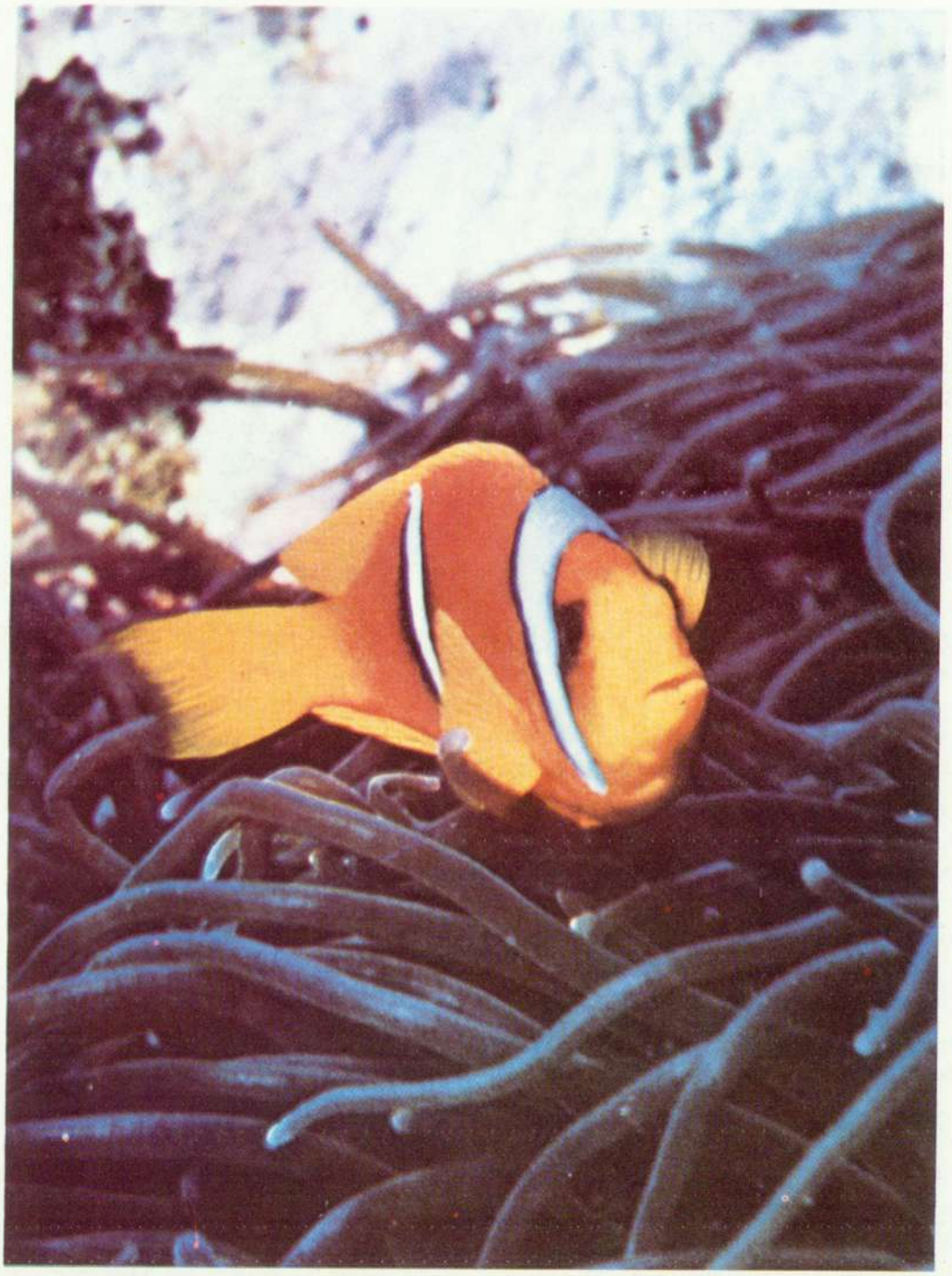
ومنذ الصباح بدت منتفخة للغاية ، ثقيلة الحركة ، تنوء بحملها . وعندما جن الليل ، لم تهجع كمالوف عادتها به ، وانما انتابها قلق غريب ، مست عدواه رفيقها ، فأخذ ينتقل بين اللوامس فى انفعال شديد .

وفجأة ارتعش جسد المهرجة ، واندفعت الى الخارج ، متجهة الى المكان الذى اختارته فوق سطح صلب لمرجانيات ميتة ، يتميز بنظافته من الرمال والطحالب ، فوضعت عدة مئات من حبيبات دقيقة برتقالية اللون ، طويلة الشكل ، استقرت متجاورة بصورة عمودية ، وقد التصقت قواعدها بالسطح الصلب ، فى مساحة لا تتجاوز أربعة سنتيمترات .

هرع المهرج خلفها ، وما أن انتهت من وضع البيض ، حتى عام فوقه وهو يطلق حيواناته المنوية فى ارتعاشات متلاحقة .

لم تغفل الأم لحظة واحدة بعد أن تم تلقيح البيض . فكل عدة دقائق ، تخرج من بين أذرع الشقيق ، وتندفع نحوه ، ثم تتحرك أمامه الى الخلف والامام حركة أشبه بالرقص ، تنشأ عنها تيارات فى الماء ، تهز البيض وتؤرجحه ، الأمر الذى يساعد على تنفسه .

وفى الصباح بدت البويضات أشبه بعصى غليظة ، يبلغ طول الواحدة منها



لقطة مكبرة لمهرج حمل الطعام لشقيقه بين فكيه ليطعمه .

ملليمترين ونصف ، وعرضها ثمانية أعشار المليمتر ، ذات قشرة ملساء شفافة تكشف عن مخ غزير ذى لون برتقالى زاه انتثرت فوقه خلايا صبغية سوداء .

والظاهر أن الذكر لم يتمكن من تلقيح كل البيض ، فقد تحول بعضه الى اللون الأبيض ثم تعفن ، وذهب طعاماً للحلازين واليرقات .

وداخل البيض الملقح كان يجرى نشاط عنيف . فقد جعلت الخلايا تنقسم وتتوزع الى طبقات من الأنسجة وأعضاء وتلاشى لونه البرتقالى الزاهى تدريجياً ، وحلت مكانه قتامة واضحة .

وفى اليوم التالى كان البعض قد مات من جراء ضعف وراثى ، وجرفت المياه بعضاً آخر لم يكن ملتصقاً بسطح الشعاب بصورة جيدة ، وتعرض الباقى لهجوم الديدان الزجاجية .

فقد ظهرت هذه الكائنات التى تقوم بدور التنين فى عالم الكائنات الدقيقة رغم أن طولها لا يزيد على نصف سنتيمتر ـ ظهرت فجأة بأجسادها الرشيقة الشفافة ورؤوسها المتجهة ذات الفكوك المسننة ، وشقت الماء مثل السهام مندفعة فى كل اتجاه لتمسك بأى شىء يقابلها ، من بيض وقشريات بل وأبناء جنسها أنفسهم .

وقبل أن تخف المهرجة للدفاع عن بيضها ، كانت الوحوش المفترسة قد التهمت بضع عشرات منه ، بينما

المهرج

تبعثرت عشرات أخرى جرفتها المياه .

وهكذا لم يتبق من حوالى ثلاثمائة وخمسين بيضة وضعتها المهرجة سوى احدى عشرة بالتمام والكمال .

البحث عن الأمان

بدأ الجسد الخيطى للسمكة يتكون داخل كل بيضة من حول كرة المخ التى تمده بالحياة ، بعد ليلتين ويومين من الفقس والتلقيح .

وظهر تل رفيع أسفل الخط الوسطى ، سيتحول فيما بعد الى سلسلة فقرية . كما تكون انتفاخ كبير فى الطرف الامامى مكان الرأس القادمة ، يعلوه بروزان صغيران فى مكان العينين .

وفى اليوم الثالث ظهرت آثار دستة (درزينة) من العضلات ، على شكل الرقم ٧ ، فوق كل جانب من السلسلة الفقرية . وتجلى فص المخ من خلال أنسجة الرأس الشفافة ، كما قاربت العيون الاكتمال ، وبدت نقاطاً سوداء تتطلع الى البحر من خلف جدار البيضة دون أن ترى .

وفى فجر اليوم الخامس ارتعش كيس رقيق أسفل الرأس ، ذو لون قرمزى يعود الى ما يحمل من دماء ، وخفق ثم بدأ نبضه الثابت الذى سيستمر طول حياة السمكة .

وطوال ذلك اليوم مضى التطور بمعدل شديد . فعلى الذيل ظهرت حافة من النسيج ستتشكل منه فيما بعد سلسلة من الزعينفات ، مثل صف من الاعلام المرفوعة فى الهواء .

ونمت باطراد جوانب أخدود يمتد على بطن السمكة الصغير من أسفل تحميه صحيفة تتالف من أكثر من سبعين فصا من العضلات . وبعد الظهر انغلق هذا الشق مكونا القناة الهضمية . وازداد كهف الفم - الواقع فوق القلب النابض - عمقاً ، لكنه ظل بعيداً عن القناة .

وفى اليوم التالى بدأت جلود البيض تنفجر واحدة وراء الأخرى ، وبرز المهرجون الصغار الى الوجود .

كانت أحجامهم ضئيلة للغاية ، فلم يكن الطول المشترك لهم - من الرأس الى الذيل - ليزيد على سنتيمتر ونصف .

لكن التطور لم يكن قد انتهى بعد . ففتحات الخياشيم الواضحة لا تنفذ الى العنق ، ولهذا لا تصلح للتنفس .

والفم مازال كهفاً مغلقاً من كل الجوانب . ولحسن حظ السميكات أن أكياس المح ظلت معلقة بها ، فأمكنها أن تتغذى على ما تبقى بها من طعام . لكن هذا الكيس ذاته جعل السميكات مقلوبة فى الماء ، عاجزة عن التحكم فى حركاتها.

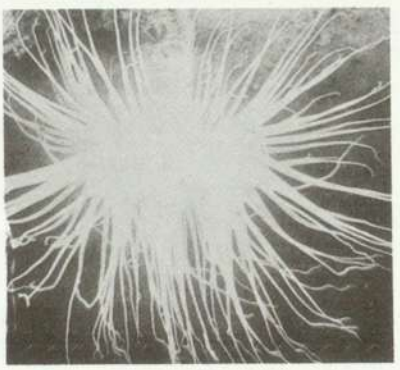
وجاءت الأيام الثلاثة التالية بتحولات بارزة . فقد انفتح الفم على الخارج ، وعلى القناة الهضمية ، واتصلت الخياشيم بالعنق ، ونمت الزعينفات البارزة من الظهر والجوانب والبطن ، واكتسبت قوة وصلابة . وبدأت العيون ترسل الى المخ الصغير أولى رسائلها عما تراه .

وفى هذه الأثناء كان كيس الطعام قد تقلص ، فانفصل . واستطاعت السميكات أخيراً أن تعتدل على بطونها وتعوم .

إلا أن الزعانف ماتزال أضعف من أن تواجه التيارات ، فطفت السميكات جزءاً من مملكة الكائنات المجهرية ، تبتلع ما تحويه من طحالب بقيقة (دياتومات) ، وتتعرض هى نفسها للابتلاع على يد حيوانات أكبر .

ولحسن الحظ أن الأبوين لم يتخليا عن صغارهما ، الذين كان عددهم فى تناقص مستمر ، وتمكنا فى النهاية من دفع من تبقى منهم نحو الشقيق ، حيث يتوفر الأمن والأمان بين لوامسه .

التأم شمل الأسرة الصغيرة ، وعاشت فى وئام مع مضيفها وعائلها .



نوع آخر من الشقائق له لوامس رفيعة كالشـــعر

وهنا يمكن أن تنتهى قصتنا ، بنفس الطريقة التى تنتهى بها أغلب القصص الساذجة .

فكما يحدث بين البشر ، لم تكن هذه - فى الواقع - غير النهاية الأولى .

أما النهاية الثانية ، فقد تجمعت خيوطها على مدى الشهور القليلة التالية .

فقد جعل الصغار يختفون ، واحداً وراء الآخر . منهم من فقد حياته فى احدى الجولات بالمياه الخارجية ، ومن هجر الشقيق بمحض ارادته ، ليستقل بشقيقه الخاص ، حيث تتوفر فرصة أكبر للحركة ، ومكان أرحب لرفيقة المستقبل .

ثم اختفت الأم بدورها .

خرجت ذات يوم ولم تعد .

واستأنف المهرج حياة «العزوبية» التى يشاركه فيها الشقيق .

وانقضت عدة شهور .

وذات صباح شعر المهرج بفتور غريب فى جسده ، لم يعهد مثله من قبل .

وعندما أراد أن يحرك ذيله وزعانفه استعصت عليه ، وبدت ثقيلة ، متصلبة.

عزف عن الخروج ، وقنع بأن يرقد بين الملامس ، تبدر منه بين الحين والآخر ارتعاشة مفاجئة ، قد تكون من آثار حمى أو محاولة تحريك الأطراف الثقيلة .

وعند الغروب بدأت لوامس الشقيق تتحرك فى قلق .

فقد انتاب الحيوان الأعمى الشك .

فذلك الجسم الراقد بين أذرعه يبدو بالتدريج مختلفاً عن الجسم الآخر المتقد حيوية الذى عهده من قبل ، والذى ترسل حركاته موجات من الراحة والطمأنينة عبر خلاياه .

وبدأ يشعر بالجوع .

وسواء كان السبب هو الجوع ، أو يقين متزايد بأن الجسم الراقد بين اللوامس ليس إلا كائناً غريباً ، لا علاقة بينه وبين المهرج المألوف ، فان النهاية كانت محتومة .

فقد تجمعت اللوامس بالتدريج والتحمت ببعضها ، ودون أن تحفل باطلاق صواريخها المعهودة ، انطبقت على الجسم الخامل الراقد بينها ، وجذبته نحو المركز .

وانفرج الفم الشره ليبتلع رفيق العمر !

صنع الله ابراهيم

أكتوبر نوفمبر

شعر: حبيب الصايغ



سأنأى عن القـــبر ،
فليصفح المـــوت عني .
سأمسح هذا الجبين اللعين
عن التربة الباليـــه
سأنأى عن القـــبر ،
وهو سينأى معي فيَّ ..
في الجـــذوة ـ الـدهر
إن الحدائق قد شرشت في دمي ،
واصطفتني .
وها هى تستنفر الخيل في جسدي ،
وتداعب عمـرى حتى يجيء ،
ويشـــهدني في يقيني .
لســـوف يراك تمرين بين المفاصل والقلب
صـــاخبة

• •

وتستيقظين ، فتستيقظ المـــدن الغافيـه
ويسرج حفـــل التعـــارف
في طرقـــات التشرد
بين الميـــاه وبين الميـــاه ،
فيعدو المحيط اليك .
ويعدو الخليج إليَّ ،
ويركض موج حميم إلى شفتينا .
ألا إنهـــا ســـنة الحلم ،
فلتسبقيني اليك
ادخلى الجســـد الحلو
وانتظري زحمة الرحب
لن أتطاول حتى أغـــامر
وأختصر النـــار في الجملة العـــارية

• •

لك المرحـــله
وزهو التفاصيل في اللوحة المقبله
لك الطقس والأسئله
وصـحو المســـافات في السنبله
لك الكـــون ،
فاستقبليه على شرفة الصـــبح
واحتضني وهجـه
إنه قـــادم
في انتشـــار الجنـــون المؤدي اليك
فكوني له كونه
لـونه
صباباته واحتراقاته
كل أوقاته
بعضـــه
نبضـــه
احتضـــنيه ،
وكوني لـه الأرض والزلزله

• •

هى الســـنة ـ الحلم
هل يتجاهل هذا الثراء الخرافى ،
والأرض عقد من الياسمين الفدائى ،
والفصـــل شرَّع أبوابه
واســـتضاف التنوع
هل يتجاهل مـــا أذهله ؟

• •

ألا انهـــا الســـنة ـ الحلم
كيف تراود أجنحة الطير
عن نفســـها
خفقات المـــوانيء ؟

• •

كيف يداهم وقت الحصـــاد الكسالى ؟
ألا انهـــا الســـنة ـ الحلم
لا توقظيني من الســـنة ـ الحلم
لا توقظيني من الشـط والصاريه .

حبيب الصايغ ـ الامارات

بقلم: محمد فتحي عبد الفتاح

أدباء ومفكرون كالساعة!

ينامون بنظام
ويأكلون بنظام

والنتيجة:
إنتاج غزير
وعمر طويل





نجيب محفوظ



عباس محمود العقاد



الفيلسوف كانط

إن احترام الساعات الحيوية للجسم .. هو الطريق المستقيم إلى الصحة ، والانتاج الوفير المتميز . فهل تحاول أن تكون لك مثل ساعة نجيب محفوظ ، والعقاد ، والحكيم ، وكانط . نقصد : أن تكون منضبطاً بشدة .

- نجيب محفوظ يلقي بالقلم ولا يكتب المجرور اذا جاءت لحظة انتهاء الكتابة وقد وصل الى حرف جر !! وبالرغم من ذلك طاولت كتبه قامته !!
- لماذا لا يرى العقاد شيئاً عجيباً فى أن يتمتع بالشباب فى شيخوخته ؟ سر من الأسرار التى جعلته واحداً من اكبر المثقفين فى كل عصور الثقافة العربية .
- لم يخرق كانط موعد استيقاظه مرة واحدة على مدى ٣٠ سنة !! وباستير عاش ٧٤ سنة برغم ضمور وموت نصف دماغه أيام الشباب !!
- جسم الانسان نسيج من ايقاعات حيوية كثيرة يقودها ايقاع «مايسترو» يجب احترامه حتى لا يتحول عزف الأوركسترا الى نشاز .
- النابهـــون جميعاً حلوا التناقض بيـــــن الايقاعات الاجتماعيـــة والايقاعـات الحيوية لصالح هذه الأخيرة .
- هل تشبه القبرة أم البومة ؟ ان معرفة ذلك يفيدك فى فهم مدى توافقك مع مهنتك وشريك حياتك ...
- احترام الايقاعات الحيوية يتطلب : ـ ان يواكب مستوى نشاطك منحنى الايقاع الحيوى شبه اليومى . ـ التحميل التدريجى والخروج التدريجى بالنسبة لأى نشاط . ـ التزام مواعيد محددة لكل نشاط من انشطتك والنوم واليقظة بالذات .
- القرود تمرض وتموت عند العبث بمواعيد نومها ويقظتها بالرغم من اكرامها في كم النوم !!

تناول الكاتب الساخر محمد عفيفى فى مقال له «العلاقة الغريبة» بين نجيب محفوظ والساعة فكتب : «يستطيع جيران نجيب محفوظ ان يضبطوا ساعاتهم على مواعيد نشاطات نجيب المختلفة .. مرة فى الصباح على لحظة خروجه من البيت .. ومرة فى المساء على اللحظة التى يضاء فيها النور فى حجرة مكتبه ... أو على اللحظة التى ينطفىء فيها النور معلناً عن انتهائه من الكتابة . فنجيب يكف فى اللحظة المحددة لذلك من قبل مهما كان عنده من الأفكار الجاهزة .. تلك اللحظة التى ربما حلت وقد انتهى من السياق الى حرف جر ، فيلقى بالقلم وينهض دون أن يكتب المجرور» . ويقرر محمد عفيفى ان «الساعة ما هى إلا رمز لما تتسم به حياة نجيب من الدقة البالغة ومن العادات الحديدية الصارمة» .

ويستمر محمد عفيفى فى تفصيل جوانب هذه الدقة حتى يأتى الى الطقوس الصيفية لحياة نجيب محفوظ فيقول «وله مقعده الخاص الذى لا يتغير بجانب نفس المائدة فى نفس الركن الذى اصطفاه رجل منظم آخر هو توفيق الحكيم . فأنت تستطيع ان تضبط ساعتك أيضاً على اللحظة التى ينظر فيها الى ساعته ويصفق طلباً لفنجان القهوة الثانى» !

واذا تركنا مقال محمد عفيفى الى مقال كتبه العقاد عن نفسه بعد الستين بعنوان «كنت شيخاً فى شبابى» ، نجده يستهله مستطرداً «فلا عجب أن أكون شاباً فى الشيخوخة» ، ويقول فى طياته «ولا أرانى صنعت معجزة ان احتفظت بهذا القسط من الشباب لأنه حظ يصيبه من شاء ، وأخال طريقتى فى إصابته من أيسر الطرق للجميع فلي وقت للعمل ولي وقت للرياضة ، ولي يوم في كل أسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف ، وفض رسائل البريد ،

أدباء ومفكرون كالساعة!

ولي مواعيد للطعام والنوم لا تختل فى يوم» .

وهكذا نرى أن العلاقة الغريبة مع الساعة ليست قصراً على واحد من كتابنا او مفكرينا البارزين . وكان بالامكان الاستطراد الى أمثلة كثيرة أخرى من حياة رهط الكبار المنضبطين ، أو من حياة امامهم جميعاً عمناويل كانط ، الذى كانت حياته تمضى فى كل جوانبها على وتيرة محسوبة «بالثانية» ، حتى انه لم يخرق موعد استيقاظه على مدى ٣٠ سنة مرة واحدة ! نقول كان يمكن الاستطراد لو أن استقصاء هؤلاء الجهابذة المنضبطين بقضهم وقضيضهم هو هدفنا . لكن ما نسعى اليه حقاً هو تفهم جوهر هذا الانضباط . وهل هو عادات غريبة أو مجرد اختيار ؟ وان لم يكن كذلك فما هى الدوافع او الضرورات التي أوجبته .. الخ ؟



ولن نبذل جهداً كبيراً فى البحث عن أسباب هذا الانضباط حتى نرى أن العقاد الذى كان مريضاً بالصدر فى بداية شبابه قد تمكن مستعيناً بالنظام الصارم الذى فرضه على نفسه من حماية جسمه من الهلاك تحت وطأة المرض الخطير ، وعاش خمساً وسبعين عاماً .. وحتى نرى ان لكانط ـ الذى عاش ٨٠ سنة ـ كتابات كثيرة حول «صنعه» صحته بنفسه ، حتى انه بلغ العامين الأخيرين من حياته دون أن يعرف مرضاً من الأمراض ، بعد أن كان سقيماً ضعيفاً هزيل الجسد فى شبابه ! .. ونرى شيئاً من هذا القبيل فى حياة جوته (٨٢ سنة) وتولستوى (٨٢ سنة) وباستير (٧٤



جوته



تولستوى



باستير

سنة) فنفهم ان انضباطهم كان وسيلة لمغالبة المرض والعيش فى صحة وعافية عمراً مديداً .



لكن ما إن تطول رحلتنا بعض الشيء حتى ندرك ان العقاد صار واحداً من أكبر المثقفين فى عصره بل وفى كل عصور الثقافة العربية ، وانه لم يترك قلمه إلا قبل وفاته بأيام . أو نرى انتاج نجيب محفوظ والحكيم . أو نرى كانط واحداً بين اعظم الفلاسفه فى كل العصور ، ونعرف انه نسخ من الصفحات (بخط يده) أكثر مما نسخ أى انسان آخر على الاطلاق ... أو يطالعنا النصب العملاق الذى أقامه جوته لنفسه فى حديقة الثقافة الانسانية ...

نرى ذلك كله وغيره كثير فنفهم ان هذا الانضباط وسيلة يتحول معها الانسان الى «آلة» غزيرة الانتاج كما وكيفاً .



وقد تطول جولتنا أكثر فنكتشف حقيقة ثالثة ورابعة وخامسة . لكننا هنا وهناك لا نكون قد أصبنا سوى جانب واحد أو مظهر من مظاهر جوهر أساسى ، أحسه هؤلاء الجهابذة بما تمتعوا به من حس مرهف وتفكير سديد ، إذ وجدوا أن بعض مظاهر التمدين تعاند هذا الجوهر من حيث لا فرصة لنا فى معاندته مما يعود على الانسان بالخسران . فقرروا احترامه وتجاوز العناد . ولعل القارىء يسأل : ما هو هذا الجوهر وفيم العناد ؟

الايقاعات الحيوية

هناك ناموس يحكم عالمنا هو ايقاعية ظواهره ، أى تكرارها خلال آماد زمنية متساوية . وجسم الانسان ليس استثناء من هذا الناموس . ويكفى لايضاح ما نقول نظرة الى عمل القلب أو الرئتين أو الدماغ ..

لقد كشفت الأبحاث العلمية التى تناولت جسم الانسان من هذه الناحية عن وجود آلاف مؤلفة من إيقاعات الأعضاء والأنسجة بل والخلايا ، يتراوح ترددها بين جزء على ألف من الثانية (أى

انها تتكرر ألف مرة فى الثانية الواحدة) وبين ١١ سنة (تتكرر كل ١١ سنة) .

ولأن جسم الانسان وحدة متكاملة فلابد وان تعمل الايقاعات المختلفة فى توافق عجيب . وبالفعل وجد أن ايقاعات الكائن الحى لا تعمل خبط عشواء ، وإنما تخضع لايقاع عام يلعب دور المايسترو فى قيادتها ضامناً ألا يتحول عملها الى نشاز . وعرف هذا الايقاع بالايقاع شبه اليومى لأن تردده حوالى ٢٤ ساعة . ولعل سمته الأولى هى الاتفاق مع زمن دوران الأرض حول محورها وبالتالى مع دورة الليل والنهار واليقظة والنوم . ولايضاح طبيعة عمل هذا المايسترو نذكر على سبيل المثال أنه اذا كان الايقاع العام لعمل القلب ٦٠ دقة فى الدقيقة فانه يتراوح فعلا بين ٧٠ دقة نهاراً و ٤٥ دقة ليلا . واذا كان الايقاع العام للجهاز التنفسى ١٦ دورة فى الدقيقة فانه يتراوح بين ١٨ دورة نهاراً و ١٢ دورة ليلا ... أى أن كل عضو ونسيج يخضع الى جوار ايقاعه الخاص لايقاع شبه يومى . وقد أمكن تحديد ما يقرب من ٥٠ عملية فسيولوجية فى جسم الانسان تتعرض لتذبذبات متكررة فى دورات يومية . ويمكن تشبيه هذا المايسترو بأمين على مخزن الموارد المحدودة الموجودة لدى الجسم يصرفها ويوزعها زمنياً بالصورة التى تمكن من التوفيق بين عمل الأجهزة وتجنب الجسم أية اختناقات فى الموارد . ولهذا تختلف درجة نشاط أجهزة جسمنا خلال النهار والليل ، ولهذا نحس فى وقت ما بالجوع وفى وقت آخر بالرغبة فى النوم ، وفى وقت ثالث بالملل

ايقاع خاص بالجسم نفسه

وإن كان هذا الايقاع يتفق مع دورة الليل والنهار كما قلنا ، إلا أنه خاص بالجسم نفسه فقد ظهر أن من يعزلون عن دورة الليل والنهار يستمرون فى العيش وفق دوراتهم الخاصة شبه أو قرب اليومية . هذا وقد أثبت بعض العلماء بالتجارب التى أجروها على ذباب الدروزفيل الطابع الوراثى للايقاعات الحيوية ، إذ تمكنوا من تغيير ايقاعات حركة أجناس من هذا الذباب تعرضت لتغيرات وراثية بمؤثرات كيماوية . كما أثبتت التجارب التى أجريت على حيوانات مختلفة ان الايقاعات الحيوية محافظة للغاية . إذ أدى تغيير نظام نوم ويقظة القرود حتى مع إكرامها فى كم النوم الى تعرضها للمرض والموت بالاضافة الى أن محاولات تجريبية متعددة قام بها متطوعون للتعود على دورات عيش تستغرق ٤٨ ساعة أو ١٨ ساعة ، .. اذ وجد أن أجهزة أجسامهم تستمر بالرغم من ذلك فى العمل وفق الايقاع شبه اليومى . ومن الأمور الطريفة فى هذا الصدد أنه كان على بعض رواد الفضاء الأمريكيين العمل وفق جدول ٤ ساعات عمل تتلوها ٤ ساعات راحة ، وبعد فترة من التحليق أبلغ الملاح محطات المراقبة الأرضية بأنه يرى ملاكاً يحلق بجوار نافذة سفينته ، لكن الملاك سرعان ما اختفى بعد أن تم تغيير ايقاع عمله وراحته !

ولعل مثال رائد الفضاء ينقلنا مباشرة الى جوهر المشكلة التى يواجهها الانسان المعاصر والتى ذكرنا أن هؤلاء الجهابذة قد حلوها بالانضباط الشديد .

الايقاعات الاجتماعية

إن الانسان لا يعيش وحده فى الكون. ولكل جسم فى الكون ايقاعاته الخاصة . وللايقاعات المختلفة علاقات متبادلة تحكم حياة الكون كله . وهذا يعنى أن ايقاعات الانسان قد عملت دوماً فى علاقة بايقاعات الطبيعة . لكن المدنية جاءت لتضيف مجموعة أخرى من الايقاعات الاجتماعية نكتفى منها على سبيل المثال بأن ليلنا كثيراً ما يتحول الى نهار ، بكل ما ينطوى عليه ذلك من تحول أنشطة النهار الى أنشطة ليل .. فمن عمل الى حفلات ساهرة وموائد شهية .. الخ . وكل هذه التأثيرات تعاكس نشاط المايسترو وتثير الفوضى بين ايقاعات أوركستراه ـ فان كانت توجيهاته تقضى بأن تفرز المعدة أنزيماتها وعصاراتها لآخر مرة فى الثامنة فانها تفاجأ بالطعام بعد منتصف الليل دون أدنى استعداد ، وإن كانت أوامر المايسترو تقضى بأن تبدأ بعض أجهزة الجسم خفض نشاطها اعتباراً من التاسعة ، فان هذه الأجهزة تفاجأ بتصاعد الاحمال عليها اعتباراً من العاشرة !! والنتيجة الحتمية هى الخلل الوظيفى فى أداء الأجهزة ، الأمر الذى يؤدى الى ما نسميه بأمراض العصر من القرحة الى الأرق والاجهاد والتوتر . الخ

واذا عدنا الى ما ذكرناه من أن الايقاعات الحيوية وراثية ومحافظة للغاية وأضفنا الى ذلك أنها تشكلت من خلال انتقاء تطورى طويل ، أدركنا مدى استحالة تغيير الايقاع شبه اليومى وضرورة احترامه وعدم معاندته . وهذا ما توصل اليه صف الجهابذة المنضبطين الذين افتتحنا بهم المقال . إن الانضباط ضرورة استجابوا لها سواء عن وعى (بابعاد تأثيره) أو عن غير وعى ، فكان نصيبهم أن غنموا الصحة والعافية وطول العمر ، لأنهم تجنبوا النشاز ، وكفوا عن قتل أجسادهم بالتدريج . ولأن العقل السليم فى الجسم السليم فقد اهدوا البشرية ما أهدوها من ثمار عقولهم اليانعة ..



هنا نكون قد أقمنا المسالة على قدميها وبعدنا بها عن كل تغريب واغراب . لكن هدفنا أبعد من ذلك كما هو ظاهر من عنوان المقال . لقد استعنا بهذا الصف المهيب من النابهين إمعاناً فى إغراء القارىء ، بعد إقناعه ، بتنظيم مختلف أنشطته تنظيماً صارماً يتفق وايقاعاته

أدباء ومفكرون كالساعة!

الحيوية . لهذا نود تفصيل بعض الخطوط العملية العامة التى تساعد كل من يريد الأخذ بنواميس الايقاعات الحيوية فى وضع البرنامج السليم لمعيشته وعمله .

توجيهات عامة تطبيقية

والبداية الصحيحة هنا تنطلق من تدقيق ما قلناه ، من أن الايقاع المايسترو هو الايقاع شبه اليومي . وفى اتصال بذلك وجد أن كمية الهرمونات الموجودة فى الدم تقل ليلا بالتدريج ، وتصل هى ودرجة حرارة الجسم الى أقل مستوى لهما فى الساعات الأولى من اليوم (الثانية الى الرابعة) وبالقرب من الفجر يبدأ الاثنان فى الارتفاع تدريجياً ، وتستمر هذه العملية خلال النهار ، وبالقرب من المساء يبدآن فى النقصان تدريجياً ، وبالتدقيق فى منحنى تغيرهما الذى يجب أن ينظم نشاط الانسان بحيث يتفق معه ، وجد أن له ذروتين (مثل جمل بسنامين) إذ ينحدر بعض الشيء بعد النصف الأول من النهار ، ثم يعاود صعوده من جديد .

ويستطيع كل انسان أن يحدد وقت ذروتى نشاطه الحيوي بتسجيل درجة حرارته دورياً (شرط قياسها بصورة صحيحة) وتوقيعها بيانياً ، وذروتا النشاط تتفقان كما أشرنا من قبل مع بلوغ درجة الحرارة أقصى مستوى لها .

وقد بينت التعميمات الاحصائية أن القمة الأولى تقع بين الحادية عشرة والثالثة عشرة ، والقمة الثانية بين السابعة عشرة والعشرين ، وان كنا نحيل القارىء من جديد الى إيقاعه الخاص . هذا ويمكن تحديد وقت الذروتين بصورة وضعية عن طريق رصد حالة النشاط خلال عدة أسابيع .

وإن كانت نقطة البداية بالنسبة لأى فرد هى معرفة الشكل العام لمنحنى نشاطه فان الخطوة التالية هى معرفة ما اذا كانت موجة النشاط الأولى أم الثانية هى الأعلى .



هل أنت قُبَّرَة أم بومة ؟

وتجدر الاشارة هنا الى أن بين بنى البشر من يشبهون القبرات ، وهؤلاء يبكرون فى الاستيقاظ ، ويعملون على نحو أفضل خلال النصف الأول من اليوم ـ وبينهم من يشبهون البوم ، وهؤلاء يفضلون الاستيقاظ متأخراً ، وتتزايد انتاجيتهم فى المساء .

وهذا لا يعنى أن كل فرد ينتمى بصورة صارمة الى مجموعة من المجموعتين فوفقاً لمعطيات الفسيولوجى النمساوى «هامب» تبين أن نصف من فحصهم يستطيع التأقلم على نمطي النشاط الصباحى والمسائى ، وأن سدسهم من النوع الصباحى ، وثلثهم محض مسائى .

ومن دراسة قام بها العالم السويدى «أوستبرج» تبين أن الصباحيين من حيث الايقاع الحيوى يرتبكون ويضارون على نحو أكبر عند تعرضهم لما يخل بايقاع نشاطهم ، وان أكثر ما يتأثر بذلك هو نومهم وطعامهم .



فعلى سبيل المثال كان الواحد منهم ينام نصف ساعة أقل من المعتاد كلما عمل وردية ليلية ، وكان يعانى خلال ذلك من ضعف فى الشهية وخلص «أوستبرج» من دراساته الى أن ايقاع نشاط الصباحيين أقل مرونة فى مواجهة التغيير مقارنة بالمسائيين . ومن الطريف فى هذا الصدد أن اليابانيين يقصون عن العمل فى الوردية الليلية كل عامل يتجاوز النقص فى وزنه حداً معيناً ، معتبرين إياه غير صالح للعمل فيها .

ومراعاة ما اذا كان الانسان من الصباحيين أو المسائيين أمر لا تقتصر أهميته على معرفة أنسب ساعات النوم واليقظة بالنسبة له وبالتالى التوزيع الزمنى الأمثل لمنحنى النشاط اليومى فله أهميته الكبيرة بالنسبة لمعرفة مدى موافقة المهنة للمرء (العاملون بالطيران المدني مثلا عليهم باستمرار مواجهة آثار الانتقال بين المناطق الزمنية المختلفة خلال رحلاتهم) وبالنسبة لمجالات كثيرة أخرى منها على سبيل المثال العلاقات الأسرية و الشجار . وهناك إحصائيات تؤكد أن الشجار النـــاتج عن تفاوت الأمزجة يزيد كثيراً فى الأسر التى ينتمى أحد أفرادها الى النوع الصباحى بينما ينتمى الفرد الثانى الى النوع المسائى لهذا يستحسن أن يعرف المقدمون على الزواج الى أى نوع ينتمى كل منهم . وكذا يلزم ان يعرف الطالب الى اى نوع ينتمى قبل الانخراط فى عملية السهر خلال فترة الامتحانات . ويمكن للانسان أن يحدد النوع الذى ينتمى اليه من الاختبار المرفق وهو مقتبس من اوستبرج .

تسخين الوظائف الحيوية

وعلينا بعد ذلك الاشارة الى ضرورة انخراط المرء فى أى نشاط بصورة تدريجية اذا أراد أن يمارس هذا النشاط لفترة طويلة وعلى مستوى طيب . ويرجع ذلك الى حاجة الوظائف الحيوية الى «عملية تسخين» مثل تلك التى يقوم بها الرياضيون حول الملعب قبل دخوله . وحبذا لو وصل المرء الى ذروة نشاطه الفعلى مع ذروة منحنى نشاطه الحيوى . ومن الطريف أن العلماء ينصحونك

بادخار فترة الذروة لأهم ما تقوم به من أعمال ، ويصفون هذه الفترة بأنها ساعات القرارات الهامة والقيام بالأعمال الحساسة .



هذا ويجب أن يراعى المرء الخروج من كل نشاط بصورة تدريجية ، ويراعى أن تتابع دائرة النشاط اليومى بعد اليقظة فى موعد ثابت من «تسخين» الى عمل ثم راحة واسترخاء ، يتبعهما النوم . أى على المرء أن يوقت ذروة عمله مع أوج منحنى النشاط الحيوى ، ويقلل من نشاطه تدريجياً بعد ذلك حتى النوم ، الذى يجب أن يأتيه المرء فى موعد ثابت . ولابأس من أن نذكر هنا تدليلا على أهمية النوم واليقظة فى مواعيد ثابتة أن القرود التى تعرضت لتجارب فى هذا الصدد ، كانت تمرض وتموت عند عبث الانسان بمواعيد نومها ويقظتها بالرغم من أنه كان يكرمها فى كم النوم !!

. ولابأس فى النهاية أيضاً من التأكيد على أن العلماء توصلوا الى أن التوافق فى عمل أوركسترا الايقاعات الحيوية الذى يقوده الايقاع شبه اليومى ، يعنى الصحة والعافية وأن الخلل فى توافق الايقاعات الحيوية يعنى المرض ، وأن بلوغ الخلل مدى يقضى على الانتظام تماماً يعنى فناء الكائن الحى .

إن احترام الساعات الحيوية للجسم هو الطريق الى الصحة والعافية ، والانتاج الوفير فهل تحاول أن تكون لك مثل ساعة محفوظ ، والعقاد ، والحكيم ، وكانط ؟

محمد فتحى عبد الفتاح



هـل أنت قبرة أم بومه ؟

عليك باختيار الاجابة المناسبة عن الأسئلة التالية :

● هل يصعب عليك الاستيقاظ مبكراً ؟
١ ـ نعم على الدوام ب ـ فى بعض الأحيان . ج ـ نـادراً . د ـ نادراً جداً .

● إن كان الاختيار لك ، ماهو الموعد الذى تفضل فيه الذهاب إلى سريرك ؟
١ ـ بعد الواحدة ليـلا . ب ـ بين الساعة ٢٣.٣٠ والواحدة . ج ـ بين ٢٢ و ٢٣ . د ـ قبل الساعة ٢٢ .

● ما هو الأفطار الذى تفضل تناوله خلال الساعة الأولى بعد يقظتك ؟
١ ـ ثقيل . ب ـ متوسط . ج ـ خفيف . د ـ يكفى كوب شاي أو قهوة .

● تذكر نوبات الشحان الأخيرة فى العمل والمنزل . فى أى وقت وقعت ؟
أ ـ خلال النصف الأول من اليوم ب ـ خلال النصف الثانى .

● عن أى شىء يمكن أن تتخلى بسهولة أكبر ؟
أ ـ شاى أو قهوة الصباح ب ـ شاى المساء .

● ما هى الدقة التى يمكنك بها أن تحدد مرور دقيقة من الوقت (استعن بأحد على تحديد ذلك) ؟
أ ـ بفارق يقل عن دقيقة ب ـ بفارق يصل الى دقيقة أو أكثر .

● باى درجة من السهولة تختل عاداتك الغذائية خلال العطلة أو الاجازة ؟
أ ـ بمنتهـى السـهولة ب ـ بسهولة ج ـ بصعوبة د ـ تبقى دون تغيير .

● ما هى الفترة التى تبكر بها عند الذهاب الى الفراش ان كان ينتظرك عمل هام فى الصباح ؟
أ ـ أكثر من سـاعتين ب ـ ساعة الى سـاعتين ج ـ أقل من ساعة د ـ أذهب فى الوقت المعتاد.

بعد الاجابة قدر درجاتك مستعيناً بالجدول التالى :

---

١ و ٢ و ٨ ـ ١ = ٣ ب = ٢ ج = ١ د = صفر
٣ و ٧ ـ ١ = صفر ب = ١ ج = ٢ د = ٣
٤ ـ ١ = ١ ب = صفر
٥ ـ ١ = ٢ ب = صفر
٦ ـ ١ = صفر ب = ٢

اجمع درجاتك بعد ذلك . والحد الأقصى للدرجات ٢٠ والأدنى صفر . كلما صغرت درجتك كنت أقرب الى النوع الصباحى (القبرة) ويجمع النوم المتوسط عدداً من النقاط يدور حول (١٠) بينما يجمع النوع المسائى (البومة) عدداً كبيراً من الدرجات .

● قصـــــة قصـــــيرة ●

دمعة على عنتر

بقلم : عبـاس خضـر

أعدت مائدة الغداء ، وجلسنا إليها صامتين فاترين ، نحس أن شيئاً ناقص .. هو «عنتر» كلبنا المحبوب ، وقد تعودنا أن نأكل وهو يطوف بالمائدة يهز ذيله ويتمسح بأرجلنا ، وخاصة رجلى ولدى «تامر» الذى يرمى اليه بما يحب من الطعام فى سخاء ، وأحياناً يتغفلنا : ينظر يميناً وشمالا ليتحقق أن أحـــداً لا يراه ، فيرمى إليه قطعة لحم .. فاذا لمحته أمه نهرته وحثته على ان يأكل اللحم ويرمى العظم للكلب .

نهاية الأمر أن « عنتر » قد مات قتـله صـــباح اليـوم أحد المكلفين بمكافحة الكلاب الضالة ، وعلم الله أن «عنتر» لم يكن كلباً ضالا ، وإن لم يكن فى رقبته الطوق الجلدى الذى يدل على أنه ينتمى إلى صاحب قد استخرج له «رخصة» .. كان عنتر ينتمى إلينا برغم ذلك .

مسكين عنتر ، ونحن أيضاً مساكين .. لأننا فقدناه ، فقدنا أنيساً وحامياً حمانى مرة من شر مستطير سأحدثك به بعد قليل .

قمنا عن المائدة حزانى صامتين ، منا من لم يذق الطعام ، ومنا من لاك بعضه وازدرده بدون شهية ولم يواصل ! تجمدت الدموع فى أعيننا ، كأننا نخشى أن يقال إننا نبكى على كلب ..

قالت لى زوجتى عندما عدت ظهراً :

ـ لقد صوب إليه البندقية ، وأطلق عليه رصاصة صرعته .. هتفت به :

ـ شلت يمينك .. ألم تجد غير عنتر ؟

الواقع انى لم أدر ماذا قلت بالضبط ، فقد غبت عن الوعى ..

قلت لها وأنا حزين :

ـ لماذا لم تخبئوه عن أعين أولئك القساة ؟

ـ كيف كنا نفعل وقد خرج عنتر إلى ذلك الرجل ينبح بشدة ويهجم عليه يريد أن يفترسه ..

ـ لابد أنه توجس منه الشر .

عنتر لم يكن له مثيل فى توجس الشر ، كأنه يشم رائحته ، ليست حاسة الشم عنده قاصرة على الأشياء المجسمة ، بل تشمل ما يدور فى نفوس الناس !

أنا شخصياً مدين بحياتى له : لتلك الخاصية فيه ، كما سأحدثك بعد قليل ، أمهلنى حتى أفضى إليك بنبذة وجيزة عن حياته : حياة الفقيد العزيز .. من حيث علاقته بنا ، لم أكن أحب اقتناء الكلاب ، ولم أقتن كلباً قبل عنتر ولا بعده عدت يوماً إلى المنزل فوجدت جروا ، وسألت مستنكراً :

ـ ما هذا ؟ ومن جاء به ؟

قالوا :

ـ إن «تامر» تعلق به وأصر على استبقائه .

و «تامر» ولدى الصغير رغباته مستجابة ، ولكنى فى لحظة الاستنكار قلت :

ـ هذا كلام فارغ .. أخرجوه حالا .

وهموا باخراجه ، ولكن الولد الصغير تشبث به وبكى ! وأنا «أشخط وأنطر»



ولكنى ضعيف أمام تامر ولا يسعنى إلا تلبية رغباته ..

أطلقت عليه اسم «عنتر» رافضاً الأسماء الافرنجية التى تسمى بها الكلاب ، وقلت فليبق من أجل تامر .

ونشأ عنتر وتامر معا ، يلعبان معاً ، ويتواثبان معاً ، لا يكادان يفترقان .

قلت لزوجتى :

ـ وهل رآى تامر ما حدث ؟

ـ لا ، كان نائماً ، ولم يعلم حتى الآن ، فهو لا يزال نائماً .

كان ذلك لحسن الحظ ، ولا تسأل عما حدث بعد ذلك حين علم وفهم ـ على قدر علمه وفهمه ـ أن عنتر ذهب ولن يعود .. كأنما كانا توأمين ومات أحدهما وبقى الآخر فى حسرة .. ولحسن الحظ كذلك أن الأطفال ينسون بسرعة ، فلم يبق فى ذاكرة تامر بعد مدة شىء عن عنتر ، ولكن ذاكراتى تعى كل شىء ، وكيف أنسى أنى ـ كما قلت ـ مدين بحياتى لعنتر ..

وهاك الحكاية :

كنا نسكن فى ضاحية منعزلة عن العاصمة ، بينهما فراغ من مزارع واسعة يقطعها قطار حديدى يسير بين الضاحية والعاصمة ، ليس ذلك الفراغ موجود الآن فقد زحفت إليه المبانى وملأته ، ومع هذا مازالت أزمة الاسكان قائمة !

ما علينا .. كان بيتنا قائماً وحده بين أرض فضاء لم تبن بعد ، وفى ليلة كنت وحدى هناك ، ليس معى إلا عنتر .

دق الباب ، ونبح عنتر . تراخيت قليلا عن الذهاب إلى الباب وفتحه ، واتصل دق الباب ، وارتفع نباح عنتر ، وصار يجرى بين الباب وبينى كأنه يحول بيننا .. أو كأنه يقول لى : لا تفتح الباب !

ولكن لابد أن أفتح الباب ، وخاصة لما تعذر سماع صوت من يدق ، لنباح الكلب الشديد الذى يشبه العواء .. وفتحت ، فوجدت رجلا يرتدى ثيابا بلدية وبيده عصا غليظة ، وقال لى انه من الشرطة ، ويريد أن ينبه على ضرورة وضع مصباح أمام البيت فوق الباب ، لأن الشارع مظلم لم تشمله الانارة بعد ..

كان يتكلم بصوت عال كى أسمعه ، لأن عنتر وقف بيننا مستمراً فى نباحه الشديد . ثم انصرف الرجل بعد أن



أبديت له الموافقة على وضع المصباح .

ثم تحدثت بعد ذلك إلى من قال لى :

ـ أحمد الله على سلامتك ..

ـ كيف ذلك ؟ الحمد لله على كل حال ، ولكن ماذا تقصد ؟

ـ إن الرجل ليس من الشرطة ، ولولا الكلب لأنفذ فيك باقى خطته ..

ـ خطته ؟ أى خطة ؟

ـ ألم تقرأ فى الصحف عن حوادث مشابهة ، إذ يفتح صاحب البيت أو صاحبته ، فيبادره الرجل بضربه فوق رأسه فيغيب عن الوعى ويسقط على الأرض ، وقد تكون الضربة قاتلة ، على حين يسرع الرجل المقتحم إلى إغلاق الباب ، ثم يدخل فيسرق ما تطوله يده ويسرع بالفرار ..

ـ آه .. قلما أقرأ تلك الحوادث .

ـ يجب أن تقرأها لكى تلتفت الى مثل ذلك .

ـ الآن فهمت نباح عنتر الشـــديد وموقفه من الرجل ، حتى جعله يتراجع عن تنفيذ خطته خوفاً منه .

وأردت أن أستوثق من حقيقة الأمر ، فذهبت إلى قسم الشرطة الذى يقع منزلنا فى دائرته ، وسألت ، وأجبت بأنهم لا يرسلون أحداً بمثل ذلك !

ولما عدت إلى البيت ناديت عنتر ، فهرع الى يهز ذيله ، ووددت لو يفهم الكلام فأشكره ، وأقول له إنى مدين له بحياتى ، ولكنى شكرته عملياً ، إذ مسحت على رقبته بحنان وعطف وحب ، وجاء «تامر» فأخذته بالحضن وقبلته ، ورأيت أن له هو أيضاً مثل فضل عنتر ، اذ كان سبباً لاقتنائه ، ولولاه مارضيت ببقاء الكلب عندنا .

●●

بكت زوجتى يوماً بعد حادث موت عنتر إذ تذكرته حينما تناثرت منها الدجاجات وشردت من الحظيرة التى أقامتها لها فى حديقة المنزل الصغيرة .. فتحت باب الحظيرة فخرجت الدجاجات تجرى هنا وهناك ، وهى تعدو وراءها لتمسك بها وتعيدها الى الحظيرة ـ تذكرت عنتر وبكت ، لأنه كان يجرى وراء الدجاجة الناشزة ويحملها على العودة إلى الحظيرة دون أن يمسك بها .. لا تدرى كيف !

●●

ويوم مات عنتر وبعده بأيام شعرنا بفراغ حزين .. لم أملأ ذلك الفراغ بعد بأى كلب .. فأنا كما قلت لك لا أحب اقتناء الكلاب ، وكان عنتر فلتة .. كان شيئاً آخر لا يعوض ..

كنا نذكره خاصة عندما نجلس الى المائدة لتناول الطعام ، يمضغ الواحد منا قطعة اللحم حتى اذا بلغ العظم تلفت حوله بحثاً عن موقع عنتر .. فلا يجده ، فيضع العظم على المائدة وقد تغير طعم اللحم فى فمه .. صار مراً وكان طيباً ..

وكانت زوجتى تذكره عند حظيرة الدجاج فتفر من عينها الدمعة ..

أما «تامر» فقد ظل يذكره عدة أيام ، ويناديه ، ويسأل عنه ، ويعلله المجيب بأن عنتر ـ وان كان قد ذهب ـ سيرجع قريباً .. ثم نسي تامر عنتر ، وليتنا أطفال فننسى ..

كانت «الجنازة حارة والميت عنتر» وليس موت عنتر بالأمر الهين .. فليكف الساخرون عن سخريتهم وليغيروا أو يلغوا هذا المثل : «الجنازة حارة والميت كلب» من أمثالهم ، فهو مثل كاذب ، على الأقل بالنسبة الى عنتر !

واحسرتاه عليك أيها الفقيد العزيز !

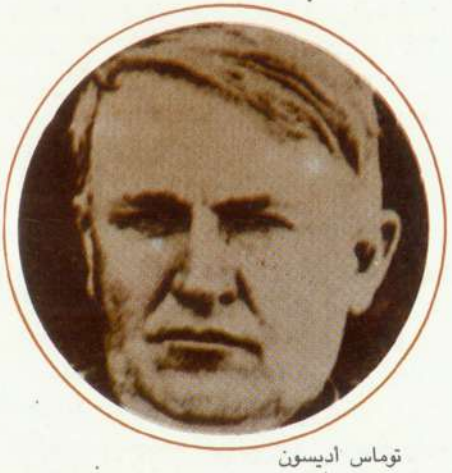
عباس خضر



أينشتين



ليونارد دافنشي



توماس أديسون



جيمس وات

التطورات العلمية والتكنولوجية التى تجرى حالياً ، ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين ، تفوق بشكل جذرى ما كان يجرى منذ نصف قرن مثلا . وذلك من اتساع المجال وشدة التعقيد ، ومن ثم حيث تصبح الحاجة ملحة أشد ما يكون الالحاح لأعداد متزايدة من العناصر الموهوبة ، فى كل المجالات .

الابتكار العلمي والتكنولوجي

ظاهرة الإبداع وتأثيرها في الاقتصاد القومي

بقلم : الدكتور جلال شوقي عميد كلية الهندسة - جامعة قطر

إن الفكر الأصيل المبتكر ـ الذى يعد من أعلى إنجازات الانسان مرتبة ـ قد استحوذ ولاشك على اهتمام ودراسة عدد كبير من الباحثين فى شتى الميادين من تربية وعلم نفس وعلوم وفنون وهندسة وتكنولوجيا ، ولقد عرجت بعض هذه الدراسات على موضوع الابداع الخلاق من وجهة النظر العلمية ، بيد أن كثيراً من البحوث التى أجريت مؤخراً قد ركزت تركيزاً خاصاً على وسائل تنمية القدرات الخلاقة وتنشيطها ، كذلك هناك دراسات تجريبية كثيرة ترمى إلى الوقوف على تأثير العوامل المختلفة على القدرات الخلاقة ، وتعد هذه الدراسات ذات أهمية خاصة فى المجال التطبيقى وذلك لعدة اعتبارات نجملها فيما يلى :

أولا : إن معدل تراكم الانجازات والمعارف العلمية فى تزايد متواصل ، الأمر الذى تواكبه الحاجة الماسة لمزيد من الاستثمار التكنولوجى لهذه المعلومات العلمية التى تزداد بعلاقة أُسِّيَّة ، وعلى ذلك فان التطبيق الهندسى والتكنولوجى يلهث وراء التقدم العلمى ولا يكاد يلتقط أنفاسه .

وجدير بالذكر أن نشير فى هذا الصدد إلى ما قاله اللورد هالسبرى (LORD HALSBURY) فى محاضرة ألقاها

عام ١٩٧١ من أنه قام باجراء تحليل لمائة اختراع ، خلص منه إلى أنه فى المتوسط يبدأ المخترع العمل فى اختراعه متأخراً بفترة تبلغ حوالى ٣٠ عاماً عن سنة التوصل إلى المعلومات العلمية التى يبنى عليها اختراعه ، أى أن التطبيق الهندسى يجيء متأخراً عن الانجاز العلمى بفترة زمنية ليست بالقصيرة .

ثانياً : إن التطورات العلميـــة والتكنولوجية التى تجرى حالياً ـ ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين ـ تفوق بشكل جذرى هائل ما كان يجرى منذ نصف قرن مثلا ، وذلك من حيث اتساع المجال وشدة التعقيد ، كذلك فان مستويات الأداء والسلوك فى ارتفاع متصل ، ومن ثم كانت الحاجة ملحة أشد ما يكون الالحاح لأعداد متزايدة من العناصر الموهوبة ، كذا من المهندسين ذوى القدرات الخلاقة ممن يستطيعون العمل بنجاح ضمن مجموعة عمل .

ولما كان مجال الهندسة يختص بتطوير المنتجات وتحديث الأساليب وتطويع وتسخير المصادر الطبيعية لخير البشرية ، فان النجاح الهندسى يرتكز ارتكازاً أساسياً على استيعاب الانجازات العلمية ، وعلى التطوير المناسب للأفكار الجديدة ، وعلى ذلك يتعين على المهندس المصمم أن يكون قادراً على ابتكار حلول جديدة للمشاكل ، وتطوير هذه الأفكار إلى مفاهيم يقبلها المجتمع ويفيد منها .

الابداع الخلاق

الابداع اسم يطلق على العمل المتميز بشكل هائل ممتنع ، يفوق بكثير ما هو عادى أو مالوف أو معروف ، وقد يكون الابداع ابداع أداء ، أو ابداع خلق ، وهذا الأخير هو ما نعرض له هنا بالدراسة .

إن الابتكار أو الاختراع يقوم على فكرة أصيلة غير مسبوقة ، بينما التجديد هو أسلوب تحقيق أو تجسيد الاختراع من الوجهة العلمية ، أما الابداع الخلاق فانه يقوم على فكر عبقرى فذ رفيع الدرجة يفتح آفاقاً جديدة لم تكن موجودة من قبل .

هذا ويعتبر الأستاذ جيلد فورد GUILD FORD من أهم رواد دراسة الملكة الفكرية ، وله فيها نظرية تقول بأن هذه الملكة يمكن تعريفها بوساطة ١٢٠ عاملا مستقلا . ويقول جيلد فورد إن العوامل التى تخص الابداع الخلاق يمكن تقسيمها إلى مجموعتين أساسيتين هما :

● مجموعة الفكر المتشعب ، وتتصل بتكوين أو تركيب الأفكار .

● مجموعة الفكر المتركز ، وترتبط بالتعريف والتحليل والتقويم .

حدود الابداع وظروفه

إن الحديث عن الابداع لا تتسع له مجلدات ضخمة وإن تعددت ، بيد أن هناك سمات وقضايا هامة ترتبط بالابداع لا مناص من الاشارة إليها هنا استكمالا للخلفية العامة لموضوع هذه الدراسة .

● إن العمل الابداعى الخلاق لا يمكن التوصل إليه بطريق التعليم أو الدراسة إن لم يكن المرء يملك قدراً من مثل هذه القدرات ، وإنما يمكن الكشف عما هو موجود من هذه القدرات ، كما يمكن أيضاً حسن توجيهها والافادة منها ، ولعل ما قاله المخترع العظيم توماس إديسون من أن الاختراع يجرى من الانسان الموهوب مجرى الدم فى العروق ، لعل هذا القول يكون من أروع ما قيل فى هذا الشأن .

يقول توماس إديسون (١٨٤٧ ـ ١٩٣١) :

« إن كان الالهام يشكل واحدا بالمائة من العبقرية ، فان التسعة والتسعين جزءاً الباقية تجرى من العبقرى مجرى التنفس فيه » ، أو بعبارة أخرى إن العبقرى قد خلق مالكاً لهذه القدرة الابداعية الخلاقة .

● من المعروف أن نسبة ذوى القدرات المبدعة بين الناس لا تتعدى حوالى ٢ فى المليون .

● يتباين الابداع من حيث أنواعه ومجالاته وأنماطه ودرجاته ، كما أنه يختلف كما وكيفا .

● لم تثبت الدراسات الحديثة وجود ارتباط وثيق بين الذكاء والمقدرة الخلاقة .

● ظهرت حالات إبداع كثيرة بالرغم من تواضع النشأة والتربية ، وهناك أمثلة كثيرة لعباقرة لم يتلقوا قسطاً من التعليم ، ولم يقف هذا القصور عائقاً فى ظهور ملكاتهم .

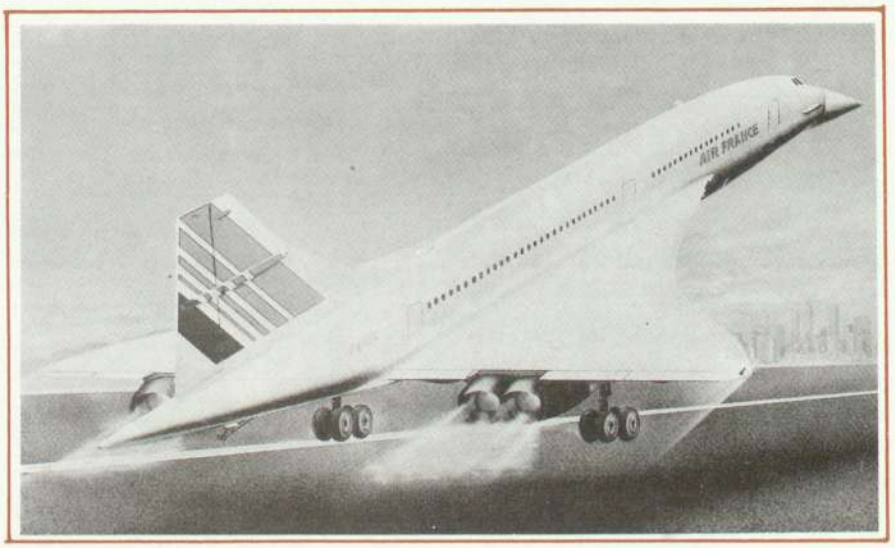
● بينت الدراسات المتخصصة أن هناك علاقة بين القدرة الابداعية وعمر الانسان حيث إن هذه القدرة تصل ـ فى المتوسط ـ إلى ذروتها فى مقتبل الثلاثينات ، إلا أنها تتعرض لانخفاض حاد عند سن الخامسة والثلاثين .

● هناك اتجاه سائد يدعى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الابداع الخلاق واختلاف الأجناس البشرية ، من ذلك ما جاء على لسان النظّام (٨٠١ ـ ٨٣٥ م) على سبيل المثال حيث يشير إلى تاثير خصائص الانسان بالبيئة التى ينشأ فيها ، فيقول (١) : « إن الأمة التى لم تنضجها الأرحام ، ويخالفون فى ألوان أبدانهم أو حدق عيونهم وألوان شعورهم سبيل الاعتدال ، لا تكون عقولهم وقرائحهم إلا على حسب ذلك ، وعلى حسب ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم وشمائلهم وتصرف هممهم فى لؤمهم وكرمهم ، لاختلاف السبك وطبقات الطبخ وتفاوت ما بين الفطير والخمير ، والمقصر والمجاوز .

ـ وموضع العقل عضو من تلك الاعضاء ، وجزء من تلك الأجزاء ـ وكالتفاوت الذى بين الصقالبة والزنج ، وكذلك القول فى الصور ومواضع الأعضاء .

ألا ترى أن أهل الصين والتبت وحذاق الصناعات لها فيها الرفق والحذق ولطف المداخل والاتساع فى ذلك والغوص على غامضه وبعيده ، وليس عندهم إلا ذلك ، فقد يفتح لقوم فى باب الصناعات ، ولا يفتح لهم سوى ذلك » .

هذا ولا نميـــل إلى الاعتقاد بأن الابداع وقف على جنس دون آخر ، وإنما قد يمكن تفسير ظاهر الأمر بضعف الفرص المتاحة أمام الشعوب الأقل حضارة فى ظهور المواهب الابداعية الكامنة فيها .



القدرات الابداعية الخلاقة

لاشك أن هناك تبايناً كبيراً فى ميادين الابداع وأنماطه ، إلا أن هناك عوامل مشتركة بين ذوى القدرات الابداعية ، نخص منها بالذكر ـ فى مجال الابتكار العلمى والتكنولوجى ـ العوامل الآتية :

- التنبه إلى المشكلات والاحساس بها والاستجابة لحلها .
- الطلاقة فى الموهبة الابداعية ، ونقصد بها :

أ ـ طلاقة الفكر .
ب ـ طلاقة الترابط .
جـ ـ طلاقة التعبير .

- الطاقة الدافعة .

وبها يجد المرء المبدع ضالته بالانغماس فى العمل الجاد الأصيل والاستمتاع به ، فهو خير ملجأ له لا سيما عند مواجهة المصاعب والتحديات .

- المرونة والتجديد فى التفكير ، أى عدم التصلب أو التحمس لفكرة دون سواها .
- القدرة على التحليل والتكوين .
- القدرة على الاستفاضة والتوسع .
- القدرة على مواجهة التعقيد .
- القدرة على إعادة التنظيم والتنسيق والتحويل والتحوير .
- القدرة على تقويم العمل .

صفات المبدع وسلوكه

من الطبيعى أن المرء الذى يتمتع بقدر عال من القدرة الابداعية هو إنسان غير عادى والا لما كان متميزاً بين من سواه ، ومن ثم كانت له سمات خاصة بعضها فيه إفراط ، وبعضها الآخر فيه تفريط ، ونجمل فيما يلى أهم الصفات والسلوكيات التى يتسم بها المبتكرون :

ـ يكون المرء المبدع ذا فكر حر مستقل أصيل له قيمه الخاصة ، ويتمتع بالاكتفاء الذاتى ، ومن ثم فقد لايهتم برأى الآخرين فيه ، ولا يعبأ بنقدهم له .

ـ يتمتع المرء المبدع بثقة كبيرة فى نفسه ، حيث إن الأصالة تؤدى إلى النجاح ، وهذا يؤدى بدوره إلى الثقة بالنفس من حيث حسن حكمه وتقديره للأمور .

ـ من مزايا الثقة بالنفس دفعها المرء إلى التصدى لمشكلات صعبة قد يحجم عنها الآخرون .

ـ قد يؤدى فرط الثقة بالنفس إلى العجب والغرور ، كذا إلى توكيد الذات وتولد الحساسية ضد التعليق أو النقد ، كما أنه قد يدفع المرء إلى ممارسة العناد الاجتماعى .

ـ يتمتع المرء المبدع بشجاعة معنوية عالية .

وفضلا عن هذه السمات العامة لشخصية المبدع فان هناك صفات أخرى يختص بها المبتكرون من أهل الهندسة منها :

ـ العزم والاصرار على تطويع الظروف المحيطة والسيطرة عليها ، وهذه السمة هى التى يشير إليها جورج برنارد شو بقوله : « المرء المعقول يكيف نفسه على هوى العالم ، أما المرء غير المعقول فانه يصر على محاولة تطويع العالم لذاته ، ومن ثم فان التقدم بأسره يعتمد على المرء غير المعقول » .

ـ التمتع بروح المغامرة وارتياد المجهول .

ـ شدة حب المعرفة العلمية .

ـ الأصالة فى نوعية الأفكار والانطلاق فى طرحها .

ـ الاستقرار العاطفى وانخفاض مستوى القلق العام .

ـ القدرة الفائقة على التفكير المنطقى وتحليل وتفسير الظواهر والنتائج .

ـ القدرة الفائقة على التصور المجسم (فى الفراغ) واستيعاب المفاهيم والمساقط والمسارات ومعالجتها بيسر واقتدار .

ـ القدرة على التخيل المنطلق خارج المحسوسات والملموسات ، أى القدرة على التوجه بالفكر وإعماله خارج أرض الواقع ، إلى عالم آخر من نسج خياله ، هو أقرب إلى التصور الحالم .

ـ مع استيفاء حد أدنى معين من الذكاء ، لم يثبت أن هناك ارتباطاً بين الذكاء وبين القدرة الخلاقة .

ـ التوازن بين التصور والخبرة ، وهو ما يمكن من تحقيق الأفكار المبتكرة .

مراحل الفكر الخلاق

يمر الفكر الخلاق بمراحل أساسية تبدأ بمرحلة التعرف على المشكلة أو

تحديدها وتعريفها وهى مرحلة لاشك فى غاية الأهمية ، عنها يقول أينشتين وانفيلد :

« إن صياغة المسألةكثيراً ما يكون أكثر قرباً للأساسيات من حلها ، ذلك الحل الذى قد لا يقتضى أكثر من معالجة رياضية أو مهارة تجريبية ، أما إثارة أسئلة جديدة وامكانيات حديثة وامعان النظر فى مشكلات قديمة من زاوية جديدة ، فان كل ذلك يتطلب تصوراً خلاقاً الأمر الذى يحدو إلى طريق التقدم الحقيقى في العلم » .

وتلى مرحلة صياغة المسالة مرحلة جمع المعلومات والبيانات والعلاقات العلمية الخاصة بالمشكلة ، ثم تجيء مرحلة الحضانة حيث يجرى تقليب الأفكار واسترجاع واستعراض المعلومات الكامنة وهى المرحلة التى تؤدى إلى تولد الأفكار وإطلاقها من عقالها ، وتعقب ذلك مراحل التجريب والتعديل والتحقق والتقويم .

الانتاجيـــة العلمية والتكنولوجية

فى بحث أجراه البروفسور ماركيس MARQUIES الأستاذ بمعهد ماساشوسيت التكنولوجى M.I.T. بالولايات المتحدة الأمريكية بخصوص تباينات القدرة الانتاجية للأفراد ، وجد ماركيس أن صفات :

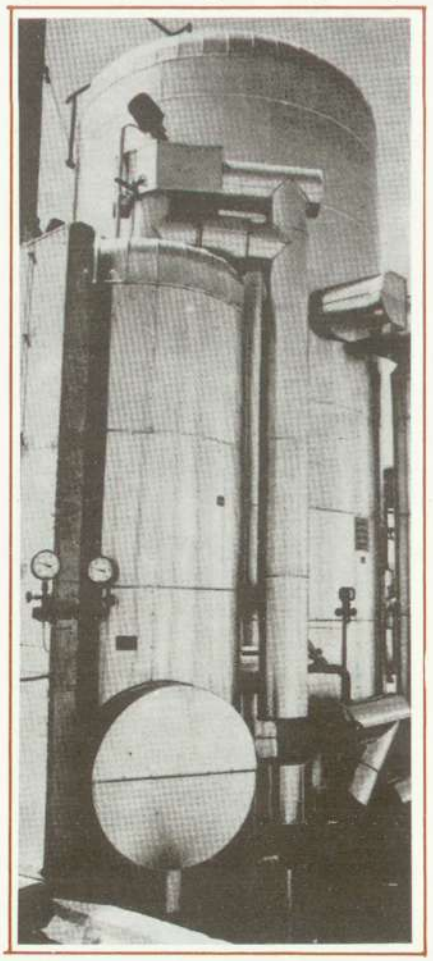
- الذكاء .
- والمقدرة الابتكارية .
- والتوجه العلمى .
- وعلو الهمة والدافع .
- والسن .

لا تشكل هذه الصفات جميعها إلا من ٣٠ إلى ٣٥٪ فقط من التباينات التى تم تسجيلها فعلا فى القدرة الانتاجية للأفراد ، ومن ثم فان هذه العوامل لا تعطى آمالا عريضة لتحسين السلوك العلمى عن طريق اختيار أفضل للأفراد العلميين .

ويخلص ماركيس من دراسته إلى أن أساليب وسياسات وجو العمل فى المختبرات ربما كانت مجتمعة أكثر أهمية بمراحل من التباينات بين الأفراد العلميين ، أو بمعنى آخر فان بيئة أو مناخ العمل يلعب دوراً هاماً – إن لم يكن الدور الأهم – فى سلوك الفرد المتوسط ، ويرى ماركيس أن هذه النتيجة تصدق بوجه خاص بالنسبة للمهندس المتوسط أما الفرد ذو القدرة الابتكارية العالمية فانه لا محالة مبدع بصرف النظر عن طبيعة مناخ العمل أو نوعية الظروف البيئية التى تتوفر له .

الملكية الصناعية وبراءة الاختراع

تنبهت دول العالم منذ حوالى قرن من الزمان إلى أهمية حماية الملكية الصناعية فقامت بابرام اتفاقية باريس عام ١٨٨٣ ، تلك الاتفاقية التى جرت مراجعتها عدة مرات ، كان آخرها عام ١٩٦٧ فى ستوكهولم ، ويصل عدد الأعضاء الملتزمين بهذه الاتفاقية فى الوقت الراهن إلى ٨٠ دولة .



وعلى مدى قرابة المائة عام التى مرت على إبرام هذه الاتفاقية نشر عدد من الوثائق الخاصة ببراءات الاختراع يقرب من ١٤ مليون وثيقة ، أما عدد براءات الاختراع الذى يحظى بالحماية القانونية اليوم فانه يصل إلى حوالى ٣٫٥ مليون براءة اختراع . وهنا تجب الاشارة إلى أن الاختراع الواحد لنفس المخترع يجرى إصدار براءات له فى عدة دول ، ومن ثم فان هذه البراءات المتكررة لنفس الاختراع تسمى «عائلة براءة الاختراع» .

وتكون حقوق الاختراع محفوظة لفترة تتراوح بين ١٥ ، ٢٠ عاماً من تاريخ التقدم بطلب البراءة إلا أن بعض الدول تعتبر أن فترة الحماية القانونية تبدأ من تاريخ منح البراءة أو من تاريخ نشرها .

ويبلغ المتوسط الحالى لتزايد وثائق براءات الاختراع حوالى ٩٠٠٫٠٠٠ وثيقة فى السنة الواحدة منشورة بلغات مختلفة .

هذا وتفيد وثائق الأمم المتحدة أن عام ١٩٧٢ – على سبيل المثال – قد شهد نشر ٩٣٠٫٠٠٠ وثيقة براءة اختراع منها ٥٨٠٫٠٠٠ طلبات منح البراءات (أى بنسبة ٦٢٪ من مجموع الوثائق) ، وحوالى ٣٥٠٫٠٠٠ براءة اختراع ممنوحة (أى بنسبة ٣٨٪ من مجموع الوثائق) .

وبالنسبة للدول العشر ذات أعلى عدد من براءات الاختراع ، فان مجموع هذه البراءات لعام ١٩٧٢ يشكل ٨٣٪ من مجموع وثائق براءات الاختراع المنشورة فى ذلك العام فى العالم أجمع ونفصلها فى الجدول رقم (١) .

جدول (١) وثائق براءات الاختراع للدول العشر الأكثر تقدماً فى العالم (عام ١٩٧٢ م) .

البلد	عدد الطلبات التى لا تزال تحت الدراسة	عدد البراءات الممنوحة	مجموع الوثائق
اليابان	٣٠٠ر٠٠٠	—	٣٠٠ر٠٠٠
لمانيا الغربية	٩٧ر٠٠٠	٣٩ر٠٠٠	١٣٦ر٠٠٠
الولايات المتحدة الأمريكية	—	٧٥ر٠٠٠	٧٥ر٠٠٠
فرنسا	٣٠ر٠٠٠	٤٢ر٠٠٠	٧٢ر٠٠٠
المملكة المتحدة	٤٢ر٠٠٠	—	٤٢ر٠٠٠
الاتحاد السوفيتى	—	٣٦ر٠٠٠	٣٦ر٠٠٠
ايطاليا	—	٣٤ر٠٠٠	٣٤ر٠٠٠
كندا	—	٣٠ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠
هولندا	—	٤ر٠٠٠	٢٦ر٠٠٠
سويسرا	٢٢ر٠٠٠	١٧ر٠٠٠	١٧ر٥٠٠
المجموع	٤٩١ر٥٠٠	٢٧٧ر٠٠٠	٧٦٨ر٥٠٠

أثر الابتكار فى الإقتصاد القومى

لاشك أن ازدياد الابتكارات فى أية دولة يؤدى حتما إلى نمو عظيم فى دخلها القومى ، ولا أدل على ذلك من أن الولايات المتحدة الأمريكية قد تضاعف إنتاجها القومى تقريباً فى الفترة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٥ فى حين أن متوسط ساعات العمل السنوية ظلت ثابتة تقريباً فى هذه الفترة ، وينعكس ذلك بشكل حاد فى صناعات الطائرات والتلفزيونات والمسجلات والحاسبات الالكترونية ، ولعل المنافسة الخطيرة التى تجرى فى العالم اليوم تتمثل فى ذلك السباق الرهيب على ابتكار وتطوير وإنتاج الانسان الآلى المسخر (ROBOTS) ، حيث إن اقتناء مثل هذا الانسان المسخر يشكل ثورة صناعية جديدة ، ويبين الجدول رقم (٢) عدد الوحدات العاملة من هذا الانسان المسخر فى دول العالم المتقدمة ، ومن الجلى أن لليابان اليد الطولى فى هذا المجال .

ومن الآثار الجانبية للابتكارات على الاقتصاد القومى دخل الدولة من حقوق التصنيع وحقوق الاختراع . هذا وتبين المقارنة بين إنجازات الشركات الكبيرة وإنجازات المخترعين والشركات الصغيرة أن إنجازات الأخيرة تتفوق على إنجازات الأولى وذلك إذا ما أدخلنا فى الاعتبار الاستثمارات الموجهة فى هذين المجالين .

جدول (٢) بيان اعداد وحدات الانسان المسخر (ROBOT) فى دول العالم المتقدمة (تقديرات عام ١٩٧٩) .

الدولة	عدد الوحدات العاملة
اليابان	١٠ر٠٠٠
الولايات المتحدة الأمريكية	٣ر٠٠٠
لمانيا الغربية	٨٥٠
السويد	٦٠٠
إيطاليا	٥٠٠
بولندا	٣٦٠
فرنسا	٢٠٠
النرويج	٢٠٠
بريطانيا	١٨٥
فنلندا	١٣٠
الاتحاد السوفيتى	٢٥

هذا ويعزى تفوق الصناعة فى بعض المدن أو المقاطعات على المدن الأخرى – إلى حد كبير – إلى أن الجامعات فى المقاطعة الأكثر نجاحاً تلعب دوراً أعظم فى تشجيع إنشاء شركات جديدة تقوم على أسس علمية ، كذلك يعزى هذا التفوق إلى الموقف المشجع الذى تتخذه المصارف المحلية فى تمويل مثل هذه الشركات ، ونشير هنا – على سبيل المثال إلى تفوق «بوسطن» على «فيلادلفيا» للسببين المتقدمين .

ويشير فيشر فى تاريخه لأوروبا إلى رواد الثورة الصناعية فى بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، وكيف أنه بفضل اختراعاتهم ازدهرت الحالة الاقتصادية فى بريطانيا فى ذلك العصر ، يقول فيشر « إن حفنة صغيرة من رجال متميزين من اسكتلنديين وانجليز يقل عددهم عما هو مطلوب لتشكيل فريق كرة قدم ، قد نجحت – بفضل عبقريتها وقدرتها الابتكارية – فى تحويل الحياة الاقتصادية للبلاد » .

العوامل المساعدة على الابتكار والمنشطة لـه

إن تنمية وإذكاء القدرات الخلاقة ليس بالأمر السهل الميسور ، إذ أن هناك عوامل كثيرة تؤثر ولاشك تأثيراً بالغاً على هذه القدرات ، بيد أننا نعرض فيما يلى لبيان الاتجاهات العامة والخبرات المكتسبة فى هذا المجال :

● بالرغم من أن الابتكار أو الابداع لا يخضع للتعليم بالنسبة لأولئك الذين يخلون تماماً من أية قدرات إبداعية ، وبالرغم من أن بعض الرجال يتمتعون بقدر هائل من هذه القدرات بصرف النظر عن ظروف نشأتهم وتعليمهم ، إلا أن قدراً مناسباً من التعليم سيعجل حتماً بتقدم مثل هؤلاء الرجال ودفعهم إلى الصف الأول فى الابتكار والابداع . كذلك فان المران على التصور قد يؤدى إلى قدح زناد فكر أولئك الرجال الذين يملكون



مركبة الفضاء

قدرات إبداعية كامنة لم تتح لها فرصة الاكتشاف أو الظهور .

● ضرورة التزود بقاعدة متينة عميقة وعريضة فى العلوم الأساسية .

● أهمية تشجيع البحث العلمى والتطوير حيث إن الابتكارات التكنولوجية غالباً ما تقوم على ما تتوصل إليه البحوث العلمية ، ومن الممكن أيضاً أن تنبنى هذه الابتكارات على بحوث علمية تجرى خارج البلاد ، أى بحوث مستوردة ، ومن ثم كانت أهمية توفير نتائج البحوث العلمية ، والعمل على تحديث المعلومات بصفة متواصلة ، وإتاحتها لذوى القدرات الخلاقة .

● تشجيع التعليم باستخدام أساليب الحل المبتكر للمشاكل .

● إدخال تعديلات أساسية فى البرامج الدراسية تهدف إلى التصدى لحل المشاكل البعيدة كل البعد عن المشاكل التقليدية أو الروتينية .

● دراسة أمثلة ونماذج لتطور الأفكار العلمية والتكنولوجية أو بعبارة أخرى دراسة الحلول المتطورة التى أمكن التوصل إليها وذلك بالنسبة لمشاكل محددة .

● الاهتمام بالتدريب على عمليات التحليل والتكوين .

● الاهتمام باستخدام الحاسبات الالكترونية وإتاحة الفرصة للافادة من هذه الوسائل على أوسع نطاق .

● عقد مسابقات بين الدارسين ، كذا بين الممارسين لتقديم حلول غير مسبوقة لمشاكل غير مألوفة .

● يعد توافر براءات الاختراع حافزاً قوياً على الابتكار ، وهو أمر يدعو إلى قدح الذهن بحثاً عن حلول وأفكار وتصميمات بديلة لتلك الواردة ببراءات الاختراع ، هذا فضلا عن الاغراء المادى الذى يحدو إلى الابتكار .

● العمل على خفض مصادر ضياع الوقت والجهد ، وإعفاء الموهوبين من الأعمال الروتينية والمتكررة .

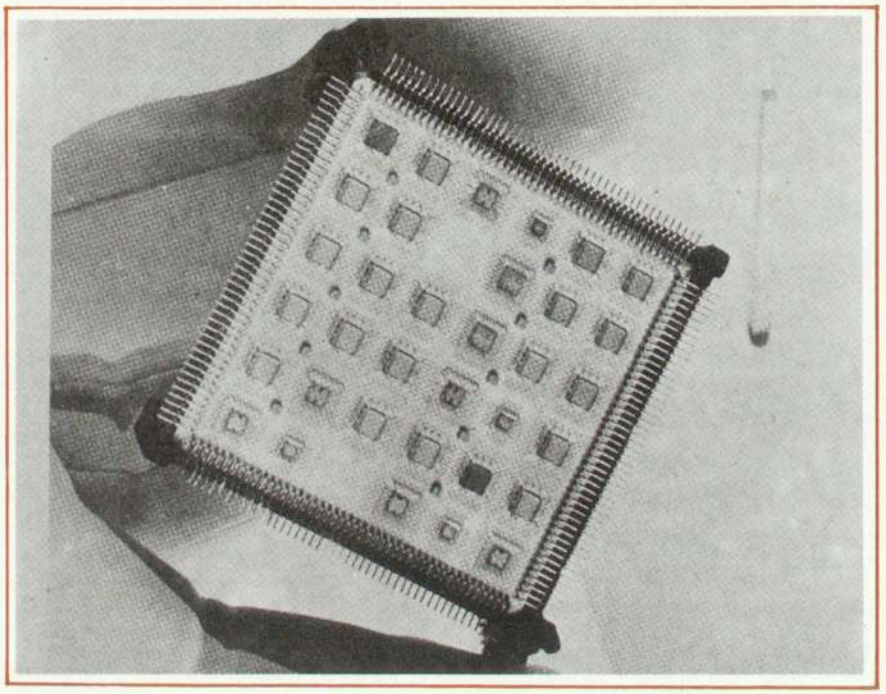
● تترعرع القدرات الابتكارية بالتشجيع والتقدير ، كذا بمواجهة التحديات .

● منح صلاحيات العمل التنفيذى لذوى القدرات الخلاقة .

● توفير المناخ المناسب للمبتكرين ، وذلك من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعملية .

● توفر الدافع القوى وتواجد الحاجة للاختراع ، سواء كانت هذه الدوافع روحية أو فكرية أو اجتماعية أو فيزيائية كذا تنبه المبتكر تماماً لهذه الدوافع سواء فى عقله الواعى أو فى عقله الباطن ، وكما يقولون «الحاجة أم الاختراع» .

● فى دراسة أجراها الأستاذ بلز (PELS) الأستاذ بجامعة ميتشيجان بالولايات المتحدة الأمريكية على ١٣٠٠ من العلميين والمهندسين العاملين فى ١١ مركزاً من مراكز البحوث والتطوير ، وجد «بلز» أن هؤلاء العاملين – موضع الدراسة كانوا أكثر فعالية عندما مارسوا حالة «توتر ابتكارى» بين حال آمن من ناحية ، وحال تحد من ناحية أخرى .



أما الحال الأمن فقد انضوى على أمور عدة مثل تشجيع أفكار المرء واستحسان الجمهور له ، وإتاحة الفرصة له للمناقشة مع رؤسائه إلى غير ذلك من وسائل التشجيع والتقدير ، بينما يأتى التحدى من المناقشات والخلاف فى الرأى بين الزملاء ما بين متحمس لفكرة ومنكر لها ، كذلك عندما يطلب من المرء الاضطلاع بأعمال متنوعة يحتاج فيها إلى اكتساب مهارات جديدة .

● تواجد مصادر تمويل المشروعات الابتكارية مع توفر روح المغامرة لدى جهات التمويل والاستثمار .

العمل فى جماعات

● قد يقتضى التعقيد المتزايد فى المشاكل العلمية والتكنولوجية اللجوء إلى التفكير والعمل الجماعي(٢) إلا أن الاختراع أو الابتكار يبقى ملكة فردية ، وتقدر المخترعات النابعة من الأفراد والشركات الصغيرة بحوالى ٨٠٪ من مجمل الاختراعات .

● عند التصدى لمشروعات شديدة الصعوبة والتعقيد يتعين إحكام التنظيم الفعال لمجموعات من ذوى القدرات الخلاقة لتنفيذ المشروعات بالغة الطموح ، كبرنامج أبولو الأمريكى الخاص بأبحاث الفضاء على سبيل المثال .

● تزدهر القدرات الابتكارية فى المؤسسات العريقة ذات التقاليد الابتكارية ، حيث تضم مثل هذه المؤسسات جماعات متعاقبة من ذوى القدرات الابتكارية مما يرفع معدلات الانجازات على مر السنين .

يكون الانضمام لمثل هذه المؤسسات من أهم الحوافز والدوافع للفرد الموهوب لاستثمار ملكاته الابداعية حيث التقدير والاعزاز .

● يجب التنبه إلى أنه فى بعض الأحيان قد تؤدى زيادة عدد المبتكرين فى مجموعة عمل إلى تدمير نشاطها ، فان مخترعاً واحداً يكفى لطرح أفكار كثيرة تكفل دفع عجلة العمل لجماعة كبيرة من أفراد أقل قدرة على الابتكار ، كذلك فان تعطيل أعمال المبتكر وتجاهلها قد يودى بهمته ونشاطه .

● دعم التفاهم والتفاعل البناء والمثمر بين الأفراد والمؤسسات ، ونود أن نشير فى هذا الصدد إلى الحكمة القائلة بأن التفاعل يولد التجديد .

ونسوق هنا مثالا ممتازاً للتفاعل المثمر وهو ما كان بين رجل الأعمال ماثيوبولتون(MATTHEW BOULTON) وبين صديقه المخترع الكبير جيمس وات (JAMES WATT) حيث أدى التعاون بين الاثنين إلى اختراع الآلة البخارية ذات المكثف ، تلك الآلة التى دخلت بالبشرية عصر القدرة .

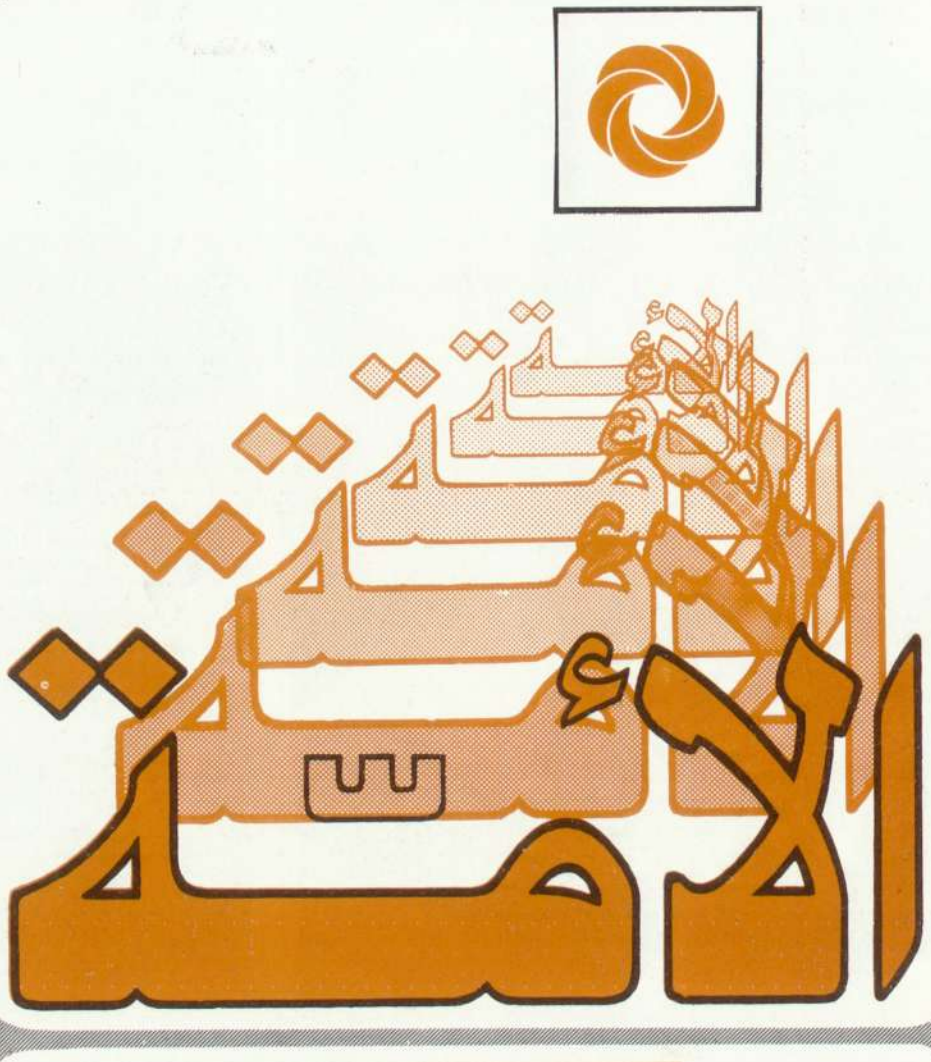
كلمة ختامية

هذا ولقد نوقشت ظاهرة الابداع الخلاق فى مؤتمر عالمى عقد فى المانيا الغربية فى شهر مايو من ١٩٧٤ اشترك فيه ٢١ من الحائزين على جوائز نوبل فضلا عن فلاسفة فى العلوم ، وبالرغم من أن المجتمعين توصلوا إلى اتفاق على كثير من السمات والقدرات المؤدية إلى الابداع الخلاق إلا أنهم لم يتمكنوا من الاتفاق على ما يمكن أن يتخذ من اجراءات وبهيأ من وسائل لتنمية هذه القدرات ، ولقد أكدوا على أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه ، وعلى تعهد الأول للثانى بالرعاية والتوجيه ، ولا غرو فان هناك أمثلة كثيرة على نجاح هذا التفاعل فى الكشف عن المواهب الخلاقة وتنميتها وتوجيهها ورعايتها .

د. جلال شوقي

(١) عن كتاب «ابراهيم بن سيار النظام» تاليف محمد عبد الهادى أبوريده مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة عام ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٦ م ، صفحتا ١١١ ، ١١٢ .

(٢) مثل اللجوء إلى طريقة الزوبعة الفكرية .



- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة
- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة
- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب

مع كل عدد هدية

١٠٠ صفحة بالألوان

الأمة Al Ummah

- مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وفي بداية احتفالات العالم الإسلامي بهذه المناسبة كان صدور مجلة الأمة.

وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم وذلك بأقلام كبار الكتاب.

- من رسالة المجلة:

جعل المسلمين أكثر إحساساً بمتغيرات الحياة وضرورة اختصار فترة التخلف.

مواكبة التطور على هدي من تعاليم الإسلام.

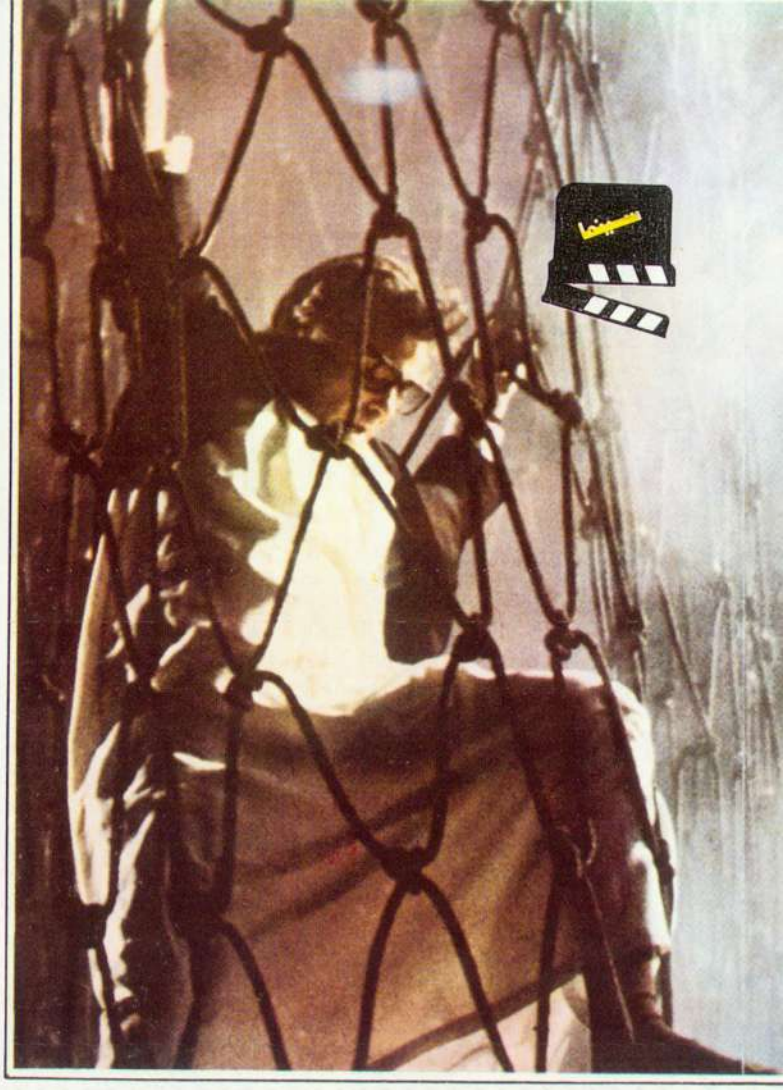
حتى يعود المسلمون إلى مكانهم في قيادة البشرية إلى الخير وتتوحد كلمتهم، ويرمز لذلك شعار المجلة حيث الهدف اتحاد المسلمين في القارات الخمس.

إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي



صوفيا لورين .. نجمة ايطاليا التى تركت وطنها هرباً من الضرائب



الرجل داخل مصيدة .. لقطة من فيلم « مدينة النساء »

مأساة مخرج يرفض الانحناء

هل تتنازل السينما الايطالية عن ابنها العبقري "فلليني"؟

رءوف توفيق

عبقرى السينما الايطالية ، المخرج « فلليني» ، يفكر جدياً فى الهجرة من ايطاليا الى امريكا .. لأنه لم يعد يحتمل البقاء عاطلا فى بلده ، بعد أن تعذر عليه العثور على التمويل اللازم لتنفيذ مشروعاته السينمائية !

هذا هو الخبر الذى اهتزت له كل الأوساط السينمائية خلال الأسابيع الماضية .. والخبر مصدره فنان « المونتاج » الذى رافق « فلليني » فى رحلته السينمائية طوال السنوات الماضية ، وأصبح أحد المقربين جداً منه .. وقد أعلن الخبر ضمن حوار صحفى أجرته معه احدى الجرائد الفرنسية الموثوق بها !

وتناقلت وكالات الأنباء هذا الخبر فى دهشة وحزن ..

فهجرة « فلليني » من ايطاليا .. هى بالتأكيد أشبه بهجرة عاشق متيم لمحبوبته التى طالما تغنى بها وارتبط اسمه باسمها .. وهو الذى قال ذات يوم « روما هى بيتى » !

فكيف يترك الانسان بيته .. الا اذا فاض به الكيل ولم يعد يحتمل ما يجرى به .. ولم يعد قادراً على أن يكون موجوداً هذا الوجود الذى يشبه العدم !!

وكيف هان على ايطاليا أن تفرط فى أحد ابنائها العباقرة ، والذى شارك فى صنع مجدها السينمائى ؟ !

هل يبدو السؤال رومانسياً ؟!



بعض النساء فى فيلم مدينة النساء الذى يدور حول عالم المرأة وتأثيره فى المجتمع

المخرج « فلليني» فى لقطة ساخرة



فكيف هان على السويد من قبل أن تطارد ابنها العبقرى المخرج « انجمار برجمان » بتهمة التهرب من الضرائب .. حتى قرر « برجمان » الرحيل الى امريكا ، وهو الفنان الذى عاش حياته من أجل السويد ، والسينما والمسرح السويدى . ! ولم تشعر الحكومة السويدية بخطئها الا منذ شهور قليلة عندما قدمت له اعتذاراً رسمياً وطلبت منه العودة الى بلده . !!

وكيف هان على اليابان من قبل .. أن تقسو على مخرجها العبقرى « أكيرا كيراساوا » والذى وضع اسم اليابان على خريطة السينما العالمية .. هذا الفنان الذى قرر الانتحار بتمزيق شرايين يديه ، حزناً على ما وصل إليه حال الفن فى بلده .. ولكن لتدابير القدر ، يرفض جسده الموت ، ويتم إنقاذه .. ويتقدم إليه الاتحاد السوفيتى ليمول فيلمه التالى « درسو أوزالا » ويحقق من خلاله معجزة فنية .. وتستمر اليابان تدير له ظهرها .. فيتقدم له اثنان من تلاميذه فى السينما الامريكية ليمولا فيلمه الجديد « ظل المحارب » والذى حقق به انتصاراً جديداً ومذهلا !!

يقول المخرج « كيرا ساوا » فى مرارة بالغة :

« الذين يتخذون القرارات فى شركات الانتاج السينمائى اليابانية ، ليسوا مسئولين فنيين ، وانما هم المسئولون التجاريون أى أكثر الناس غباء فى



« ماسترويانى » ورحلة مثيرة إلى المدينة

العالم .. انهم لا يفهمون شيئاً فى سيناريوهات الأفلام ، ويحكمون عليها بأنها لن تعجب الجمهور .. واعجاب الجمهور هو قضيتهم الكبرى .. ومع ذلك فانهم لا يعرفون شيئاً عن الجمهور » !!

الوطن والعباقرة

والآن .. كيف هان على ايطاليا .. ألا ترعى فى حدقة العين فنانها العبقرى « فلليني » .. حتى تأزمت به الأمور ليفكر فى الرحيل الى امريكا . ؟!

هل مازال السؤال رومانسياً ؟!

أم انه يفجر قضية الوطن الغربى الذى يقسو على ابنائه العباقرة .. وقضية الفن وابنائه المخلصين ، الذين يرفضون التنازلات ويتوقون الى الحرية والحنان والرعاية حتى يبدعوا أكثر وأكثر . ؟!

أزمة السينما الايطالية

ولكن .. مما لاشك فيه ان ازمة المخرج فلليني .. هى جزء من الأزمة الطاحنة التى تعيشها السينما الايطالية الآن . حتى أن اخلص العشاق للفن يضعون أيديهم على قلوبهم خوفاً من أن تتمزق هذه السينما المبدعة .. وتتحول الى اشلاء متناثرة نتيجة ضغوط اقتصادية وسياسية تعيشها ايطاليا ككل .!

فالسينما جزء من المجتمع .. وتخضع بطبيعة الحال للجو العام .

والجو العام فى ايطاليا .. يشهد تناقضات اجتماعية حادة ، وصراعات سياسية أكثر حدة .. تتمثل فى الشارع الايطالى من خلال حوادث العنف والارهاب والاختطاف ، والاضرابات ، وايقاع الحياة المشحون دائماً بالتوتر والخوف ..

ومع سرعة تلاحق الأحداث وتفاقمها .. وعدم وضوح الرؤية .. عجز كثير من المؤلفين والفنانين عن التعبير السليم عن هذا الوضع .. ولهذا خرجت الكثير من الأفلام بعيدة عن الواقع .. وحدثت الهوة بين السينمائيين والفنانين من جانب .. والجمهور من جانب آخر ..

انخفاض عدد المشاهدين

وكانت النتيجة انخفاض عدد المشاهدين للسينما .. الى أقل من النصف !!

وهذا الانخفاض ظاهرة عالمية .. وايطاليا بالرغم من هذه النسبة الضخمة ، فهى أقل الدول تأثراً بالمقارنة بما حدث فى انجلترا وفرنسا وألمانيا .

ولكن لأن الذهاب الى السينما ، احدى المتع الرئيسية للمواطن الايطالى .. لذلك كان الانخفاض مزعجاً للغاية !

وقد حاول الخبراء تحليل هذه الظاهرة ، فوجدوا ان النسبة الكبرى فى الانخفاض ، حدثت فى الستينات مع انتشار التليفزيون وجاذبيته .

أما الانخفاض الثانى .. فقد جاء أخيراً نتيجة ارتفاع ثمن تذكرة الدخول للسينما بنسبة الضعف فى بضعة شهور قليلة .. مما أدى الى حرمان طبقة اجتماعية معينة من مشاهدة السينما .. وهدد السينمائيون بالتوقف عن العمل .. ولكن الحكومة الايطالية رفضت العودة عن قرارها . !

واكتشف الخبراء ما هو أدهى وأمر .. ان عدد الايطاليين الذين يذهبون للافلام الايطالية لا يتجاوزون ٢٨٪ من اجمالى المشاهدين .. بينما الأفلام الامريكية تجذب ٥٠٪ من المشاهدين !!

اى ان الجمهور لا يمول السينما الايطالية .. بل تذهب نقوده إلى السينما الأمريكية !!

وهكذا تلقت السينما الايطالية ، الضربات من كل جانب .. وألقى الواقع المرتبك ظلالا قاتمة على السينمائيين .. فالبعض منهم طاردته الضرائب حتى هاجر من ايطاليا .. ومنهم المنتج « دينو دى لورنتس » والمنتج « البرتو جيرالدى» والمنتج « كارلو بونتى » وزوجته نجمة ايطاليا « صوفيا لورين » .

وقصة صوفيا أصبحت مادة محزنة للصحف .. بعد ان اصبحت تعيش خارج بلدها .. مهاجرة من مدينة الى أخرى . ولا تستطيع العودة هى أو زوجها لأنهما محكوم عليهما بالسجن لمدة ثمان سنوات .. وقد قامت الحكومة الايطالية بالاستيلاء على القصر الذى كانا يعيشان فيه بروما .. واستعانت قوات الحكومة بسيارة نقل حملت كل التحف واللوحات الزيتية القيمة بالقصر ونقلتها الى متحف ميلانو .

اما الذين لم يهاجروا .. فقد تعرض بعضهم لعمليات اختطاف وطلب فدية ضخمة .. مثلما حدث لأحد المنتجين الايطاليين الذى اختطف ، ولم يطلق سراحه الا بعد دفع فدية توازى ٦ مليون دولار .. ومنتج آخر دفع فدية ٣٠٠ ألف دولار !!

وتراكمت المشاكل على السينما والفنانين .

فلليني والأزمة

والمخرج « فريدريكو فلليني » ـ يبلغ هذا الشهر عامه الثانى والستين ـ واحد من أنبغ وألمع المخرجين الايطاليين .. ويعد من أهم مخرجى السينما العالمية على الاطلاق .. فهو صاحب الرؤية



أحد الوجوه المميزة التى يصر « فلليني » على ظهورها فى أفلامه

المتفجرة بالحيوية والانطلاق .. وتفيض أفلامه بالجرأة والمشاعر المتدفقة ، والروح الفكاهية العالمية .. والسمو الملحمى .. ويقف النقاد دائماً أمام أعماله بالتأمل الطويل والاهتمام البالغ !

وقد عكست أزمة السينما الايطالية همومها عليه .. ولكنه لعشقه للسينما ، ولتعذر وجود الممولين .. اتجه فى السنوات الأخيرة للتليفزيون .. ليخرج فيلمين « المهرجون » عام ٧٠ ـ و «بروفة أوركسترا» عام ٧٨ .. وأثار الفيلم الأخير ضجة كبرى على مستوى العالم .. لأنه فى هذا الفيلم القصير ـ ٧٠ دقيقة ـ عبر عن الفوضى التى تسود ايطاليا وأوربا عموماً (مقال الدوحة عدد يناير ١٩٨٠).

ورغم هذا النجاح الفنى .. الا انه كان يشعر بأن مجال العمل المناسب له هو السينما .. وليس التليفزيون .. ولهذا يقول :

« لا علاقة للتليفزيون بالسينما .. التليفزيون يقلل من شأن الأفلام ويعمقها .. فالمشاهد لا يستطيع ان يعايش خيال الفنان الا من خلال شاشة السينما .. حيث يكون هو فى موقف الشىء الصغير الحجم بالنسبة لضخامة الشاشة .. والعكس امام التليفزيون .. فالمشاهد هو صاحب السلطة .. فأنت لا تخضع للصورة ، ولا تضطر للنظر إليها باحترام » !

مدينة النساء

ولهذا عندما فكر فى فيلمه التالى .. وبحث عن ممولين داخل السينما الايطالية ، فلم يجد .. لجأ فى النهاية الى صيغة المشاركة بين تمويل فرنسى وتمويل ايطالى .. وقدم فيلم « مدينة النساء » الذى ضمنه رحلة غامضة ومثيرة فى عالم المرأة وجمعيات التحرير النسائية ، بكل ما فيها من مناقشات وصخب ومفاجآت ..

وخلال الساعتين والثلث هى مدة عرض الفيلم .. نحن مع هذا الكاتب : (لعب الدور مارشيللو ماسترويانى) الذى يجد نفسه مجذوباً بامرأة غامضة تجلس أمامه فى القطار .. وتهبط فى مكان غريب تحيط به غابة كثيفة .. فيتحرك وراءها ليجدها تدخل بناء مغلقاً .. فيدخل هو أيضاً ليفاجأ بمستعمرة نساء !! . وتدور الأحداث داخل هذه المستعمرة التى يبدع فيها فلليني فى تقديم حكاياته المبهرة والغامضة ونماذجه الانسانية الملخصة تلخيصاً مذهلا .. وينتهى الفيلم لنكتشف ان هذه الرؤية ما كانت الا حلماً .. !! ويفيق الكاتب ، والقطار يعبر به نفقاً مظلماً .. وشعاع من الضوء ينبعث من نهاية النفق .. وكأنه يرمز لميلاد جديد سيحدث !

وكما هو الحال فى افلام « فلليني » فقد أثار فيلم « مدينة النساء » جدلا كثيراً ومحالاوت للتفسير.. ولكن بقي الفيلم شامخاً كعمل ملحمى يفيض بالجمال والسحر والدهشة !

ورحلة المخرج « فلليني » فى السينما

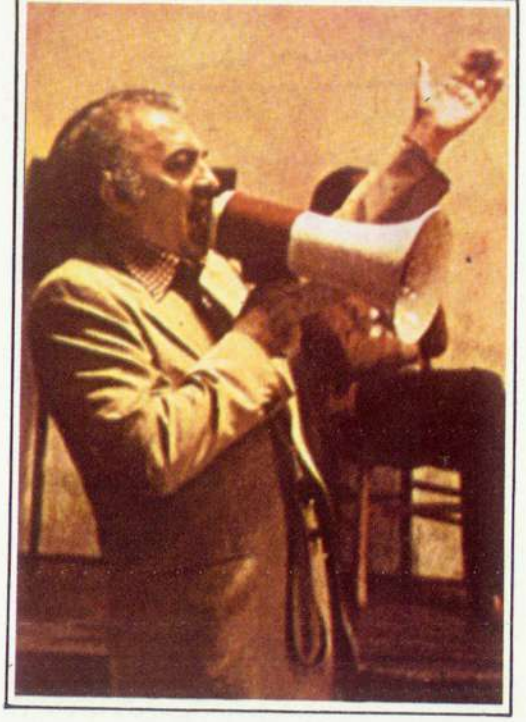


لقطة من فيلم « ساتير يكون » الذى يصور انهيار الحضارة



لقطة من فيلم « إنى أتذكره » الذى رأينا فيه تأملات المخرج الخاصة

مأساة مخرج يرفض الانحناء!



فللينى يقود العمل فى فيلم « بروفة أوركسترا »

الايطالية .. رحلة طويلة وغنية .. وكل فيلم من افلامه يحمل رسالة شخصية منه ، هى بعض ملاحظاته ، وتأملاته الخاصة فى الحياة والحب والفن .

ففيلم « ٨½ » ـ عام ٦٣ ـ يقدم بعض تأملاته فى مشاعر ومخاوف مخـــرج سينمائى قبل البدأ فى تنفيذ فيلم .

وفيلم « ساتيريكون فللينى » ـ عام ٦٩ ـ تأملات فى انهيار حضارة .. وان كان يضع الفيلم فى زمن ســـقوط الامبراطورية الرومانية .. الا انه يشير الى عالمنا الحالى بوضوح .. حيث الأجساد المشوهة ، والوحوش من كل نوع .. وبشر يأكلون لحم انسان ميت فى مقابل الحصول على أمواله .. وشاعر فيلسوف ينعى هذا العالم بقوله : « لقد ماتت الفنون .. ماسبب هذا الانحلال ؟ .. هو هو المال .؟ كنا فيما مضى نبحث عن الفضيلة البسيطة والمطلقة .. أما اليوم فاننا بين الموبقات ، اصبحنا عاجزين عن تذوق أى عمل فنى » !!

وفى فيلم « روما ـ فللينى » ـ عام ٧٢ ـ يقدم تأملاته الخاصة فى مدينة روما .. القبح والجمال .. التناقضات والغموض .. وهذا الهدير الجارف من راكبى الدراجات البخارية الذين يزخفوف ليلا فى تشكيل ضخم ومرعب .. يكتسحون شوارع روما .. وكأنهم النذير بثورة الشباب . !

وفى فيلم « انى اتذكر » ـ عام ٧٣ ـ يقدم تأملاته الخاصة من ذكرياته أيـام الصبا والمراهقة .. واكتشاف الحب والحياة .. اللذة والألم ..

وفى فيلم « كازانوفا » ـ عام ٧٦ ـ يقدم رؤيته الساخرة اللاذعة لهذه الشخصية الاسطورية .

الأفلام تختارنى

يقول فللينى « لا تسيطر الذكريات على أفلامى .. وسأكون كاذباً اذا قلت اننى اتحدث عن نفسى فى افلامى .. بل ان حياتى الخاصة قد تشكلت لأن تكون مادة سينمائية » ..

انه لا ينكر ذاتيته .. بل يقول : « اننى لا اعرف أبداً لماذا أختار هذا الفيلم أكثر من ذلك .. بل اننى استطيع أن أقول انه لست أنا الذى يختار الفكرة .. بل ان الفكرة هى التى تختارنى » !

هل هو نـــوع من العبقـــرية .. أو الجنون .؟

مهما كان الأمر فهو الجنون الممتع .. الذى يثرى الشاشة بهذه الطاقة المتفجرة من الحيوية والألوان والحكايات المسلية ذات المعانى المكثفة ..

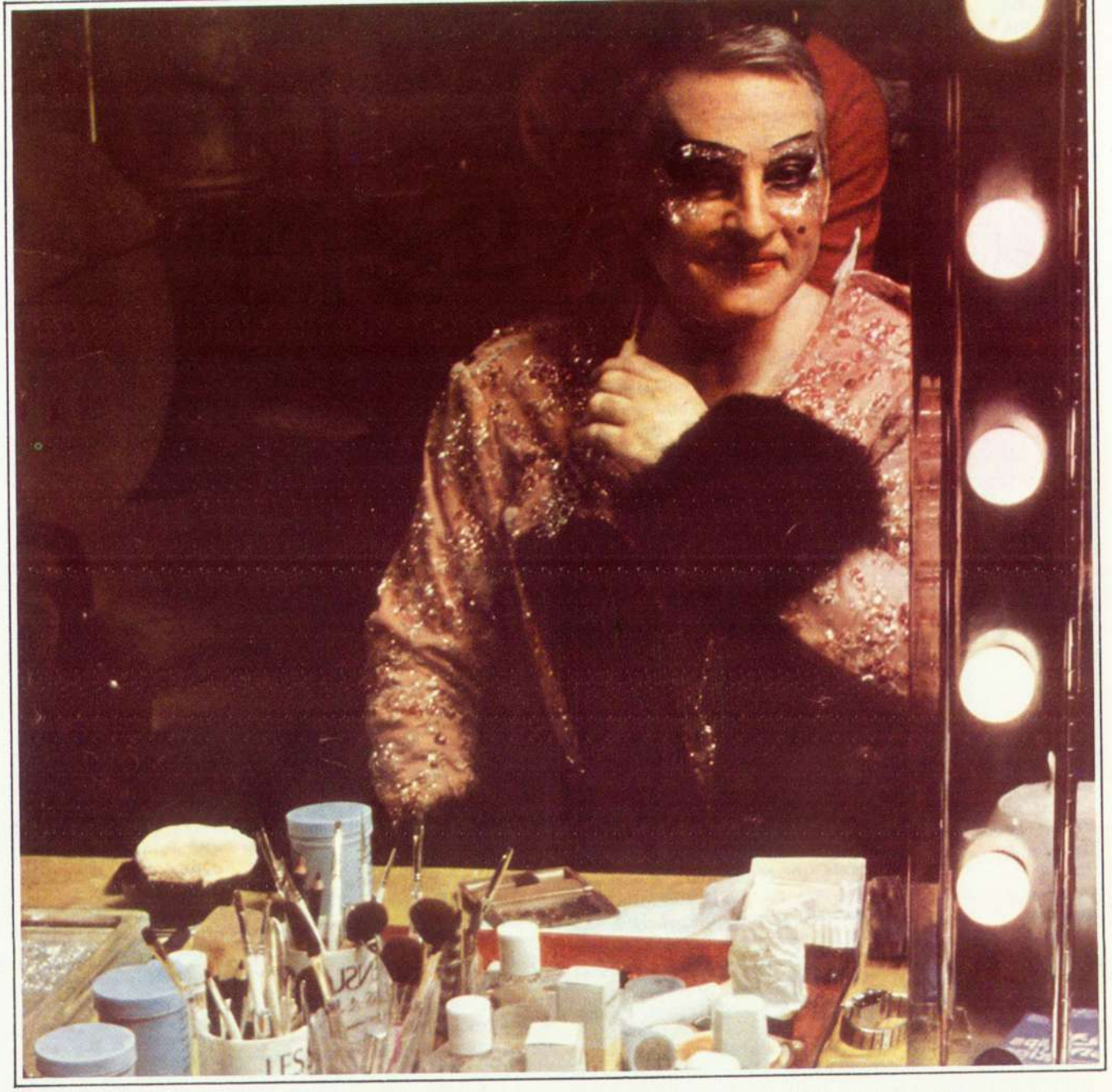
فى فيلم « روما ـ فللينى » يظهر هو شخصياً فى مشهد من الفيلم وحوله بعض الطلبة يسألونه .. لماذا تصف دائما سيرة ذاتية خيالية .. لماذا لا تصنع شيئاً اجتماعياً وسياسياً أكثر من ذلك .. شيئاً يساعدنا على ان نتعمق فى فهم انفسنا ، وفى فهم المجتمع والحياة . ؟!

وكأنما أراد ان يثير هذا التساؤل على ألسنة الطلبة ، ليقول لهم فى الفيلم .. ولنا ايضاً كمشاهدين : « قد يكون من الواجب مساعدة الناس على حل المشكلات الخطيرة .. ولكن حيث اننى لا استطيع ان أحل مشاكلى الخاصة .. فأنا لا أجد نفسى مستعداً لتناول مشكلات الآخرين » !

وتمضى رحلة الفن بالمخرج «فللينى»



المرأة التى اختارها « فللينى » لتعبر عن فيلمه مدينة النساء



أحد ممثلى أفلام « فلليني » حيث يلعب الماكياج الغريب ، دوراً هاما فى تشكيل الشخصيات والألوان

ليجد نفسه الآن متوقفاً عن العمل بسبب احجام المنتجين فى السينما الايطالية عن تمويل أفلامه .. بحجة ان افلامه تتكلف كثيراً ..

وهو الذى لم يكف طوال عمله فى السينما الايطالية عن التنديد بعقلية المنتجين وحسابات التكلفة والأرباح .. فهو صاحب الرأى الساخر الذى أعلنه عام ٧٥ وقال فيه :

« لا يوجد فيلم ردىء ليس مسئولا عنه أحد المنتجين .. كما لا يوجد فيلم جيد لم يصنع « رغم » المنتج . ان المنتجين لا يقررون فقط المسائل الانتاجية ، ولكن ايضاً الجو النفسى للمشاهدين المترددين على دور العرض .. فالسينما التجارية اشبه ما تكون بعملية بيع المخدرات ، نظراً للارباح الضخمة الناتجة منها » .

« اننى اتمنى ان يتم احراق كل الأفلام السخيفة والضارة .. فى ميدان عام على صوت الطبول . وعلى العكس من ذلك فانه يجب بالنسبة للأفلام التى تثرى الانسان ان تلف العالم والا يتوقف عرضها أبداً »

« ما الذى استطيع اقتراحه غير المقاومة الصلبة ، ان يتحالف المخرجون ويعلنوا غضبهم واحتقارهم .. ويتوقفوا عن الانحناء » !

روما .. الحكمة واللامبالاة

ها هو « فلليني » الآن يفكر فى هجرة بلده .. ليتنفس فى مكان آخر .

فهل يستطيع حقاً ؟!

لقد قال عن روما عندما اخرج « روما ـ فلليني » .

« روما هى الواقع والطعام والفراغ .. انها مدينة معروفة لى .. وغامضة فى نفس الوقت ..

روما أم تتميز بأمومة غير مبالية ، تجعلها جذابة جداً .. ولروما ابناء كثيرون لا تستطيع أن تضمهم كلهم الى صدرها .. وتلك هى روما بين الحكمة واللامبالاة » !

فهل تصبح هجرة عبقرى السينما الايطاليـــة من بـلده .. هى بعض اللامبالاة .؟!

« رءوف توفيق »

ضحكات الشهر



صلاح البيشي



ـ .. موش مهم أنا مين .. أنا واحد من أهل الأرض ..!!



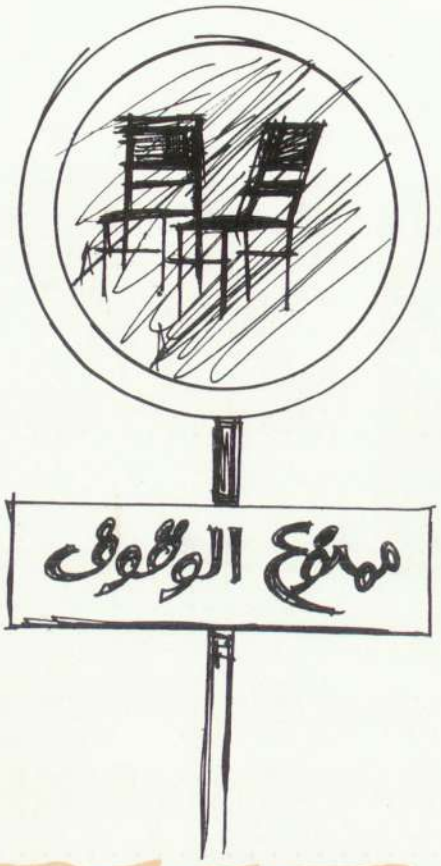
(الكرسى الكهربائى)

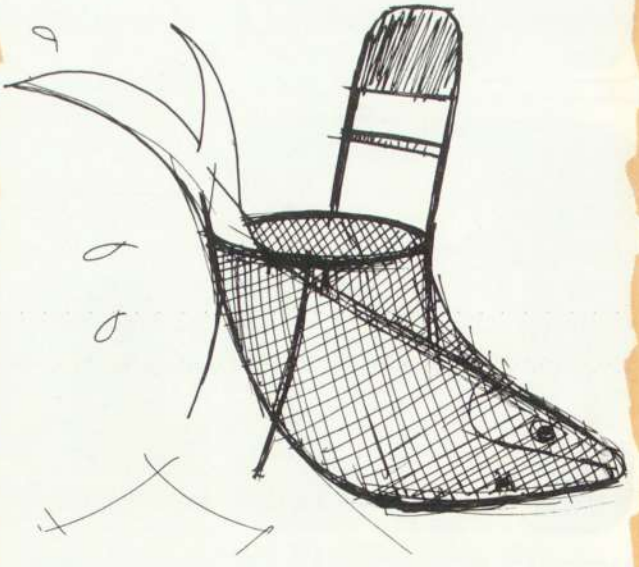






ـ .. باريح راسى شـــويه .. !!





.. !!





دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجي أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



(صورة ١) أكبر متحف شمع فى أوروبا ، أسسته سيدة فرنسية ، يضم تماثيل لأشهر الشخصيات العالمية السياسية والفنية . أين يوجد هذا المتحف ؟ .. ومن مؤسسته ؟ .



صورة (٢) : كاتب عالمى ولد عام ١٨٢٨ م ، تحولت معظم أعماله الروائية التى تتسم بالتعاطف مع جماهير الناس الى افلام سينمائية انتجتها كبرى شركات السينما فى العالم .. توفى عام ١٩١٠ على رصيف احد الفنادق بعد ان هرب من سوء معاملة زوجته ..

ولعلنا نتذكر روايته الشهيرة التى دارت احداثها حول فكرة الحرب والسلام .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٢



(صورة ١) يقع مسجد القرويين بمدينة فاس التى تعتبر العاصمة الدينية والثقافية للمغرب ..

ـ إيدوز مصطفى ـ الدار البيضاء .
ـ سعد سليم سعد ـ ليبيا .



(صورة ٢) فرناندیل الممثل الكوميدى الفرنسى الذى بنى شهرته على إستغلال قسمات وجهه ، واشتهر بتمثيل سلسلة افلام «دون كاميلو»

ضياء محمد كيلانى ـ سوريا
حمدى عبد السلام ـ القاهرة

هـــؤلاء قـــالـــوا

● العلم مصباح النفس ، ينفى عنها ظلمة الجهل ، فاذا أمكنك أن تضيف الى مصباحك مصباح غيرك ، فافعل .
«أفلاطون»

● الخلق كالشجر والصيت كالظل .. والناس عادة يرون الظل ولا يرون الشجر .
«ابراهام لنكولن»

أحمد عبود السومحى ـ اليمن الديمقراطية

أرقـــام فضـــائيـــة



إذا افترضنا إنشاء خط حديدى يمتد من القمر الى الأرض تسير عرباته بسرعة ٤٠ ميلا في الساعة ويقطع ألف ميل في اليوم فان رحلة القطار إلى القمر تستغرق ٢٤٠ يوماً .

ونفس القطار يحملنا إلى الشمس فى نحو ٢٥٠ سنة أي أن من يقم ببداية الرحلة لن يرى نهايتها ...

ومن الارقام الفضائية الأخرى الحقيقية التى تقول ان الشمس والأرض اذا مثلناهما بكرتين فان الكرة التى تمثل الشمس يجب أن يبلغ قطرها نحو ست وعشرين قدماً أى حوالي ٩ أمتار ـ أما الكرة التى تمثل الأرض فيجب أن تكون فى مثل حجم كرة التنـــس

وقد كتب جون فيرن فى قصته الشهيرة « ثمانون يوماً حول العالم » أن رحلته حول كوكب الأرض التى استغرقت ثمانين يوماً تستغرق ٢٤ عاماً كاملة لو استخدم نفس السرعة فى القيام بها حول الشمس !

والمعروف أن قوة جاذبية الشمس تفوق جاذبية الأرض سبعاً وعشرين مرة وبالتالى فان الشخص العادى يبلغ وزنه فوق سطحها أكثر من ٢٠٠٠ كيلوجرام مما يعجزه عن الحركة ويمنعه من السير !

ميرفت سامى داود ـ بنى سويف

الحنـين إلى التوب البدوي في مدينة طبريا !



مدينة طبريا بفلسطين .. تتناثر حولها القرى .. صغيرة وكبيرة .. وأكثر هذه القرى وخاصة حول البحيرة . يسكنها البدو المستقرون الذين امتهنوا تربية الماشية والزراعة وبالأخص البستنة .. حيث تزرع حول البحيرة بساتين الرمان والزيتون والتين .. يساعد على ذلك الجو الدافيء شتاء المعتدل صيفاً ، ويساعد هذا الجو على زراعة انواع الخضار فى الشتاء ..

كانت هذه القرى ـ التى ولدت فى احداها ـ تصدر محصولاتها الى مدينة طبريا . وبعد النكبة ازالت اسرائيل معظم هذه القرى ، إن لم يكن كلها من الوجود ، ولم يبق لها أى اثر الا فى افئدة ومخيلة اهلها ، ومن خلال هذه المخيلة والاستعانة بذاكرة من بقوا أحياء من كبار السن .. استطعت أن أرسم نموذجاً من ثياب النسوة فى هذه القرى البدوية البائدة فى منطقة طبريا ..

علي فلاح محسن ـ سوريا ـ دمشق

المـــال والدنيـــا

● **سئل الفضل بن يحيي وزير الرشيد « ما خير ما يصنع المرء إذا اقبلت الدنيا عليه وإذا ادبرت عنه ؟ »**

فقال الفضل : « خير ما يصنع ان ينفق فى الحالتين ، فالدنيا فى حال الاقبال لا يفنيها الانفاق ، وفى حالة الادبار لا يبقيها الامساك »! »

الجخشي عبد العزيز ـ المغرب

الســـــرور

قيل لحكيم : ما السرور ؟

قال : عقل يقيمك ، وعلم يزينك ، وولد يسرك ، ومال يسعدك ، وأمن يريحك ، وعافية تجمع لك المسرات .

فقيل له : ما اجتمعت لأحد .

فقال الحكيم : لو اجتمعت مادامـت !

صالحة محي الدين خليفة
الدوحة ـ قطـر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

مَن ؟

من : ـ قوم أسيويون ، أرهبوا العالم كله فى حقبة من التاريخ ، لم يحطم طغيانهم ويردهم عن غيهم إلا اتحاد العرب والمسلمين تحت راية سلطان مصر الظاهر بيبرس .

اسمهم من ستة أحرف ، :

٤ ـ ٢ ـ ٥ قرأ بصوت مسموع .

ب ـ ١ ـ ٣ ـ ٦ قاطع .

أين ؟

أين : ـ صحراء نشأ فيها القوم المذكورون قاسية شديدة الحر والبرد . اسمها من ستة أحرف :

١ ـ ٥ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٦ ضد الفقر .

٢ ـ ٤ ـ ١ ضد الصحو .

ما ؟

ما : ـ نهر عربى مشهور شهد امجاد العروبة والاسلام ، سماه المصريون القدماء باسم النهر المقلوب لأنه يسير عكس اتجاه النيل ، اسمه من ستة أحرف :

٣ ـ ٢ زهر عبق

١ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٤ ـ ١ ـ ٦ اسم الجبل الذى يعتقد بعض الناس ان سفينة سيدنا نوح عليه السلام قد استقرت عليه وهو الجودى .

الإجابة الصحيحة

(١) الغت دولة قطر ارتباطها مع بريطانيا وأعلنت استقلالها فى سنة ١٩٧١ فى :
٢٢ فبراير ـ ٧ مايو ـ ٣ سبتمبر .

(٢) « قطر الأرض بين القطبين أطول منه عند خط الاستواء » هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟

(٣) كان سيجموند فرويد صاحب نظريات علم النفس المعروف :
مجوسياً ـ يهودياً ـ نصرانياً .

(٤) وقعت معركة حطين التى قهر فيها صلاح الدين الايوبى الصليبيين فى سنة ١١٨٧ م ـ ١٢٩٧ م ـ ١٣٩٨ م .

(٥) يبلغ ارتفاع الهرم الأكبر بالجيزة :
٢٠٠ ـ ١٣٤ ـ ١٢٢ متراً .

(٦) ما أصل اسم المدينة العراقية سامراء ؟

(٧) سلام من صبا بردى أرق :
أكمل هذا البيت وانسبه لقائله وما مناسبته ؟

(٨) (الكروم) لفظه تطلق لدى العلماء على أحد :
العناصر الفلزية ـ المعادن ـ الصخور ـ العصارات النباتية .

(٩) تلاميذ السيد المسيح عليه السلام يسميهم القرآن الكريم :
الأبناء ـ الحواريين ـ القوم .

(١٠) البحار العربى الشهير ،صاحب المؤلفات والجولات أحمد بن ماجد أصله من : عمان ـ قطر ـ الكويت .

حل مسابقة "العدد ٧٢

من : انس بن مالك .
اين : الربع الخالى .
ما : الرمل .

الاجابة الصحيحة :
١ ـ ١٨١٥ م
٢ ـ حالول .
٣ ـ الثديية .
٤ ـ ابن طفيل .
٥ ـ الأزهر الشريف .
٦ ـ المدينة المنورة .
٧ ـ صحيحة علمياً .
٨ ـ العربى ابن النفيس .
٩ ـ المعلقات .
١٠ ـ ١٥ ساعة .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء محمد عبد الغنى محمود .
الأردن ـ عمان ـ ص.ب ٨٥٤٥ .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : وحيد الدين ادريس أحمد .
السودان ـ الخرطوم ـ ادارة المحاكم الشرعية ـ ص.ب ١٠٧ .

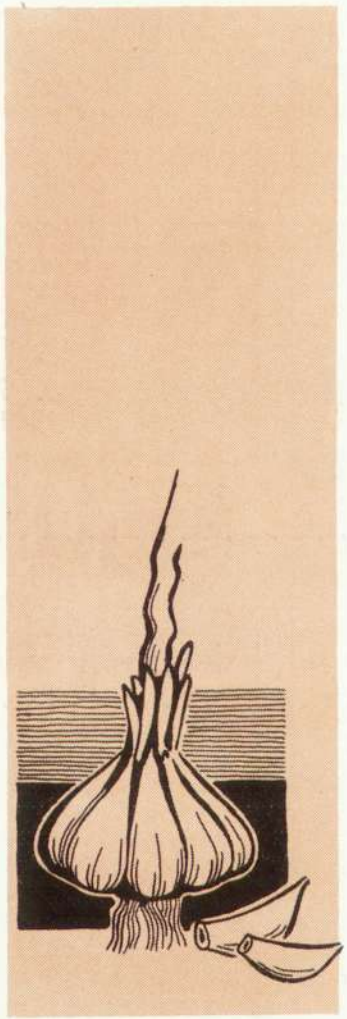
فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارىء : احمد عبد الرحمن عبد السلام .
ج . م.ع . طنطا ـ ٨٢ حارة الدكتور حسنى متفرع من شارع سعد الدين .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ احمد عارف الفانى	لبنان
٢ ـ ايمن يوسف عليان	السعودية
٣ ـ محمد سعيد الملاح	سوريا
٤ ـ هدى الرمحى	الكويت
٥ ـ نجيب غبريال نجيب	ج.م.ع
٦ ـ مريم صلاح الدين	البحرين
٧ ـ مجد السيد مراد	الكويت
٨ ـ خالد أحمد بشار	أبو ظبى
٩ ـ جمار أحمد سيدى ميمون	المغرب
١٠ ـ علي بن عمر الصابرى	تونس
١١ ـ طبى عمار	الجزائر
١٢ ـ أحمد صالح فارس	قطر

قرأت

الثـــوم .. يغـني عن البـنسلين



عرف الناس الثوم واقبلوا على أكله منذ قديم الزمان ، يصدق هذا على أهل بابل فقد ثبت أنهم أكلوا الثوم قبل أكثر من ٦٠٠٠ سنة ، وعلى بناة الأهرامات الذين وجدوا فيه خير غذاء لهم قبل نحو ٥٠٠٠ سنة ... واكتشف أهل الهند والصين مزايا الثوم الصحية منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة .

ولم يغفل الطب الحديث عن فوائد الثوم وخصائصه العلاجية .. وحسبك مرجع (مرك) الشهير ، الذى ينشر ويوزع على نطاق واسع فى الولايات المتحدة .. والذى يؤكد فاعليته الثوم فى الميكروبات .. تلك الخاصة التى دفعت العلماء فى الاتحاد السوفيتى الى انتاج عصارة الثوم وتوزيعها باعتبارها عقاراً مضاداً للحيويات .

وعلماء الصين وأطباؤهم أولوا الثوم اهتماماً كبيراً مركزاً فى السنوات الأخيرة .. ويصدق هذا بخاصة على ما قام به فريق من الأطباء العاملين فى كلية هونان الطبية ، وفى المستشفى التابع لها .. فقد أجرى هؤلاء العلماء ابحاثاً وتجارب تناولت خصائص الثوم العلاجية بصفة عامة وقدرته على معالجة التهاب السحايا بصفة خاصة ، والمعروف أن التهاب السحايا هذا ، مرض قاتل ويؤدى الي موت المصاب به فى غضون شهور قليلة !

طارق عبد الفتاح شديد
ج . م . ع

سمعت

كـهربـــاء من البـراكـين

نجحت تجارب العلماء فى الحصول على مصدر جديد للطاقة من باطن الأرض . فقد أقام العلماء الأمريكيون محطة لتوليد الكهرباء بالاستفادة من الطاقة الحرارية لجوف القشرة الأرضية على عمق ١٠ كيلومترات . تقوم الفكرة على أساس ان جوف الأرض تنبعث منه الحرارة التى تصهر المعادن فى أعماقها . فحفروا ابارا على تلك المسافات وصبوا فيها مياها عندما تصل الى جوفها فانها تغلى لتقذف بأبخرة قوية ، أمكن استقبالها لادارة محركات لتوليد التيار الهربائى . وبناء على هذه الفكرة أنشأ خبراء الطاقة بالولايات المتحدة أول محطة لهذا الغرض ، كما يحاول أحد علماء المكسيك الحصول على مصدر آخر للطاقة من البراكين ، بحفر ثقوب فى جوانبها يستفاد بها فى تزويد المصانع بالقوى المحركة

منى سيد عبد الحميد ـ القاهرة



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

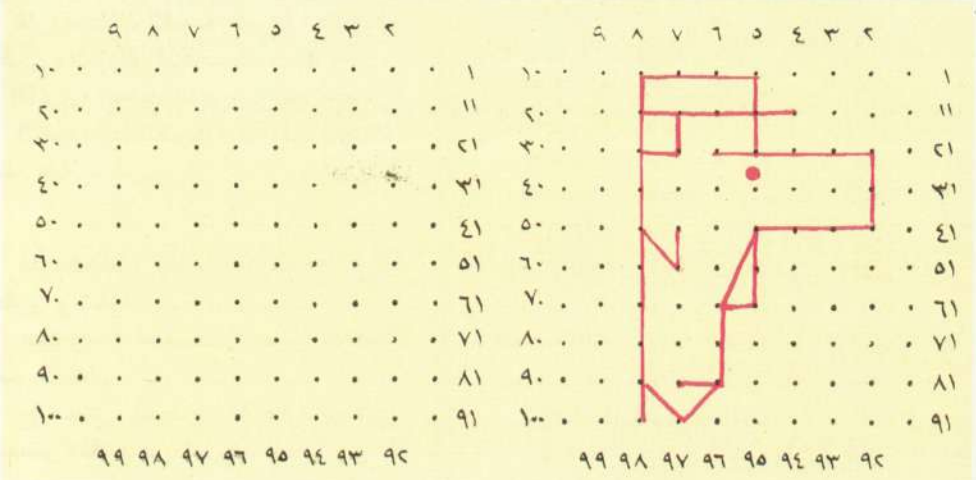
الفائزن فى مسابقة استراحة الدوحة تنشر اسماؤهم بداية من العدد القادم ..

ارسم مع رؤوف

هذه مسابقة خفيفة .. يمكن من خلالها ان تنعلم الرسم .. وهى عبارة عن مجموعة نقط على أبعاد متساوية عددها ١٠٠ نقطة .. تبدأ برقم ـ ١ ـ وتنتهى بالرقم ١٠٠ .

وقبل أن تحل مسابقة هذا العدد .. طالع المثال المرفق وهو للرئيس الفرنسى الراحل : شارل ديجول .

الحلقة الأولى :



رسم هذه الحلقة يتكون من أربعة خطوط فقط .. وهو مكان عزيز على قلب كل عربى ومسلم .. صل الأرقام التالية .. كل خط على حده :

الخط الأول : ـ ٥ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ٣٨ ـ ٤٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٩٠ ـ ٨٧ ـ ٥٧ ـ ٨٧ ـ ٨٣ ـ ٥٣ ـ ٨٣ ـ ٨١ ـ ٥١ ـ ٥٩ ـ ٥١ ـ ٤٢ ـ ٣٢ ـ ١٤ ـ ١٥ .

الخط الثاني : ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٤٣ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٤٤ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٤٥ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٤٦ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٤٧ ـ ٣٧ ـ ٣٨ .

الخط الثالث : ـ ٤٢ ـ ٤٨ . الخط الرابع : ـ ٧١ ـ ٧٩ ـ ٨٩ ـ ٨٨ ـ ٧٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧٩ .

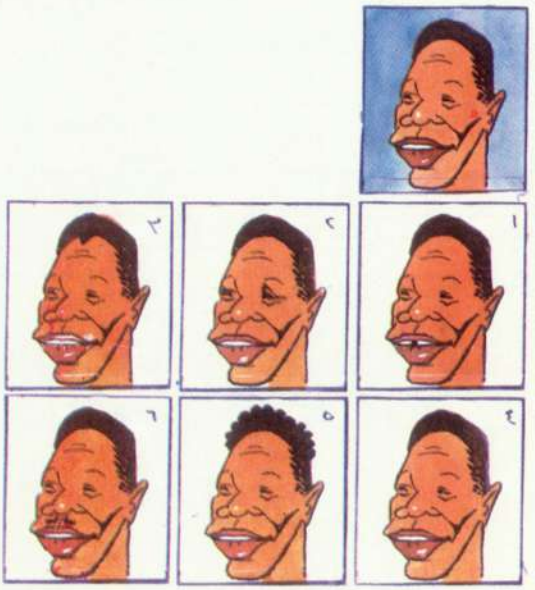
بعد الانتهاء من توصيل الأرقام .. تحصل على الرسم النهائي .. أرسله الينا .. ولك جائزة قدرها (.....) الجائزة (٦٠ ريالا)

دوري الكاريكاتير



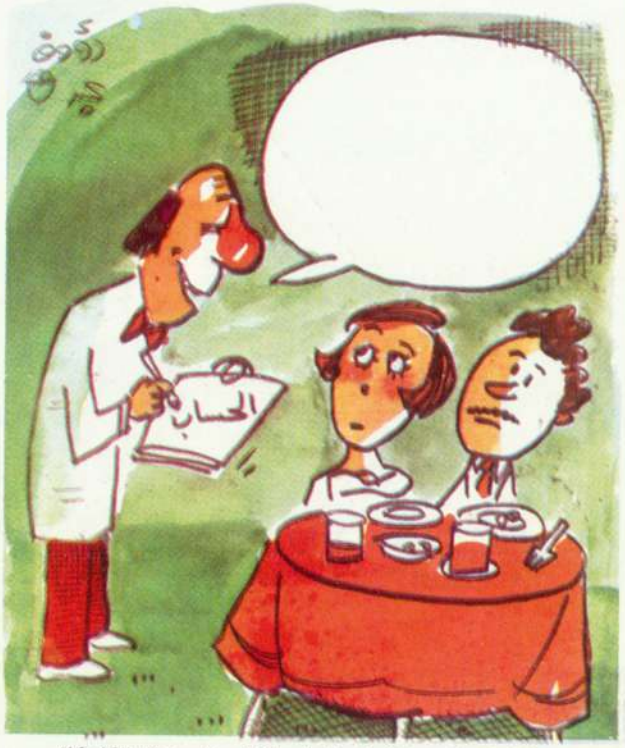
اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب الهدف وما رقم فانلته بدون الاستعانة بالقلم أو اصبعك ؟ .. إذا استطعت أرسل لنا الحل لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة هذا الشهر لستة أشخاص يشبهون لاعب الكرة الشهير « بيليه » الذى كانت تلقبه جماهير الملاعب بالجوهرة السوداء .. إلا أنك لو دققت النظر لاكتشفت اختلافات بسيطة موجودة فى هذه الصور فيما عدا صورة واحدة تشبهه تمام الشبه .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. حاول لتكسب (٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق



حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الكاريكاتير لتفوز بجائزة (٦٠ ريال) على أن تكتب أعلى الظرف مسابقة أجمل تعليق !

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لفنانة عربية كبير عاشت فى قلوب الملايين من الخليج إلى المحيط .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذه الفنانة .. فى انتظارك جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



(.....) الجائزة (٦٠ ريالا)

من بعيد

للشاعر:
عبدالعليم القباني

قلبي على البعد، لاسالٍ ولا ناسِ
هلّا تذكرته .. يا أجمل الناسِ ؟

تركتني والغد المأمول في خلدي
رؤى ظنون وأوهام ووسواس

أغدو مع الصبح والحرمان يصحبني
ويقبل الليل والأشجان في كاسي

لا شيء بعدك تغريني ملاحته
فأنت وحدك إسعادي وإيناسي

وأنت وحدك روح الشعر في كلمي
وأنت وحدك قيثاري وأجراسي

• • •

يا قاسي البعد، آمالي شقيتُ بها
فهل علمتَ بما ألقاه يا قاسي ؟

أرى سوالك فلا تهتز عاطفتي
ولا يَهشُّ له بالود إحساسي

كأنما الحسن مقصور عليك فما
أرى بغيرك إلا بعض أقباس

سرٌّ من الله، في عينيك أقرأه
وحدي، ويقصر عن معناه نبراسي

• • •

يا من على القرب ينساني، وأذكره
رغم البعاد، وحولي كلُّ جُلّاسي

ماذا لوانك لم تسمع لما نقلوا
من قال إن زجاج الود كالماس ؟

ماذا لوانك قد أحرقت زَيْفَهُمو
بلاهبٍ من شعور القلب حسّاس ؟

أم كان حبُّك لي وهمًا ؟ وكنت أنا
ضحيّة ؟ أم ترى الظمآن كالحاسي ؟

يا أجمل الناس، قلبي ليس بالقاسي
فكيف تقسو إذن .. يا أجمل الناس ؟





بيبسى

مشـــروب الجيـــل الصَاعدْ



"حـــيـــــاء"

للفنانة القطرية : بدرية جاسم الدرويش

عن مجلة "الجامعية" التي يصدرها مكتب خريجات جامعة قطر